

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

نيابة العمادة لما بعد التدرج

جامعة الحاج لخضر - باتنة

و البحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإجتماعية و العلوم الإسلامية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

الموضوع

تطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري

دراسة ميدانية بريف الشعرة- بلدية بومقر-ولاية باتنة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الريفي

إشراف الدكتور

إعداد الطالبة

حسين لوشن

نبيلة خبرارة

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة باتنة	أستاذ محاضر	مولود سعادة
مشرفا ومقررا	جامعة باتنة	أستاذ محاضر	حسين لوشن
عضوا	جامعة بسكرة	أستاذ التعليم العالي	عبد العالي دبله
عضوا	جامعة باتنة	أستاذ محاضر	مختار بشتلة

السنة الجامعية: 2010- 2011 م / 1431-1432هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير}

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة طيب الله ثراه وجعل
مثواه الجنة إن شاء الله.

إلى من سقتني ما شئت من فيض الحنان ومدت
لي يد العون في كل زمان و مكان "أمي الحبيبة"
إلى أعز ما أملك في هذا الوجود، إخوتي حفظهم
الله.

إلى كل من أحبوني وأعزوني ونسيهم قلبي
أهدي لهم ثمرة جهدي.

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون في هذا

البحث

وأخص بالذكر أولاً أستاذي الفاضل الدكتور لوشن حسين الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وملاحظاته طوال فترة الإشراف.

كما أنه من أمانة العمل أن يعترف المتعلم بالفضل لمعلميه ولذلك لا يسعني سوى أن أشكر كل أساتذتي الكرام بدون استثناء، الذين ترعرعت ونشأت على يديهم ونهلت من علمهم، ولم يدخروا جهداً أو رأياً أو فكراً، إلا وقدموه لي طوال فترة تدرسي.

كما أتقدم بالشكر أيضاً إلى الأمين العام لبلدية بومقر نظير مجهوداته ومساعدته التي قدمها لي، دون أن أنسى شكر سكان ريف الشعرة على كرم ضيافتهم وتعاونهم معي، وابنة المنطقة ورفيقة الدرب "بوراضي نهلة".

الصفحة	فهرس المواضيع
1	- مقدمة الدراسة.....
4	- إشكالية الدراسة.....
5	أولاً: تحديد موضوع الدراسة.....
9	ثانياً: أهمية ومبررات اختيار موضوع الدراسة.....
10	ثالثاً: مفاهيم الدراسة.....
17	رابعاً: أهداف الدراسة.....
18	خامساً: تساؤلات الدراسة.....
19	سادساً: الدراسات المشابهة.....
	الجانب النظري للدراسة
27	الفصل الأول: المعالجة النظرية للدراسة.....
28	- تمهيد.....
29	أولاً: النماذج النظرية في دراسة الريف.....
29	1- الثنائية الريفية- الحضرية.....
38	2- نظرية المحك الواحد.....
40	3- نظرية المحكات المتعددة.....
44	4- نظرية المتصل الريفي - الحضري.....
46	ثانياً: الاتجاهات النظرية في دراسة النسق الثقافي.....
46	1- الاتجاه التطوري.....
51	2- الاتجاه الانتشاري.....
54	3- الاتجاه الوظيفي (التكامل والتناسق).....
56	4- الاتجاه الرمزي.....
59	- خلاصة.....
61	- الفصل الثاني: واقع السكان ونسقهم الثقافي بالريف الجزائري.....
62	- تمهيد.....
63	أولاً: لمحة تاريخية عن الريف الجزائري قبل الاستقلال وبعده.....
82	ثانياً: السكان في الريف الجزائري.....
82	1- الحجم والتركيب العمري.....
83	2- النشاط المهني والتوزيع.....
84	3- خصائص سكان الريف الجزائري.....

89 ثالثا: مراحل تطور النسق الثقافي الريفي بالجزائر
89 1- مرحلة التقليد
91 2- مرحلة التجديد
95 رابعا: آليات تطور النسق الثقافي الريفي
98 خامسا: الصراع الثقافي في الريف الجزائري
101 - خلاصة
102 الفصل الثالث: مؤشرات تطور النسق الثقافي الريفي
103 - تمهيد
104 أولا: المؤشرات المرتبطة بالجانب الصحي لسكان الريف
110 ثانيا: المؤشرات المتعلقة بالنشاط الاتصالي لسكان الريف
112 ثالثا: المؤشرات الخاصة بالقيم العائلية لسكان الريف
120 رابعا: المؤشرات المتعلقة باتجاهات سلوك الريفيين
124 خامسا: المؤشرات المتعلقة بالمعتقدات الشعبية لسكان الريف
130 سادسا: المؤشرات المتعلقة بالمجال المادي للثقافة الريفية
135 - خلاصة
	الجانب الميداني للدراسة
138 الفصل الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة
139 - تمهيد
140 أولا: المنهج المطبق في الدراسة
141 ثانيا: مجالات الدراسة
144 ثالثا: أدوات جمع البيانات
147 - خلاصة
148 الفصل الخامس: تحليل وتفسير بيانات الدراسة
149 - تمهيد
150 أولا: تحليل وتفسير البيانات الميدانية
212 ثانيا: النتائج التي انتهت إليها الدراسة
224 - خلاصة عامة للدراسة
226 الخاتمة
227 قائمة المراجع
238 الملاحق

فهرس الجداول

رقم الجدول	العنوان	الصفحة
1	تطور ملكية الأروبيين للأراضي الجزائرية من 1850 إلى 1951	64
2	سكان الريف الجزائري من 1866 إلى 1959	65
3	يوضح عدد سكان الريف الجزائري من 1966 إلى 2008	76
4	يوضح توزيع القوى العاملة في الجزائر سنة 2007 تبعا لقطاعات العمل والمجال المكاني	83
5	يوضح توزيع البلديات الريفية والحضرية في الجزائر	84
6	يوضح نسبة السكان الجزائريين تحت خط الفقر الوطني في الأرياف والمدن في سنوات 1995 و 2000	86
7	يوضح توزيع القوى العاملة تبعا للجنس والمجال المكاني في الجزائر	92
8	يوضح العلاقة بين جنس المبحوثين ووضعهم التعليمي	150
9	يوضح فئات السن للمبحوثين	151
10	يوضح الصفة العائلية للمبحوثين	152
11	يبين عدد أفراد العائلة الريفية	153
12	يبين العلاقة بين جنس المبحوثين ونشاطاتهم المهنية	154
13	يوضح مستوى دخل العائلة الريفية	155
14	يبين اللهجة المستخدمة في الوسط العائلي	156
15	يبين ملكية المبحوثين للأرض الزراعية	157
16	يبين نوع الإقامة بالريف للمبحوثين	158
17	يوضح المكان الذي تلد فيه المرأة الريفية عادة	159
18	يبين زيارة الريفيين لأضرحة الأولياء الصالحين للاستشفاء	160
19	يوضح اتجاه الريفيين في حالة المرض	161
20	يبين استخدام الطرق الشعبية في التداوي لدى المبحوثين	162
21	يبين أهم الأمراض التي تعالج بالطرق الشعبية في ريف الشعرة	162
22	يوضح كيفية تعامل الريفيين مع حالة الأمراض العصبية	164
23	يبين أهم الشروط الصحية التي تنقص منازل الريفيين	165

167	يبين التواصل الاجتماعي بين سكان الريف وأقاربهم وأصدقائهم الساكنين في المدن	24
168	يوضح طرق اتصال الريفيين بأصدقائهم	25
169	يوضح الأسباب الرئيسية لخروج السكان من الريف الذي يقطنون فيه ووتيرة هذا الخروج	26
170	يوضح امتلاك المبحوثين للهواتف النقال من عدمه	27
171	يوضح امتلاك أبناء المبحوثين للهواتف النقالة من عدمه	28
172	يبين متابعة الريفيين للإعلام المكتوب و المشاهد والمسموع	29
173	يبين مدى إطلاع سكان الريف على العالم الخارجي	30
175	يبين أهم مقومات الحياة الحديثة التي يتطلع إليها المبحوثين	31
177	يوضح تحديد سكان الريف لسن معين لزواج أبنائهم (قيم الزواج المبكر)	32
179	يبين كيفية تعامل المبحوثين مع مسألة حرية اختيار الفتاة لزوجها	33
180	يبين كيفية تعامل المبحوثين مع قضية توريث المرأة	34
181	يوضح قيم التفضيل بين الذكور والإناث لدى المبحوثين	35
182	يبين القيم الأهم التي يحرص عليها المبحوثون في تنشئة أبنائهم	36
183	يبين قيم الحوار بين الآباء والأبناء داخل العائلة الريفية	37
184	يوضح موقف المبحوث من قيم الجمعية والعائلية	38
185	يبين نظرة المبحوثين نحو كثرة الأبناء في العائلة (قيم الإنجاب)	39
186	يوضح تطلعات المبحوثين لمستقبل أبنائهم (قيم الطموح)	40
187	يبين خروج المرأة الريفية للعمل من عدمه	41
188	يوضح موقف المبحوثين من خروج المرأة للعمل	42
190	يبين خروج أبناء المبحوثين للتعليم	43
192	يوضح اتجاه المبحوثين نحو الزواج من خارج النسق القرابي	44
193	يبين اتجاه المبحوثين نحو أوجه جديدة للادخار والاستثمار	45
194	يوضح موقف المبحوثين من العمل الزراعي	46
196	يبين تطبيق المبحوثين لنظام التباعد بين الولادات من عدمه	47
197	يبين الوجهة التي يقصدها المبحوثون لحل مشاكلهم في حالة النزاع	48
198	يبين استخدام المبحوثين للتمائم في منازلهم وممتلكاتهم	49

199	يبين رأي المبحوثين في مقولة « إن فشل بعض التلاميذ والطلبة في مشوارهم الدراسي ورفضهم لاستكمال سببه الإصابة بالعين الحاسدة أو السحر»	50
200	يبين قيام المبحوثين بالإجراءات الاحترازية في أفراحهم لدرء خطر السحر والحسد	51
201	يبين رأي المبحوثين في المقولة « إن جفاف لبن المواشي فجأة، أو تعطل الآلات الحديثة كذلك فجأة سببه الإصابة بعين حاسد»	52
202	يبين المجالات التي يعتقد الريفيون أنها أكثر تعرضا للحسد	53
203	يوضح نوع الأدوات الزراعية التي يستخدمها المبحوثون في الزراعة	54
205	يوضح نوع الأثاث الموجود بمنازل المبحوثين	55
206	يبين الهيكل العمرانية لمنازل المبحوثين	56
207	يبين نوع المواد المصنوعة منها منازل المبحوثين	57
208	يوضح امتلاك المبحوثين وأسرهم للحاسوب من عدمه	58
209	يبين مساهمة أبناء المبحوثين للموضات الحديثة الخاصة بالأزياء	59
210	يوضح تدخل المبحوثين في طريقة لباس أبنائهم	60
211	يبين الأساليب المتبعة في تقديم وتناول الطعام لدى المبحوثين	61

مقدمة الدراسة

لقد تزايد الاهتمام بدراسة الثقافة في السنوات الأخيرة في مختلف مجالات البحوث الاجتماعية، خاصة في ميدان علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية وعلم النفس الثقافي، نظرا لأهميتها بالنسبة للأفراد والجماعات والمجتمعات.

كون الثقافة تولّد شعورا بالانتماء لأفراد الجماعة، وتربط بينهم كما تساعد على تزويدهم بطرق إشباع حاجياتهم، وتوجيه سلوكياتهم، وفي سياقها تبنى المشاريع والبرامج التنموية للأمم والدول.

لكن الثقافات عموما تتميز بالتنوع والاختلاف من بيئة إلى أخرى، بل وحتى في المجتمع الواحد، قد نجد عدة ثقافات جزئية وفرعية، خاصة بجماعات أو فئات معينة تشترك مع الثقافة العامة في الأساسيات وتختلف عنها في بعض السمات الخاصة.

ويعتبر المجتمع الجزائري واحدا من هذه المجتمعات القائمة بنيته الثقافية على التمازج بين أنماط مختلفة من الثقافات الفرعية التي تتبادلها الجماعات في كافة جهات الوطن، من بينها الجماعات الريفية التي تتميز بخصائص ثقافية تكون في مجموعها نسقا غنيا بقيمه وعاداته وتقاليده وأعرافه وضوابطه وفنونه.

تعرض جزء من هذه العناصر الثقافية لعمليات التغيير والتطور نتيجة لتوسّع انتشار التعليم وأجهزة الإتصال والإعلام الحديثة، واحتكاك السكان الريفيين بالجماعات البشرية الأخرى، وعوامل أخرى ساهمت كلها في توسّع الأفق الفكري والمعرفي للأفراد الريفيين والشروع في تغيير بعض قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم التي لا تتماشى مع متطلبات العصر الحديث.

ونسعى نحن من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن أهم التطورات التي عرفها النسق الثقافي الريفي في عناصره المادية والمعنوية، بناء على اختيار عدة مؤشرات نحتكم إليها لمعرفة مستوى هذا التطور وأهم مظاهره.

وبما أن الدراسة العلمية للنسق الثقافي الريفي يجب أن تكون شاملة وتكاملية إلى أبعد حد ممكن، حتى يمكن الكشف عن كل أبعاد هذا النسق ومكوناته وأهم التطورات التي لحقت به، ارتأينا إجراء دراسة ميدانية بأحد الأرياف الجزائرية وهو الشعرة، وخصينا نسقه الثقافي بالدراسة والتحليل كنموذج للثقافة الريفية الجزائرية.

أما دراستنا ككل فقد تم تقسيمها إلى قسمين أحدهما نظري والآخر ميداني، فالقسم النظري ضم كل من إشكالية الدراسة التي حددنا فيها موضوع البحث ومجموعة التساؤلات المثارة فيه، ثم أهمية ومبررات إختيار هذا الموضوع بالذات إلى جانب التطرق إلى تحديد مفاهيم هذه الدراسة لتتسم بأكثر واقعية وأكثر دقة ثم أبرزنا بعد ذلك أهم الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها من خلال تناولنا لهذا الموضوع ثم استعرضنا بعض الدراسات المشابهة لدراستنا الحالية وعقد مقارنات بين نتائجها.

كما ضم أيضا إلى جانب الإشكالية ثلاثة فصول أخرى أوردنا فيها ما يلي: الفصل الأول، جمعنا فيه أهم النماذج النظرية المفسرة للريف من جهة ومن جهة أخرى أهم الاتجاهات النظرية التي اهتمت بتحليل وتفسير النسق الثقافي، حتى يتسنى لنا وضع دراستنا الحالية في إطار مرجعها الفكري والنظري وتسهيل علينا عملية مناقشة النتائج فيما بعد.

الفصل الثاني: تناولنا فيه واقع السكان ونسقهم الثقافي بالريف الجزائري لأن الظاهرة الاجتماعية لا نستطيع فهم حاضرها إلا عند الرجوع إلى ماضيها وأصلها وكيف كانت وكيف أصبحت، وبالتالي انطلقنا في هذا الفصل بتقديم لمحة تاريخية عن الريف الجزائري خلال فترة الإحتلال الفرنسي وبعد الإستقلال، ثم انتقلنا بعده مباشرة إلى عرض أهم خصائص سكان الريف الجزائري حاليا من حيث الحجم والتركيب العمري والنشاط المهني والتوزيع.

وبما أننا نتحدث عن ظاهرة التطور فلا بد أن يكون له مراحل، ذكرناها بالترتيب بدءا بمرحلة التقليد وصولا إلى مرحلة التجديد، ثم وقفنا عند أهم الآليات التي ساهمت في تطور النسق الثقافي الريفي كالتوسع التربوي ووسائل الإتصال والإعلام الحديثة وغيرها، ثم ختمنا هذا الفصل بالتحدث عن ظاهرة الصراع الثقافي في الريف الجزائري والتي استخلصنا من خلالها أن الصراع أساسا يتمحور بين الآباء والأبناء أو ما يسمى بصراع الأجيال.

الفصل الثالث: حددنا فيه أهم المؤشرات التي تدل على تطور النسق الثقافي الريفي عموما، كالمؤشرات المرتبطة بالجانب الصحي لسكان الريف والمتعلقة بالنشاط الإتصالي لديهم وأخرى خاصة بنمط القيم والاتجاهات والمعتقدات التي يكرسها السكان الريفيون وصولا إلى المؤشرات الخاصة بالمجال المادي للثقافة الريفية والتي كنا نصبوا من خلال عرضها، الاحتكام إليها لإبراز مدى تطور النسق الثقافي الريفي الجزائري وأهم مظاهر التطور.

أما القسم الميداني فقد ضمّ فصلين، الأول خصصناه للإجراءات المنهجية المستخدمة في البحث، واعتمدنا فيه على المنهج الوصفي لأنه ملائم لطبيعة دراستنا وموضوعها واستعنا ببعض أدوات جمع البيانات، تمحورت في استمارة المقابلة، حيث اتجهنا إلى المنطقة المستهدفة بالدراسة

وبعد تحديدنا لعينتنا قمنا باستجواب المبحوثين عن طريق مقابلتهم وإجراء ما يشبه الحوارات معهم خاصة وأن البعض منهم أُمي ولا يتقن استخدام اللغة العربية، فاضطررنا لترجمتها إلى الشاوية.

بالإضافة إلى وسيلة استمارة المقابلة، استخدمت أيضا الملاحظة البسيطة والتي استخدمتها أكثر في ملاحظة بعض المظاهر المادية من ثقافتهم كنمط المساكن وأزيائهم وأثاث منازلهم، إلى جانب الوثائق والسجلات والتي تتلخص أساسا في الوثائق المتحصل عليها من طرف بلدية بومقر المجال العام لدراستنا وبعض الصور والإحصائيات.

أما الفصل الثاني في الجانب الميداني فقد قمنا فيه بجدولة البيانات الميدانية، وتحليلها وتفسيرها، وصولا إلى عرض النتائج النهائية للدراسة ومناقشتها في ضوء الدراسات المشابهة والاتجاهات والنماذج النظرية والتساؤلات .

هذا، وقد تنوعت المصادر التي إستندنا إليها في جمع المعلومات والبيانات سواء النظرية أو الميدانية بين المراجع المتنوعة باللغة العربية وباللغة الفرنسية وبين المجالات والرسائل الجامعية والإحصائيات وغيرها.

إشكالية الدراسة

أولاً: تحديد موضوع الدراسة

ثانياً: أهمية ومبررات اختيار موضوع الدراسة

ثالثاً: مفاهيم الدراسة

رابعاً : أهداف الدراسة

خامساً: تساؤلات الدراسة

سادساً: الدراسات المشابهة

أولاً: تحديد موضوع الدراسة

تفرض طبيعة البشر النزوع للعيش في جماعات، تربط بينهم الحاجات المشتركة والأهداف الجماعية، ويتحقق لديهم نمط من التفاعل والعلاقات المتبادلة.

وحتى يعيشون ويعملون معاً، فإنهم يتطلبون قواعد معينة توجه حياتهم الجماعية، يطلق على مجموع هذه القواعد اختصاراً تسمية الثقافة، والتي يمكن النظر إليها على أنها الطريقة الشائعة والمعلومة للحياة، والتي يتقاسمها أعضاء المجتمع، وهي التي جعلت المجتمع الإنساني يتميز عن غيره من المجتمعات الحيوانية.

ومما لا شك فيه، أن لكل مجتمع خصائص ثقافية عامة تشكل في مجموعها نسقه الثقافي العام والذي ينفرع بدوره إلى عدة أنساق أخرى فرعية خاص بفئات وطوائف وجماعات اجتماعية متميزة من حيث اهتماماتها وأنماط سلوكها وطريقة حياتها، ويعتبر سكان الريف الجزائري واحداً من هذه الجماعات والمجتمعات التي لها نسقاً ثقافياً فرعياً، يشترك مع النسق العام في عدة أسس ثقافية محورية كاللغة الرسمية والدين والتراث والنظم الاجتماعية وغيرها.

لكن في نفس الوقت يحتفظ لنفسه ببعض السمات والعناصر التي تميزه عن باقي ثقافات الجماعات الحضرية والبدوية الأخرى، مثل نمط القيم والمعتقدات التي يكرسها السكان الريفيون في حياتهم الاجتماعية وتوجهاتهم، ونمط الاتصال لديهم وأساليبهم العلاجية ونوعية مساكنهم وأزيائهم وأثاثهم وغيرها من العناصر الثقافية الأخرى.

فالقيم تتسم بنوع من الخصوصية، وتأخذ مكانة رئيسية وهامة في البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع الريفي الجزائري، خاصة منها القيم العائلية القائمة أساساً على مبدأ القرابة في استغلال الأرض وعلاقات الزواج من الأقارب، والعيش في إطار جمعي عائلي.

وبالتالي فهي تعكس الأسلوب المتبع لدى الريفيين في العيش والطريقة التي يفكرون بها.

أما التوجهات أو الاتجاهات والتي تعبر عن حالة التأييد أو المناهضة إزاء موضوع أو قضايا معينة، وعلى أساسها يتحدد سلوك الأفراد والجماعات فإنها لدى سكان الريف الجزائري، تتحكم أكثر في توجيه سلوكهم.

فمثلاً نجد لدى بعض العائلات الريفية، بنات غير متعلمات، وأخريات يرغبن في العمل خارج المنزل، لكن لم يتحقق لهن ذلك نتيجة الفكرة أو الاتجاه المسبق لدى أفراد هذه العائلة نحو خروج المرأة للتعليم والعمل والذي كانوا يرون فيه أمراً اجتماعياً غير مرغوب فيه.

في حين نجد أن المعتقدات الشعبية كانت تتحكم في أكثر المواقف التي يتعرض لها السكان الريفيون في الجزائر، سواء كان هذا الموقف مرضاً أو أزمة اقتصادية أو اجتماعية، كالفشل في الدراسة أو العمل، أو تأخر في سن الزواج والعقم وعدم إنجاب الذكور، وغيرها.

مما جعل تفسيراتهم لهذه المواقف والحوادث التي تطرأ عليهم تأخذ المنحى الغيبي، خاصة ربط كل شيء تقريباً بالسحر، أو الحسد والابتعاد عن التفسير العلمي والموضوعي والواقعي.

أما الأساليب والطرق العلاجية فقد كانت تميل إلى التقليدية أكثر من الحديثة، كالتداوي مثلًا بالأعشاب والكي بالنار، وقد ارتبط استخدام هذه الأساليب العلاجية لدى الريفيين بالتفسير المسبق لديهم لنوعية المرض فكلما كان التفسير واقعيًا كان الاتجاه نحو الطب الحديث وكلما كان التفسير غيبيًا وغير علمي كان الاتجاه نحو الطرق الشعبية في التداوي وبالذات الطقوسية منها كالزردة والنشرة مثلًا لمعالجة بعض حالات الأمراض العصبية.

في حين كان الطابع الشخصي وعلاقات الوجه للوجه تطبع نظام الاتصال الريفي، حيث كان هناك تفاعل واحتكاك مباشرين بين سكان الريف خاصة أثناء العمل في الحقل أو صلاة الجمعة، أو خلال الزيارات والمناسبات التي يشتركون فيها جميعًا.

أما نمط المساكن والأثاث والأزياء والطعام وطرق الطهي، والتي يعتبرها البعض مجرد مقتنيات مادية، فهي في الحقيقة تعبر عن المحتوى المعرفي لثقافة السكان الريفيين وغيرهم.

فالمنازل والأدوات والأثاث ما هي إلا أفكار وتصورات وعاهها عقل الإنسان وحفظها في ذاكرته فترات زمنية متباينة الأجل قبل أن يجسدها في الواقع.

وقد كانت لدى الريفيين الجزائريين تستمد في القديم من البيئة المحلية كالطين والأخشاب في صنع الأواني والحجارة في صنع المنازل، وبذلك اتصفت بالبساطة وعدم التنوع.

وإذا أردنا الكشف عن الأسباب التي ساهمت في تشكيل هذه الملامح التقليدية للثقافة الريفية سابقاً، من خلال العناصر الثقافية التي أتينا على ذكرها، سنجد العزلة الاجتماعية والمكانية التي كان يعاني منها الريف الجزائري، إلى جانب انتشار الأمية بشكل كبير خاصة في الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال مباشرة نتيجة الأوضاع المزرية التي خلفها المستعمر من ورائه.

دون أن ننسى دور العائلة والجماعة الريفيين اللتين لعبتا دوراً كبيراً في توجيه الفرد للتصرف في حدود القواعد والمعايير التي سنتها حتى وإن كانت لا تتماشى مع طموحاته، فهو لا يستطيع مخالفتها، لأنه سيتعرض إلى جملة من العقوبات كالطرد أو الحرمان من الميراث مثلاً.

لكن نظرا للتطورات والتغيرات التي شهدتها الجزائر مؤخرا في شتى المجالات كالتوسع التربوي الكبير الذي مس المدن والأرياف على السواء، حيث تم تقريب مصادر التعليم والثقافة من سكان الريف أدى إلى انخراط أعداد هائلة منهم في المدارس والجامعات والمعاهد.

كما ساهم تماثل التعليم الرسمي ومواده في الريف والمدينة على تلقي نفس المبادئ والأفكار، مما شجع بعض الأفراد الريفيين، أو اضطر بعضهم إلى تبني كثير من الأساليب الجديدة في الحياة وتحررهم من القيود المفروضة عليهم عن طريق روابط القرابة وكبار السن، وبعض العادات والمعتقدات التي تحد من نشاطهم الفكري والعملية.

فأصبحنا نشاهد مثلا خروج المرأة الريفية للعمل وخاصة المتعلمات منهن، فيما كان في السابق يحضر عليهن ذلك وينظرون إليه باحتقار وازدراء وهو ما تؤكد الإحصائيات المنشورة في موقع الديوان الوطني للإحصاء (O.N.S)، حيث سجل سنة 1998 ما يقدر بـ 9 آلاف و 181 عاملة ريفية وارتفع العدد ليصل سنة 2007 إلى 302534 امرأة ريفية عاملة أي 22.7% من مجموع النساء العاملات الجزائريات ككل.

وأصبح الشباب الريفي يبني علاقات جديدة خارج المحيط الريفي، نتج عن الكثير منها، مثلا الزواج من خارج النسق القرابي.

هذا دون أن ننسى الدور الكبير والفعال الذي تلعبه وسائل الاتصال الحديثة بمختلف أنواعها وفضاءات الإعلام المكتوب والمشاهد والمسموع، في كسر الحواجز التي كانت سابقا سببا في عزلة الأرياف عن المدن.

ولذلك عملت آليات الاتصال الحديث على نقل العالم الخارجي إلى المجتمع الريفي وهو ما كوّن لدى الإنسان الريفي أنماطا جديدة من التفكير والسلوكيات وجعلته يعيش ما يحدث في العالم ليس على المستوى المحلي أو الوطني فقط بل حتى على المستوى العالمي.

ولذلك وكما يقول الدكتور عبد الحميد بوقصاص أن وسائل الاتصال يجب النظر إليها من زاوية كونها استعمالا متضمنا لعمليات ثقافية واجتماعية وسيكولوجية، تكسب السكان الريفيين الثقافة المادية وغير المادية وتساهم في تطورها.

وبناء على ما تقدم، نخلص إلى القول بأن الجماعات الريفية في الجزائر وحتى تلك التي تعتبر بمعزل عن المراكز الحضرية، لا يمكن أن تكون بعيدة أو معزولة عن تأثير التيارات الثقافية الحديثة بسبب العوامل السابقة الذكر إضافة إلى أن المجتمع الجزائري شهد مؤخرا تغيرات وإصلاحات عديدة، مس جزء منها المجتمع الريفي فتمكنت وبفعل برامج وسياسات موجهة من تغيير

وتجديد عناصر النسق الثقافي الريفي وتطويره باستمرار ، لكن حقيقة ماهي المظاهر التي تدل على
تطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري ؟

ثانياً: أهمية ومبررات اختيار موضوع الدراسة

استشعرنا أهمية ومبررات اختيار موضوع الدراسة في العوامل التالية:

1- حاجة المجتمع الريفي إلى البحوث والدراسات العلمية المعمقة فيما يتعلق بنسقه الثقافي خاصة وأن عمليات التنمية التي تستهدف المجتمعات الريفية غالباً ما تصطدم ببعض الرواسب الثقافية التي تبقى حاجزاً ومعرقلاً أساسياً لمثل هذه العمليات.

2- ضرورة محو الصورة الشائعة والحكم المسبق على سكان الريف بأنهم يعانون من التخلف الثقافي والفراغ الفكري خاصة فيما يتعلق باتجاهاتهم وميولهم وأذواقهم وأنماط السلوك والتفكير عندهم.

3- ضرورة تطوير الثقافة المحلية الريفية لتطوير المجتمع الريفي والخروج من العزلة والتخلف الذي أصابه أو قد يصيبه.

4- إن الجماعات الريفية وحتى تلك التي تعتبر بمعزل عن المراكز الحضرية لا يمكن أن تكون بعيدة أو معزولة عن تأثير التيارات الثقافية الحديثة وذلك بفضل سهولة وسائل الاتصال ولذا وجب علينا نحن كباحثين إبراز أوجه التأثير في الثقافة الريفية نتيجة هذا التقارب والاتصال.

5- ملاحظة ظهور أنماط جديدة من السلوكيات لدى السكان الريفيين وتغير بعض القيم والعادات لديهم وبرزت أشكال جديدة في اللباس والمساكن والمعدات المنزلية وهي عناصر ثقافية لم تكن موجودة من قبل في الأوساط الريفية التي نعيش فيها، مما ساهم في إدراك أهمية الموضوع وضرورة الخوض فيه بشكل أعمق وأدق.

6- قلة الدراسات حول الموضوع وبخاصة حول المجتمع الريفي الجزائري.

7- ما زال سكان الريف يحتلون نسبة لا بأس بها في المجتمع الجزائري والتي حددت في الإحصاء الأخير سنة 2008 بـ 37.4% من مجموع السكان الكلي أي ما يقارب 13 مليون ريفي، وهو ما حفزنا على ضرورة دراسة سكان هذه المناطق الريفية، والتعرف أكثر على النمط الثقافي السائد لديهم.

ثالثاً: مفاهيم الدراسة

يقال " إن معركة علم الاجتماع هي معركة مفاهيم"¹ فمن قام بالتحكم في هذه المفاهيم وتحديدها تحديداً دقيقاً، حتماً سوف يتسم بحثه بأكثر واقعية وأكثر دقة، ولهذا سنحاول في هذا البحث استعراض آراء العلماء حول بعض المصطلحات الخاصة بدراستنا الحالية وهي كما يلي:

1- مفهوم التطور

يشير هذا المصطلح إلى التغيير التدريجي، كما يدل على الطريقة التي تتغير بها الأشياء من حال إلى أخرى ببطء، فالنبات يتطور من بذرة والرجل يتطور من طفل، وهناك تطور كوني، يدل على تطور العالم والأجرام السماوية من النشوء والارتقاء، ثم الفناء وهناك التطور العضوي أو النمو وهو يشير إلى دورة الكائن الحي من الولادة إلى الترعير والنضوج ثم إلى الوفاة والفناء، وبجانب التطور العضوي هناك التطور العقلي، وما يصحبه من نمو وارتقاء في التفكير والشعور والإدراك ثم النضوج واضمحلال وفناء.²

المتأمل لهذا التعريف يجد أو يلحظ أن التطور قد يكون خارجاً عن إرادة الإنسان، وبالتالي فهناك ظواهر تتغير وتتطور طبيعياً دون تدخل مقصود من طرف الإنسان فيها كما هو الحال في الظواهر الكونية مثلاً أو ظاهرة النمو للكائن الحي وغيرها من الظواهر الأخرى.

أمّا عن استخدام مصطلح التطور في علم الاجتماع فقد اتسع مفهومه ليشمل " التغيير التدريجي الذي يقع في كل المجتمعات"³.

هذا التغيير الذي تراه النظرية التطورية التي ارتبطت بالعلماء الاجتماعيين وعلى رأسهم هربرت سبنسر بأنه " تغيير تقدمي تشهده المجتمعات البشرية، وهو الذي أدى إلى حضارة أرقى وإلى تحسن أخلاقي للمجتمع البشري"⁴ وقد يكون هذا التقدم عاماً شاملاً لشتى مظاهر الحياة، فتشهد نوعاً من النمو والرقى في الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية وقد يكون جزئياً فلا يصيب إلا بعض أجزاء المجتمع وبعض مظاهر الحياة في حين تظل الأخرى في حالة

¹ - عبد الحميد بوقصاص. النماذج الريفية - الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري (الجزائر: مخبر التنمية والتحويلات الكبرى، بدون سنة النشر) ص.55.

² - كمال التابعي. مقدمة في علم الاجتماع الريفي، ط1 (القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2007) ص.62.

³ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

⁴ - جوردن مارشال. موسوعة علم الاجتماع، ج I ، تقديم محمد الجوهري (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة- إدارة المطبوعات والنشر، 2000) ص. 419.

تخلف نسبي وبما أننا نخص هنا بالدراسة التطور في النسق الثقافي، فيمكن أن نصل إلى أن التطور في الثقافة تعني الانتقال من السمات التقليدية إلى السمات الحديثة والرقى في الفكر والسلوك.

2- مفهوم النسق الثقافي

أ- **النسق:** " كلمة نسق باللغات الأوروبية أنتت من كلمتين يونانيتين Stema, Syn، أي وضع أشياء بعضها مع بعض في شكل منظم ومنسق، فالنسق إذن هو مجموعة من الأجزاء المرتبة ترتيباً خاصاً متصلة ببعضها البعض، لكي تؤدي إلى غرض معين أو لكي تقوم بوظيفة خاصة، " فالآلة مثلا نسق " ¹ لأنها متكونة من أجزاء متصلة ببعضها البعض، وظائف هذه الأجزاء مع بعضها البعض يؤدي إلى قيام الآلة ككل وتحقيق الغرض منها.

أما النسق في علم الاجتماع فقد استخدم أول مرة على يد بارسونز في الدراسات الاجتماعية، وأراد أن يشير به إلى " أن الظواهر الاجتماعية تكون وحدات يرتبط أجزاؤها بعضها ببعض وأنه في ضوء هذه الأنساق يمكن فهم الظاهرة في ظروفها الخاصة".²

فالنسق الاجتماعي يمكن أن يعبر عن المجتمع ذاته وكيف تكاملت نظمه ورتبت أجزاؤه في إطار منظم ومنسق، والصلات الموجودة بين أفراد المجتمع وهيأته ووظيفة كل هيئة واتصالها بالوظائف الأخرى ليؤدي المجتمع أهدافه.

ب- **الثقافة:** وردت كلمة الثقافة في بعض المعاجم العربية بمعنى " التعلم والتهديب، كما يشير اللفظ عموماً إلى ما يدل على الإدراك والفتنة والوعي وأيضا المهارة والتفوق والحدق والإحاطة بكثير من المعارف والعلوم"³.

أما الأصل الاصطلاحي لكلمة ثقافة " فهو مشتق من الفعل اللاتيني Colere ومعناه يغرس أو يعلم ويصبح الاسم بذلك متصلاً بعمليات الغرس والتلقين عن طريق البيئة والمحيط الاجتماعي"⁴.

غير أن المدلول العلمي يختلف عن المعنى اللغوي كثيراً، فقد ظهرت العديد من الدراسات والبحوث التي تعنى بتعريف الثقافة وتحديد معالمها يتصل معظمها (أي الدراسات) بعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا، فتعددت التعاريف واختلقت الآراء لكن يبقى هناك اتفاق شبه عام بين

¹ - معجم العلوم الاجتماعية. ترجمة وتصدير إبراهيم مذكور (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975) ص.600.

² - المرجع نفسه، ص.601

³ - محمد عيد المعبود مرسى. التفسير الاجتماعي للثقافة (الإسكندرية: دار الجامعية، 1990) ص.06.

⁴ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

العلماء على الأخذ بالتعريف الشهير الذي قدمه تايلور وافتتح به كتابه «الثقافة البدائية» وفيه يقول: " الثقافة هي ذلك الكل المركب، الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع"¹.

حيث يقصد تايلور بالكل المركب الإشارة إلى أن الثقافة تحوي على تعقيدات وتركيبات متعددة مهما كان مستواها فمثلا يمكن أن نجد داخل الثقافة الواحدة عدداً من الثقافات الفرعية الأصغر، وبذلك فهي ذلك المجموع الكلي للأفكار ونماذج السلوك التي اكتسبها أعضاء المجتمع عن طريق التوجيه أو المحاكاة والتقليد وبكل طرق التعلم والتلقين.

وقد اتسم هذا التعريف عموماً بالنظرة الكلية الشمولية للثقافة كوحدة متكاملة دون النظر إليها كوحدات منفصلة، بالإضافة إلى الاهتمام بتعداد الأشكال أو المظاهر المختلفة لمحتوى الثقافة والتي يختلف العلماء كثيراً في تحديد وحصر هذا المحتوى، فمنهم من يقول أن الثقافة تشمل النواحي المادية والمعنوية مما أنتجه الإنسان ومنهم من يقول أن الثقافة تقتصر على النواحي المعنوية فقط كالمعرفة، والمعتقدات والقيم والعادات والتقاليد وغيرها وتبريرهم على ذلك هو أن " فكرة الشيء هي التي تهتم وليس الشيء نفسه، وإن زوال الأشياء وبقاء الفكرة كفيل بإعادة تلك الأشياء، وبهذا فالثقافة عقلية تتكون من معان وأفكار وقيم "²

في الواقع مفهوم الثقافة يعتبر من المفاهيم الاجتماعية الأكثر اتساعاً وشمولاً وبعداً عن التحديد، " فقد امتد في بعض التعاريف ليشمل كل شيء وكل أثر إنساني في الطبيعة"³، وفي هذا الصدد قام كل من كروبر وكلاكهون بمسوح دراسية حول معنى الثقافة والتي جمعها من صفحات ما يقرب ستمائة مجلد متنوع في الدراسات الإنسانية بمكتبة جامعة هارفرد الأمريكية وتوصلاً إلى أن مضمون الثقافة يمكن أن تشمل ما يلي:

كافة القدرات والوسائل، والمهارات والسلوك والعادات و المعرفة، الفن، اللغة، العلم، الفكر المتناقل والفلسفة والأفكار والعمليات الإدراكية، وآداب السلوك والأخلاق، والذوق الاجتماعي والديناميات والقواعد، والعرف، الأنظمة، القانون، مستوى الفهم ومنتجات النشاط الإنساني، الكتب، المباني، سلع الاستهلاك الوسائل، المخترعات النقوش، الأدوات. المأوى، الأواني، الأسلحة الإرث الاجتماعي، النظم الاجتماعية، القيم، المثاليات، وطرق التفكير في الحياة وفي العمل وفي

¹ - محمد عباس إبراهيم. الثقافات الفرعية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2001)ص.84.

² - إبراهيم عثمان. مقدمة في علم الاجتماع (الأردن: دار الشروق، 2004)ص.157.

³ - سمير إبراهيم حسن، الثقافة والمجتمع تقديم خضر زكريا (دمشق: دار الفكر، 2007)ص.34.

الشعور أو الأحاسيس وكافة الأنساق المرتبطة بالتفكير
والمعرفة.¹

وبذلك يمكن أن نخلص هنا ومن خلال هذه التعاريف إلى أن الثقافة مفهوم واسع ومعقد نوعا ما، لكن كاستخلاص يمكن أن نقول أن الثقافة تعني " أسلوب الحياة الفكري والمادي الذي يكتسبه الإنسان في هذا المجتمع أو ذلك"² ، وهي التي جعلت المجتمع البشري يتميز عن غيره من المجتمعات الحيوانية.

ولكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها، كما أن لكل ثقافة مميزاتها وخصائصها التي تحدد هويتها، كما أن لها مقومات مادية وأخرى معنوية، فالمادية تتألف من طرائق المعيشة والأدوات التي يستخدمها أفراد المجتمع في قضاء حوائجهم كأدوات الصيد والزراعة والقتال والطهي ... وغيرها، كذلك الأزياء وأسلوب الترفيه والتكنولوجيا، كلها أمور وعناصر تشملها الثقافة المادية أما المقومات المعنوية فهي مجموعة العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والقانون والأعراف والدين والأدب والتي تسود في المجتمع وتحدد علاقة أفرادها بعضهم ببعض.

أما عند جمع مفهوم النسق مع مفهوم الثقافة يتشكل لدينا ما يسمى بالنسق الثقافي الذي هو " رسم صورة للعلاقات الاجتماعية تحت ظل ثقافة معينة أو للنظم الاجتماعية التي تتألف منها تلك الثقافة والوظائف التي تقوم بها وصلتها بعضها ببعض والتكامل الموجود بينهما وكيف يؤدي ذلك إلى قيام الثقافة بتحقيق الهدف المراد تحقيقه منها"³.

والنسق الثقافي قد يكون خاصا بمجتمع واحد وقد يشمل عدة مجتمعات كأن نقول النسق الثقافي العربي أو الإسلامي أو الغربي، إلى جانب أنه قد يخص به جزء من المجتمع كأن نقول مثلا النسق الثقافي الريفي أو الحضري.

أما إذا أردنا أن نعطي تعريفا إجرائيا للنسق الثقافي فنقول أنه مركب من أنماط التفكير والسلوك الخاص بجماعة معينة أو هو أسلوب الحياة الفكري والمادي الذي تتبعه هذه الجماعة أو المجتمع

3- مفهوم سكان الريف.

¹ - محمد عباس إبراهيم. المرجع سابق، ص. 87.

² - سامية محمد جابر وآخرون. علم الاجتماع (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2001)ص.207.

³ - معجم العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص.601.

أ- **السكان:** " السكان مجموعة من الناس تمارس نشاطها الحياتي في إطار مجتمع معين ... كما يرى بعض الباحثين أن كلمة سكان (Population) تعني مجموع عدد الأشخاص المقيمين عادة وإن لم يكن دائماً في منطقة وفي وقت معين"¹ .

والسكان كمفهوم نظري وعملي في آن واحد يتحدد في أربعة جوانب هي:

الحجم: نقصد به العدد ودرجة الكثافة السكانية.

- **النشاط:** يتحدد في نوعية الوظائف والأعمال التي يقوم بها سكان منطقة معينة، وهو ما يسمى بالتركيب المهني للسكان.

- **التركيب:** يتحدد أساساً في التركيب النوعي والعمرى للسكان بمعنى الجنس وفئات السن ويظهر كذلك من خلال الانتماء الطبقي للأفراد.

- **التوزيع:** يشير إلى مواقع التركز للسكان جغرافياً وأسلوب تجمعهم أو تفرقهم سواء في الأحياء أو المدن أو القرى والأرياف.

ب- الريف

" أصل الكلمة يوناني وهي Rus التي تعني الريف"²، لكن يبقى تعريف الريف من الأمور الصعبة لأنه لا ندري أين ينتهي الريف لتبدأ المدينة، وهل تشمل المجموعة الريفية أناساً غير الفلاحين؟ وهل المزارعون كلهم ريفيون؟ ولتذليل هذه الصعوبات جاءت عدة محاولات للتفريق بين الريف والمدينة ووضعت مقاييس عدة لهذا الغرض.

اختلفت باختلاف اعتبار الدول لها فمنها ما يجعل من عدد معين من السكان الحد الذي يفصل بين الريف والمدينة، بينما يعتمد البعض الآخر على مقياس التقسيم الإداري، بينما يذهب فريق آخر إلى الاعتماد على معيار المهنة " فالمدينة في نظر أصحاب هذا الرأي هي التي يشتغل حوالي 80% من سكانها بالأعمال الصناعية والتجارية، بينما يعتمد معظم أبناء الريف في حياتهم على زراعة الأرض وتربية المواشي وما يتصل بهما من أعمال وفعاليات أخرى"³ .

وقد تعددت بذلك المعايير المفرقة بين الريف والمدينة، وظهرت بذلك اتجاهات كثيرة في تحديد هذا المفهوم، فمنهم من عرفه في ضوء المدخل الثقافي على أنه " مجموع الأشخاص اللذين لهم طابع ثقافي مشترك"⁴ . ومنهم من عرفه في ضوء المدخل الاقتصادي على أنه عدد من المنتجين الزراعيين لغرض الاستهلاك الخاص، أما البعض الآخر فقد ركز على أهمية المكان

¹ - سلوى عثمان الصديقي، أميرة منصور يوسف علي. المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005)ص.14.

² - عبد الحميد بوقصاص. المرجع سابق، ص.67.

³ - عبد الرزاق الهلالي. المجتمع الريفي العربي والإصلاح الزراعي (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بدون سنة نشر)ص.16.

⁴ - أحمد بوزراع. " مفهوم الريف"محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير - فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

والبقعة الجغرافية واهتموا بالبحث بين علاقة السكان والأرض في مسألة تكيف الإنسان مع بيئته وهو اتجاه إيكولوجي.

في حين ينظر بعض العلماء إلى الريف على أنه مجموعة من الأشخاص المتشابهين من الناحية النفسية ويتميزون بوجود روابط روحية، توحد بينهم، وهذا يشعرهم بالأمن والانتماء والتوازن النفسي، وهو اتجاه نفسي.

أما في معجم العلوم الاجتماعية فقد وردت كلمة الريف بمعنى " البيئة التي يعيش فيها الفلاحون ويمارسون فيها نشاطهم".¹

في هذا التعريف نجد أنه ركز على البيئة وكيفية استغلال السكان للأرض دون التعرض لباقي المميزات والخصائص.

على كل حال لا يمكن التوصل إلى تعريف تام وقاطع للريف لأنه يختلف من مجتمع إلى آخر إلا أنه يبدو أن التعريف الذي قدمه الأستاذ عبد المجيد عبد الرحيم في كتابه « علم الاجتماع الريفي» حيث عرف الريف على انه " ذلك المجتمع الجزئي الذي تقوم فيه الحياة على استغلال الأرض أو الطبيعة بشكل مباشر ويقوم على القرابة"²، هو المفهوم الأقرب إلى بعض المجتمعات الريفية للعالم الثالث، رغم أنه وبعد استقلال معظم هذه المجتمعات واسترجاع سيادتها عرفت تحولات كبيرة مست هذه الأرياف وعلى كافة الأصعدة.

فالزراعة مثلا لم تعد تشكل المصدر الحقيقي لدخول العديد من الريفيين، والمقصود بالتعريف السابق هو أن الريف جزء من المجتمع الكلي الذي يضم إلى جانب المجتمع الريفي المجتمع الحضري أيضا ومبني على القرابة، لأن الزراعة آنذاك تتطلب جهود العائلة الريفية كلها وكل من يمت بصلة لهذه العائلة لتكون الاستفادة جماعية.

ملاحظة:

يجدر بنا الإشارة إلى التفرقة في بعض المفاهيم الخاصة بعلم الاجتماع الريفي ومنها بالأخص الفرق بين البادية والريف والقرية فكثيرا ما نخلط بينهما بالرغم من أن لكل مصطلح ميزة أو خاصية تفرقه عن الآخر " فالبادية يمتاز سكانها بالترحال ويمارسون إلى جانب الزراعة الرعي وبعض الصناعات التقليدية كالنسيج عكس الريف الذي يتميز سكانه بالاستقرار، أما القرية فهي المنطقة التي تمزج بين الريف والحضر ويمتاز سكانها بأكثر استقرار ويمارسون إلى جانب الزراعة والرعي بعض النشاطات الصناعية خاصة الحرفية منها إلى جانب الأعمال التجارية"³.

¹ - معجم العلوم الاجتماعية. المرجع السابق، ص.ص. 298-299.

² - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص.73.

³ - حسين لوثن. " مدخل مفاهيمي للاقتصاد الريفي"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير. فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

وبهذا نجد أن هذه المفاهيم تتداخل مع بعضها البعض بشكل بنائي وظيفي فالبادية امتداد للريف وكلاهما يمتد إلى القرية كشكل للتجمع السكاني الذي تحول مع تطور المجتمع في بعض المناطق إلى مدينة.

ومن هنا نخلص إلى تعريف خاص **بسكان الريف** فهم المجموعة السكانية غير الحضرية أي السكان المستقرون في النطاق غير الحضري ويمارسون حرفا وأعمالا بالزراعة ليست هي بالضرورة المصدر الوحيد لدخولهم.

هذا الاستقرار لدى بعض الباحثين قد يكون دائما كما هو الحال بالنسبة للسكان العاملين اللذين يعيشون ويعملون في الريف أو السكان الذين يعيشون في الريف لكنهم يمارسون نشاطات في المدينة أو قد يكون مؤقتا كالعمال الساكنين في المدن ويعملون بشكل مستمر أو متقطع في الريف، هذا من جانب، من جانب آخر نجد البعض الآخر يصنف سكان الريف في ثلاث مجموعات هي كالاتي:

- أ- **سكان أساسيون:** يعتمدون في حياتهم على استغلال الأرض.
 - ب- **سكان ثانويون:** هؤلاء يشكلون الفئة التي تقدم خدماتها للمجموعة الأساسية مثل أصحاب الحرف وغيرهم من الممومنين للنشاط في الريف (جلب الآلات).
 - ج- **السكان المؤقتون (الطارئون):** هم السكان الذين يقيمون بشكل مؤقت في الريف¹.
- ملاحظة:**

هذه التصنيفات تستند إلى مجال البحث وماذا تبحث عنه.

¹ - الشريف بن السعدي. " سكان الريف وأشكال التجمعات الريفية"، محاضرة ألفت على طلبة السنة الأولى ماجستير- فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

رابعاً: أهداف الدراسة

لا تخلو أي دراسة سوسولوجية سواء كانت نظرية أو عملية، إلا وتتحرك نحو بلوغ مقاصدها العلمية بالدرجة الأساس، إضافة إلى ما يحكمها من أبعاد عقلية وكشفية، واتفاقاً مع هذا المبدأ، يليق بنا ونحن نعالج هذا الموضوع بالذات، أن نعمل وعن تبصير لتحقيق مجموعة من الأهداف هي:

- 1- محاولة إبراز أهم مظاهر التطور في النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري من خلال استعراض عدة مؤشرات دالة على ذلك، وتحديد أي العناصر الثقافية أكثر قابلية للتطور المادية منها، أو المعنوية.
- 2- تحديد معالم النسق الثقافي الذي يتمثله سكان الريف الجزائري من خلال محاولة الكشف عن أبعاد هذا النسق ومكوناته والآليات المساعدة على تطوره.
- 3- الكشف عن الأبعاد الثقافية التي تتضمنها وتفصح عنها بعض الأساليب المستخدمة لدى سكان الريف في معالجة الأمراض.
- 4- التعرف على آليات وأساليب الاتصال المستخدمة من قبل السكان الريفيين ودرجة استخدامهم لها خاصة الحديثة منها، في خطوة منا لمعرفة فيما إذا كان هؤلاء السكان لا زالوا يعانون من العزلة والانغلاق أم أنهم أصبحوا أكثر انفتاحاً على الثقافات الأخرى ودور وسائط الاتصال في رسم ثقافة جديدة لديهم.
- 5- التعرف على بعض القيم السائدة في المجتمع الريفي الجزائري والوقوف عند بعض التغيرات التي طالتها في محاولة منا لمعرفة مدى تطور هذه القيم خاصة وأنها تعتبر مفتاحاً هاماً لفهم الثقافة الإنسانية.
- 6- محاولة الكشف عن بعض الاتجاهات الجديدة لدى سكان الريف حول قضايا ومواضيع مختلفة خاصة وأن للاتجاهات دور كبير في توجيه سلوك الأفراد والجماعات، ومن ثم يمكننا رسم صورة عامة عن الجانب الفكري لثقافة هؤلاء الريفيين، والحكم عليها فيما إذا كانت متطورة أو متخلفة.
- 7- فهم طبيعة بعض المعتقدات الشعبية التي يكرسها سكان الريف عند تفسيرهم لبعض الظواهر والحوادث التي تطرأ عليهم، وفهم حقيقة هذه الرواسب الثقافية فيما إذا كان ما زال متمسكاً بها أم أنها في طريق الزوال.
- 8- التعرف على بعض المظاهر المادية للثقافة الريفية وذلك للوقوف على مدى تطورها ومواكبتها للعصرنة والتحديث.

خامسا: تساؤلات الدراسة

-التساؤل الرئيسي

الحاصل أن التغيرات والإصلاحات التي شهدتها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة خاصة التي مست المجتمع الريفي منه ،تمكنت وبفعل برامج وسياسات موجهة من تغيير وتجديد عناصر النسق الثقافي الريفي وتطويره باستمرار والتأثير على مسار حياة السكان في الوسط الريفي ،لكن ماهي المظاهر التي انعكست حقيقة وتدل على تطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري ؟

-التساؤلات الفرعية

- 1 - ما نوع أساليب العلاج التي يتبعها السكان الريفيون ؟ هل هي تقليدية أم هي حديثة ؟ وهل يهتمون بتوفير الشروط الصحية في محيطهم المعيشي؟
- 2- هل ازدادت وتيرة النشاط الإتصالي لسكان الريف ؟ وهل يسعون إلى مواكبة الحياة العصرية والانفتاح على العالم الخارجي ؟
- 3 - هل يظهر الريفيون تغيرا في قيمهم العائلية التقليدية ؟
- 4 - هل يظهر سكان الريف تغيرا في اتجاهاتهم التقليدية ؟
- 5 - هل مازال سكان الريف يتمسكون بالمعتقدات الشعبية خاصة تلك المرتبطة بالسحر و الحسد ؟
- 6- هل حدث سكان الريف في الجانب المادي من ثقافتهم أم مازال طابع التقليدية يخيم عليه ؟

سادسا: الدراسات المشابهة

الدراسة الأولى: هي لدورجاناند سنها (Durgarand Sinha) بعنوان " القرى الهندية في مرحلة التحول"¹ أجراها بالهند أو بالأحرى قرى الهند سنة 1964 ودامت عامين حاول من خلالها الوصول إلى الأهداف التالية:

- 1- دراسة وتحليل الحوافز والتطلعات لدى القرويين.
 - 2- تحليل التغيرات التي طرأت على قيم واتجاهات القرويين.
 - 3- تقدير التأثير الذي تركه البرنامج الإنمائي للمجتمع المحلي.
- وتعتبر هذه الدراسة التي أجراها سنها بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين وبتكليف من المعهد القومي لتنمية المجتمع أول دراسة سوسيو سيكولوجية تجرى على نطاق واسع في الريف الهندي وتلقي الضوء على أهم التغيرات الاجتماعية والثقافة التي طرأت عليه وبالنسبة للتساؤلات التي وضعها الباحث في هذه الدراسة فهي كما يلي:

- أ- هل القرويون لديهم الدافعية للعمل من اجل تطوير أنفسهم وأحوال مجتمعهم المحلي ؟
- ب- هل القرويون متحمسون للتقدم المادي ؟
- ج- هل لدى الجماهير الرغبة في حياة أفضل، وهل تحقق ذلك من خلال برنامج تنمية المجتمع المحلي ؟
- د- هل هناك علامات على وجود الركود الذي ظل يسيطر على الحياة القروية لمدة عصور ؟

- هـ- هل يظهر القرويون تغيرا في اتجاهاتهم التقليدية ؟
- و- ألم تحدث بعد ثورة التطلعات، وهل هناك علامات تدل على أن هذه الثورة قد عرفت طريقها إلى أذهان وعقول القرويين ؟

منهج الدراسة والأدوات المستخدمة في البحث:

اعتمد سنها على طريقة تحليل المضمون، وذلك عن طريق تسجيل حرفي للإجابات اللفظية التي قدمها المبحوثون ثم تحليلها لغرض الوصول إلى نتائج وتعميمات عامة، كما استخدم المنهج المقارن للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين القرى المتطورة والقرى المتخلفة بشأن مفهوم الحياة السعيدة.

هذا، وقد استخدم سنها مجموعة من الأدوات مع المبحوثين منها بعض الأساليب الإسقاطية الخاصة بالباحثين في مجال علم النفس والمتعلقة بالكشف عن مستوى التطلعات والطموح، حيث

¹ - هذه الدراسة أخذت من: محمد الجوهري، علياء شكري. علم الاجتماع الريفي والحضري، ط2 (القاهرة: دار المعارف، 1983)ص.ص135-166.

يعتمد هذا الأسلوب على تحليل استجابات المبحوثين حول إحدى القصص التي تصف الحياة النمطية للفلاح، وآرائهم حول مضمون هذه القصة.

بالإضافة إلى استمارة الكشف عن اتجاهات وآراء الأفراد ونظرتهم العامة إلى الحياة. وقد احتوت هذه الاستمارة على خمسين سؤالاً حذف منها تسعة أسئلة عند التحليل، حيث كان بعضها غير مناسب وإجاباتها غير ذات دلالة، هذه الأسئلة تتراوح ما بين الأسئلة المفتوحة وأخرى محددة البناء تحوي على مجموعة من بدائل الإجابات.

- عينة الدراسة

تتمثل عينة الدراسة في ست قرى من منطقة آباد الله والتي نفذ فيها برنامج تنمية المجتمع، تنقسم هذه القرى إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تضم ثلاث قرى متطورة استجابت بدرجة سريعة لبرنامج التنمية وثلاث قرى أخرى لم تستجب للبرنامج إلا استجابة ضئيلة.

تم اختيار هذه القرى بطريقة عشوائية، كما قام الباحثون المساعدون لسنها بتسجيل عدد الأسر في كل قرية بناء على بيانات مكتب القطاع التابع للمنطقة، وتم اختيار عضو يافع أو راشد من كل أسرة ومن الأفضل أن يكون رب الأسرة كعينة تجرى عليها اختبارات الدراسة وبذلك تم التنفيذ على 300 أسرة من أصل 330 أخرى متطورة أي تغطية 90 % من الأسر المتطورة، وعلى 290 متخلفة من أصل 324 أسرة متخلفة بنسبة 89.56%.

- نتائج الدراسة

توصلت دراسة سنها إلى عدد من النتائج نلخصها فيما يلي:

1- ليس هناك اختلاف جوهري في نماذج التطلعات والدوافع بين القرويين في القرى المتطورة والمتخلفة حيث تركزت أغلب الدوافع والتطلعات حول المشكلات اليومية ولم ينظروا إلى المستقبل بكثير من التفاؤل، ولم يكن ما يتوقعونه ويتطلعون إليه في المستقبل أكثر مما تم إنجازه بالفعل.

2- كل القرويين المبحوثين يتميزون بالفردية والأناية غير مبالين بما يحدث في العالم الخارجي، كما كانوا منعزلين في داخل النطاق الريفي.

3- القرويون ما زالوا غير مبالين بالتقدم المادي ويتقبلون وضعهم وظروفهم بشكل هادئ.

4- يرتبط القرويون كثيرا بالتراث التقليدي، ولم يخرج الكثير منهم من صومعة التقاليد القديمة.

5- فيما يتعلق باتجاهاتهم وآرائهم فقد لوحظ أن هناك تقدم في اتجاهات وقيم القرى المتطورة عن القرى المتخلفة ويتجلى ذلك في ترحيبهم باستخدام المعدات الزراعية الحديثة، اهتمامهم بتعليم أبنائهم وتنمية المهارات لديهم وميلهم إلى الاهتمام بالتحاق أبنائهم بالوظائف الحكومية وغيرها من وظائف الخدمات وإبعادهم عن المهنة التقليدية للآباء وهي الزراعة.

6- اختلف القرويون في القرى المتطورة والمتخلفة في اتجاهاتهم إزاء قيم العمل والقدر، حيث كان اعتماد سكان القرى المتطورة على القدر أقل من القرى المتخلفة الذين ينسبون ظروفهم الحالية إلى إرادة السماء أو الحظ العاثر والقدر.

7- للتعليم دور فعال في تغيير نظرة القرويين فالقرى التي تضم أفراداً متعلمين حتى ولو كانوا أقلية كان مستوى تطلعاتها ووعيتها أعلى من مثيله في القرى المتخلفة. وكنتيجة عامة توصل سنها إلى أن الحياة الريفية لم تتغير كثيراً والبرامج الإنمائية التي طبقت على هذه المناطق تحقق أهدافها المنشودة.

- تقييم الدراسة

في نظري هي دراسة قيمة وهي دراسة سيكولوجية أكثر منها اجتماعية لأنها ركزت أكثر على الدوافع والتطلعات والآراء الخاصة بالفرد، إلى جانب استخدام الباحث لمقاييس وأساليب في جمع المادة الميدانية متعددة ومتنوعة وهذا يدل على مدى تحكم الباحث في استخدام مثل هذه الأساليب وهي نقطة إيجابية تحسب له.

هذا من جانب، من جانب آخر ركز الباحث على الجانب الإنساني وثقافته ودورهما في تسهيل أو عرقلة عمليات التنمية والتحديث عموماً وهو جانب لا يستهان به أبداً في مثل هذه المشروعات كما يجدر بنا الإشارة إلى موضوعية الدراسة لأن النتائج المتوصل إليها لم تكن في مستوى تطلعات الباحث حيث توصل إلى أن البرنامج الإنمائي لم يحقق التغيرات المنشودة وأصبح عن ذلك عكس بعض الباحثين الآخرين الذين يكيّفون نتائجهم مع الفروض التي اقترحوها حتى ولو كان الواقع عكس ذلك.

هناك انتقادات أخرى قدمها بعض الباحثين منهم كمال التابعي الذي يرى بأن سنها قد أغفل بعض الأمور في دراسته هذه كعدم تحديده لمفاهيم أساسية استخدمت في الدراسة كمفهوم القيم والاتجاهات " لأن هذه العملية تمكن من تحديد أبعاد الظاهرة المدروسة"¹ كذلك عدم إشارته إلى محتوى وطبيعة برامج التنمية التي نفذت في الريف الهندي " وهو خطأ طالما الدراسة تهدف إلى الكشف عن التغيرات التي طرأت على قيم واتجاهات القرويين نتيجة تطبيق هذه البرامج"². بالإضافة إلى إغفاله لدور الاستعمار الذي يعتبر عاملاً أساسياً في تخلف مثل هذه البلدان وهو ما سبب في نظره ضعف التطلع إلى المستقبل واللامبالاة عند القرويين.

- علاقة دراسة سنها بالدراسة الحالية

تلقي دراستي مع دراسة سنها من حيث نوع المجتمع المدروس فكلاهما مجتمعات ريفية إلى جانب نوعية الأهداف المسطرة فكلاهما يهدف إلى الكشف عن التغيرات الطارئة على حياة

¹ و² كمال التابعي. المرجع السابق، ص.ص. 187-188.

القرويين خاصة فيما يتعلق بالجانب الثقافي وما يرتبط به من قيم واتجاهات التي تعتبر عناصر هامة من النسق الثقافي الذي يتمثله سكان مثل هذه المجتمعات.

أما من ناحية استفادتي منها فقد استفيت منها بعض المؤشرات والمحكات التي تدل على تطور ثقافة الريفيين كالتغير في الاتجاهات التقليدية إلى جانب التغير في بعض القيم السائدة لديهم.

- الدراسة الثانية

هي لـ S.C.Dube حيث قام بدراسة التغير في الحياة الاجتماعية والثقافية لقرية شاميربت (Shamirpet) الهندية بولاية حيدر آباد، " هذه الدراسة ضمنها Dube في كتابه «INDIAN VILLAGE» " ¹ . وهي دراسة وصفية تستهدف إلقاء الضوء على الجوانب الاجتماعية والثقافية في حياة سكان هذه القرية والتعرف على أهم التغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي طرأت على مجتمع القرية خاصة وأنها استفادت من برامج التنمية التي سطرته الدولة.

- تساؤلات الدراسة

تساءل ديوب في دراسته هذه عن أهم مظاهر التغيرات التي طالت الحياة الاجتماعية والثقافية في قرية شاميربت وعن أهم التأثيرات الرئيسية التي لعبت دورا هاما في إحداث هذه التغيرات ونتائج هذا التغير ؟

- منهج الدراسة والأدوات المستخدمة في البحث

اعتمد ديوب على المنهج الوصفي في دراسته هذه خاصة وأنه وكما سبقنا الإشارة إليه يهدف إلى الكشف عن الواقع الاجتماعي أو البناء الاجتماعي للقرية ومكوناته بالإضافة إلى محاولة التعرف على البناء الثقافي للمجتمع المدروس.

كما ركز الباحث على الطريقة المقارنة من خلال عباراته التي ضمها كتابه « القرية الهندية» حيث كتب يقول: " المجتمع عندما تقوم بدراسته ثم يتعرض لتغيرات اجتماعية تحت تأثير عوامل تكنولوجية فإننا نستطيع بعد ذلك دراسته خلال التغير، وبالمقارنة بين الدراستين نستطيع الوصول إلى حقائق علمية مثمرة " ².

أما الأساليب المستخدمة في جمع البيانات الميدانية فقد استخدم ديوب الطريقة الإحصائية من خلال جمعه لبعض الإحصائيات السكانية عن القرية، بالإضافة إلى تطبيقه لبعض المقابلات الحرة والمضبوطة مع سكان القرية، كما اعتمد أيضا على الإخباريين وسجلات القرية وحلل المعلومات المستقاة منها واستخلص النتائج، كما استخدم طريقة الملاحظة بالمشاركة.

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.189.

² - المرجع نفسه، ص.192.

- عينة الدراسة -

لم تحدد بوضوح في الكتاب الذي انتقيت منه هذه الدراسة واكتفى فقط بذكر وحدة الدراسة الممثلة في الأسرة حيث قام ديوب بأخذ عينة من الأسر بالقرية تمثل طوائف ومستويات دخل وتعليم واتصال حضاري مختلفة ولم يحدد العدد الحقيقي لهذه الأسر.

- النتائج -

توصل ديوب إلى عدد من النتائج من خلال دراسته نوجزها فيما يلي:

1- إن قرية شاميربت قد تعرضت لتغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية إثر جهود الدولة نحو هذه القرية كما تغيرت اتجاهات القرويين ومفاهيمهم الثقافية.
2- حدثت التغيرات في مرحلتين هما: مرحلة سيادة نظام الإقطاع، ومرحلة إلغاء النظام الإقطاعي.

3- أهم مظاهر التغير خلال المرحلتين هي:

- إقامة مساكن ومباني من الصخر وطلاء جدرانها باللون الأبيض.
- دخول التكنولوجيا الحديثة إلى القرية من أهم مظاهرها دخول الدراجات وحافلات النقل عالم القرية.

- تقدم التعليم ببطء من خلال إرسال أبناء القرية إلى المدارس الموجودة في القرية أو خارجها ووجدت المجالات والجرائد طريقها إلى هناك.
- ذهب الناس لأول مرة للانتخابات.

- ظهور الإصلاحات الإدارية في القرية حيث حاربت بشكل واسع ظاهرة الرشوة والفساد
- ظهور منظمات جديدة مثل المستوصف الذي قدم خدمات ممتازة للعلاج والطب الحديث وبالتالي تغير اتجاهات الناس إزاء الأمراض حيث كانوا يعتقدون مثلاً أن مرض الجدري والكوليرا يحدث نتيجة غضب الآلهة !.

- اختفاء الخوف من التطعيم وأصبح السكان يقبلون عليه.

- بداية استخدام تقنيات وأدوات حديثة فمثلاً نجد الحلاقين والتجار يستخدمون أدوات وآلات مصنوعة في مصانع وليست يدوية الصنع، بالإضافة إلى حدوث تغيرات في طرق الزراعة كالاتجاه نحو زراعة المحاصيل النقدية والخضروات وإدراك قيمة الأسمدة وغيرها من التطورات التي مست هذا الجانب المادي من ثقافة هؤلاء القرويين.

ويضاف إلى هذا، التغيرات التي مست العائلة القروية كبدية نمو الفردية وضعف التماسك والترابط العائليين، وبداية تلاشي بعض الأسس التي تحدد على إثرها العلاقات الأسرية كالتقرب والسن وضعف الارتباط بالوطن ومكان المعيشة نتيجة تكرار وتتابع الهجرات.

أما العوامل المسببة لهذا التغيير فقد أوردتها ديوب كما يلي:

- الاتصالات الإدارية، بالإقطاعيين وأصحاب الأراضي وبموظفي الولاية وإدارات القانون، الاتصالات الحضرية، التعليم، أنشطة الرفاهية التي ترعاها الدولة، عمل الشرطة، إلغاء الأوضاع الطبقيّة، التمثيل الديمقراطي.

في الأخير نوّه ديوب بضرورة الحذر عند التعامل مع التعميمات السوسولوجية فالباحث الاجتماعي عندما يقوم بدراسة سوسولوجية علمية للمجتمع الريفي فعليه أن يدرك أن دراسته هذه عبارة عن نموذج من نماذج متعددة لمجتمعات ريفية مختلفة والنتائج التي توصل إليها هي خاصة بذلك المجتمع فقط وعبر عن ذلك يقول "إنه من الصعب جداً أن نعتبر هذه القرية ممثلة لثقافة المنطقة ماعدا الشكل العام... فالقرية الهندية تعتبر وحدة داخل النسق الاجتماعي الواسع وجزءاً من المجتمع السياسي المنظم"¹.

- تقييم الدراسة

من النقاط الإيجابية التي تحسب لهذا الباحث ولدراسته هو اهتمامه بالبعد التاريخي عند تطرقه إلى عرض أهم التحولات الاجتماعية والثقافية التي مرت بها القرية في مرحلة الإقطاع وما بعده فكما يقول كمال التابعي: " تاريخ أي مجتمع ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات يعد الحاضر فيها نتاجاً للماضي، كما يلعب الماضي والحاضر دوراً في تشكيل المستقبل"².

كذلك أصاب الباحث عندما حذر من مسألة التعميمات السوسولوجية واعتبار النتائج التي توصل إليها خاصة بالقرية التي درسها فقط و لا يمكن تعميمها على سائر القرى والأرياف ولكن يمكن تطبيقها على القرى التي تماثل ظروفها الاجتماعية والثقافة والتاريخية.

من الأمور التي نجح فيها الباحث أيضاً هي أخذه بالأسباب المتعددة في تفسير الظاهرة الاجتماعية، فهو أرجع ظاهرة التغيير الاجتماعي والثقافي إلى عدة عوامل سياسية واقتصادية وتكنولوجية وإدارية ولم يعتمد على عامل واحد فقط وهو ما يسمح بالكشف عن كل أبعاد الظاهرة وتكون الدراسة بذلك شاملة وتكاملية إلى أبعد حد ممكن.

من الأمور التي تحسب على ديوب يقول التابعي هي " عدم تحديده للمفاهيم الأساسية التي تجسد الظاهرة الاجتماعية التي يتناولها بالدراسة والتحليل كما لم يشر إلى الاتجاهات المعرفية التي استخدمها في دراسته"³.

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص. ص. 192-193.

² - المرجع نفسه، ص. 199.

³ - المرجع نفسه، ص. 201.

-علاقة دراسة ديوب بالدراسة الحالية-

هذه الدراسة اهتمت بإبراز بعض التغيرات التي طالت الجانب المادي من الثقافة الريفية وهي نفس المظاهر التي أطمح إلى إبرازها هنا في هذه الدراسة الحالية تماثيا مع التغيرات والتطورات التي قد تمس أيضا الجانب المعنوي أو المعرفي لنفس هذه الثقافة كالتغير في بعض القيم العائلية والاتجاهات وتلاشي بعض المعتقدات الشعبية.

- ملاحظة -

لم أتطرق هنا إلى بعض الدراسات الخاصة بالمجتمع الريفي الجزائري لأنني لم أجدها خاصة تلك المتعلقة بالثقافة الريفية لأنها نادرة ولم أستطع الحصول عليها

الجانب النظري للدراسة

الفصل الأول

المعالجة النظرية للدراسة

- تمهيد.

أولاً: النماذج النظرية في دراسة الريف.

1- الثنائية الريفية- الحضرية.

2- نظرية المحك الواحد.

3- نظرية المحكات المتعددة.

4- نظرية المتصل الريفي - الحضري.

ثانياً: الاتجاهات النظرية في دراسة النسق الثقافي.

1- الاتجاه التطوري.

2- الاتجاه الانتشاري.

3- الاتجاه الوظيفي (التكامل والتناسق).

4- الاتجاه الرمزي.

- خلاصة.

تمهيد

إذا اعتبرنا المجتمع الريفي مجتمعا جزئيا تقوم فيه الحياة على استغلال الأرض، ويقوم على القرابة، ويعبر عن مجموعة من الأشخاص الذين يتميزون بطابع ثقافي مشترك، وتربطهم وحدة البقعة الجغرافية المحددة والمصالح الاقتصادية والاجتماعية المشتركة، فإن إقامة تصورات حول الحياة الاجتماعية التي تسود هذا المجتمع وثقافته قديمة قدم الفلسفة حيث اتجه الفلاسفة ومن ثم علماء الاجتماع إلى تحديد معالم هذه الحياة الاجتماعية، وبناء تصورات فكرية وتحليلات امبريقية ونظرية عن الثقافة الفرعية التي تخص هذا النوع من المجتمعات.

وهذا ما يستدعي منا كباحثين ودارسين في نفس الوقت أن نشير إلى أهم النماذج والاتجاهات النظرية التي تناولت بالتحليل والتفسير سواء المجتمع الريفي في ظل الفروق الريفية الحضرية أو الثقافة الفرعية الريفية في ظل الثقافة الكلية للمجتمع.

أولاً: النماذج النظرية في دراسة الريف

1- الثنائية الريفية - الحضرية

إذا أردنا الوقوف على مفهوم محدد للمجتمع الريفي ثم للمجتمع الحضري ونقينا عن خصائص كل مجتمع على حدى، فسوف نلتقي بالجهود التي بذلها الباحثون في هذا المجال في محاولاتهم الجادة والعلمية والشاقة معا للتفرقة بين هذين المجتمعين، ومحاولة وضع نظريات حول هذه الفروق، لكن الجهود الحقيقية والمنظمة التي بذلت لوصف وتفسير هذه الاختلافات لا نستطيع أن نعين لها بداية حقيقية إلا في عصر المفكر العربي ابن خلدون. وذلك في مؤلفه الشهير «المقدمة» وفي بابه الثاني المعنون بـ « في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال».

حيث أشار إلى مجتمع البدو قاصداً به الريف وإلى مجتمع الحضر قاصداً به مجتمع المدينة، واستند صاحب المقدمة في التفرقة بين البدو والحضر إلى العامل الاقتصادي المتمثل أساساً في مصادر الإنتاج والمهنة.

"قالاقتصاد بالنسبة لابن خلدون يمثل العصب الحقيقي للتجمعات السكانية ونوع الإنتاج أي نوع النشاط الاقتصادي هو الذي يحدّد طبيعة العلاقات الاجتماعية والسلوكية وتصور حياة الجماعة في المكان وما يترتب على ذلك من بناء القرابة والسلطة والدفاع، إلى غير ذلك من الأمور الاستهلاكية والأسعار والتنظيم"¹.

فقد كتب يقول في هذا الشأن:

أعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش. فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قيل الحاجي والكمالي فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها... وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بدّ إلى البدو... وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم... إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عمّا وراء ذلك ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل بهم ما فوق الحاجة... دعاهم ذلك إلى السكن والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس... وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر².

¹ - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص. 56.

² - عبد الرحمان بن خلدون. المقدمة، ط ٥ (لبنان: دار القلم، 1984) ص. 120.

ويتضح من هذا أنّ ابن خلدون يصنف أشكال الاستيطان البشري إلى نموذجين على أساس وجوه المعاش والكسب هم أهل البدو والحضر، ومن ناحية الوظيفة فإنّ سكان البدو (الريف) يغلب عليهم نشاط الفلاحة والزراعة والقيام على الحيوان ونشاطهم هذا لا يولّد إلاّ الحاجات الأولية وبالمقدار الذي يحفظ الحياة عكس أهل الحضر الذين هم امتداد لأهل البدو كما أثبت ذلك ابن خلدون في اعتباره أنّ البادية أصل العمران والأمصار ومدد لها، فقد كتب يقول "فطور الدولة من أولها بداوة"¹

هذا من جهة، من جهة أخرى وفي عرضه لخصائص سكّان البدو فقد أشار إلى أنّ سكّان البدو (الريف) يتمتعون بقدر من الشجاعة عكستها لديهم ظروف معيشتهم فقال: "البدو أقرب إلى الشجاعة من الحضر"² وذلك بحكم عيشتهم جماعات جماعات منعزلة ومتنقلة على الدوام بسبب الظروف البيئية القاسية وطرقهم في الإنتاج، ممّا يدفعهم إلى الاعتماد على ذواتهم للدفاع عن أنفسهم وجماعتهم ولا يتكلمون على غيرهم في ذلك وهذا ما أكسبهم اليأس خلفاً والشجاعة سجية.

وفي موضع آخر يرتبط بطرق الإنتاج التي تتحكم في المجتمع البدوي أكدّ ابن خلدون أنّ هذه الطرق تولّد علاقات إنتاج تكون تُقبل بالضرورة عند الجماعة فالملكية الخاصة لا وجود لها في هذا النوع من المجتمع فأهل البدو يجدون أنفسهم مضطّرين إلى أن يجعلوا كلّ ما لديهم مشتركاً للبقاء في البادية وبالتالي لا يمكن لنا أن نجد هناك تفاضلاً بين أهل البادية فكلّ فرد بحاجة إلى الفرد الآخر، وكلّ فرد يعرف باقي الجماعة معرفة تامة، بحكم ضيق قطر المجتمع البدوي نسبياً وتأسيساً على ذلك تنشأ علاقات اجتماعية متينة بين أعضاء الجماعة والأفراد في المجتمع الريفي، وهنا يجدر بنا أن ننبه القارئ إلى أنّ هناك فرق بين المجتمع البدوي والمجتمع الريفي، فالأول يتميز سكانه بالترحال عكس المجتمع الثاني الذي يمتاز بالاستقرار النسبي.

وفي ضوء هذه الرؤية حاول ابن خلدون تقديم تصنيفات للبدوة تتضمن أنواعاً اجتماعية ثلاث هي البدو الأقحاح ونصف البدو أو المنتجعون وأخيراً المزارعون، "ويطلق ابن خلدون على النوع الأول اسم «الأباله» أي رعاة الإبل ويلبهم في الترتيب «الشاوية» أي أصحاب الشاة ورعاة الضأن وقد وضع معهم على نفس الدرجة «البقارة» أي رعاة البقر، ويأتي في أسفل السلم الممتنون للزراعة"³ ويتميز الأباله بملكيتهم للإبل فقط يقومون برعيها ولأنهم كذلك يضطرونّ لقطع مسافات طويلة بحثاً على المراعي والتوغل أكثر في المناطق المقفرة وهم يسكنون الخيام

¹ - عبد الغني مغربي. الفكر الاجتماعي لابن خلدون، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986) ص.121.

² - أبو خلدون ساطع الحصري. دراسات عن مقدّم ابن خلدون (بيروت: دار الكتاب العربي، 1967) ص.324.

³ - محمد السويدي. مقدّمة في دراسة المجتمع الجزائري، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984) ص.153.

بحكم تنقلاتهم الدائمة وهذا يدل دلالة قاطعة على الحياة القاسية التي يعيشونها وهو ما جعل ابن خلدون يقول عنهم "فكانوا لذلك أشدّ الناس توحشا"¹.

أمّا الفئة الثانية فهم الذين تنتوع لديهم الماشية وينهبون البدو الآخرين ويضيفون الزراعة إلى نشاطهم ولا يستقرون في مكان واحد إلا جزءاً من السنة فيسكنون الخيام تارة والأكواخ تارة أخرى.

أمّا الفئة الثالثة فهي تتكوّن من فلاحين ومزارعين لا يهتمون كثيراً بتربية الماشية، وهذا ما يجعلهم يستقرون في مكان معيّن ويوظفون على العمل أكثر من الفئتين السابقتين ويسكنون خاصة الجبال والسهول المجاورة للحضر وكثيراً ما يختلطون بهم "وهذا ما يتيح الانتقال الطبيعي من العمران البدوي إلى العمران الحضري"²

وربّما أجد في هذا السياق أن أنبه إلى أنّ هذه الفئة الثالثة من التصنيفات التي قدمها ابن خلدون هي الأقرب إلى وصف الريف عن الفئتين السابقتين بحكم وجود الزراعة والاستقرار النسبي الذي يميز سكّانها حيث طبعت هذه الحياة الزراعية علاقاتهم وسلوكياتهم بظروفها وأكسبتهم طباع الخير، والقناعة والتعاون فيما بينهم وميّزت الحياة الريفية عن غيرها بالبساطة والبعد عن التعقيد وهذا ما جعل ثقافتهم هي الأخرى "متواضعة وبسيطة وأوليّة ولكنها معبرة أصدق التعبير عن حياة جماعتها في كل المجالات...أورثتهم صفة الإقدام والمروءة، وبذلك فهم يشفقون رؤيتهم للحياة وفهمهم لها من علاقاتهم بالأرض"³.

بالإضافة إلى التقشف للحصول على الضروري فقط لا الكمالي والذي لا يحتاج إلى تعليم كبير ومهارة في التفكير، "وسكان الريف أكثر تمسكاً بالدين والمحافظة على العادات والتقاليد"⁴.
إنّ لا غرور ونحن نصول ونجول في فكر ابن خلدون أن نقول: بالرغم من أنه لم يذكر كلمة الريف صراحة لأنه كان مهتماً بالمقابلة بين سكان البادية وأهل الحضر وجعل من الأولى منطلق ومهد الحضارة أي الوصول إلى حالة الحضر مروراً بالبادية إلا أنه في دراسته وتحليله لخصائص المجتمع الريفي (البدوي) كان نابعا من الواقع وليس مجرد تفكير تصوري أو بناء تجريدي بناء على معاشته للمجتمعات التي تحدث عنها في بلاد المغرب العربي والشرق الأوسط ثم كتب بعد ذلك عن خصائص هذه المجتمعات وبذلك "لم يقدّم نماذج مثالية أو تصوّرية ويقوم بعد ذلك بدراستها ليحقق ذلك على أرض الواقع كما فعل غيره من الأوروبيين والعلماء الآخرين"⁵.

¹ - عبد الرحمان بن خلدون. المرجع السابق، ص121.

² - عبد الغني مغربي. المرجع السابق، ص132.

³ - عبد الحميد بوقصاص، المرجع السابق، ص57.

⁴ - إدريس خضير: التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)

ص.97.

⁵ - عبد الحميد بوقصاص، المرجع السابق، ص59.

لكن ربّما ما يؤخذ على ابن خلدون أنّ نظريته للمجتمعات البدوية والريفية كانت شاملة كليّة ينقصها بعض التحليل الواضح عن طبيعة كل مجتمع سواء البدوي أو الريفي أو الحضري، فهو تحدث عن خصائص البداوة بصورة عامّة وفي مجتمعات محدّدة مهملاً معها أنّ هذه الخصائص ليست ثابتة أو منغلقة بل هي خاضعة لكلّ أنواع التغيّر والتطوّر والتحوّل التي تحدث على مستوى المجتمع.

وبعد مرور عدّة قرون على آراء ابن خلدون جاءت عدّة دراسات اجتماعية في مجال الريف وتضع مقابلاً له ونظيراً هو المجال الحضري قام به العديد من العلماء والمفكرين خاصّة منهم الأوروبيين والأمريكيين اللّذين حاولوا التمييز بين نموذجين مثاليين من الحياة الاجتماعية، يضمّ واحدًا منها الحياة الريفية بينما يصف الثاني الحياة الحضرية، وأطلقوا على هذه النماذج تسمية الثنائيات الريفية - الحضرية، ونجد ما يتصل به القضية عند كلّ من:

أ- هربرت سبنسر (1820-1903)

اعتمد على مفهومي التجانس واللاتجانس للتمييز بين الريف والحضر فهو يرى " أن المجتمع يتطور من حالة التجانس إلى حالة اللاتجانس"¹. وهذا التطور يبدأ من "المجتمعات البسيطة إلى المجتمعات المركبة ثم المجتمعات مركب المركب فمركب مركّب المركّب"². حيث يتكون المجتمع الأوّل البسيط من الأُسْر أمّا الثاني فيتكون من أُسْر تتحد في عشائر أمّا المجتمع الثالث فيتكوّن من عشائر تتحد في قبائل والمجتمع الرابع يتكوّن من قبائل تتحد في أمم ودول.

ويصاحب هذا التطور بروز عدّة فروق في القوّة والمهن والوظائف فمثلاً في المجتمع البسيط يوجد نوع من التجانس في الوظائف والمهن كالزراعة وبعض الحرف اليدوية مثلاً، بينما في المجتمع مركّب مركب المركب، نجد هناك تشعباً في الوظائف والمهن وكثرتها وتعقدتها مقارنة بالمجتمع الأوّل.

وفي مواضع متفرقة من أعماله أوضح سبنسر أنّه ليس بالضرورة أن تتبع المجتمعات هذه المراحل في التطور خاصة وأن كلّ مجتمع لا يشبه الآخر تماماً خاصة في نوعية العادات والطباع والثقافة السائدة في كلّ مجتمع، إضافة إلى "الوضع الذي يشملته مجتمع ما في نطاق أكبر من المجتمعات وما إذا كان المجتمع واقعاً بين مجتمعات صديقة أو عدوة"³.

¹ - عبد القادر القصّير. الهجرة من الريف إلى المدن (بيروت: دار النهضة العربية، 1996) ص.30.

² - محمّد الجوهرى، علياء شكري. المرجع السابق، ص.246.

³ - عبد القادر القصّير. المرجع السابق، ص.31.

ب- إميل دوركايم (1858-1917)

استعمل هذا العالم الفرنسي نظريته في التضامن الاجتماعي في كتابه «تقسيم العمل الاجتماعي» للتمييز بين سمات الحياة الريفية والحضرية حيث لاحظ أن المجتمعات التي يكون فيها تقسيم العمل في حالته البسيطة يسود فيه نوع من التضامن الآلي الذي يعتمد على التماثل بين أعضاء المجتمع الريفي والذي "تتسم فيه كذلك علاقات تماسك ميكانيكية حيث يتعامل أفراد هذا المجتمع تلقائياً ويستجيبون لبعضهم ميكانيكياً"¹. حيث تكون المسؤولية في هذا المجتمع جماعية ويكون المركز الاجتماعي موروثاً.

بينما في المجتمعات الحضرية التي ينمو فيها تقسيم العمل، فيسود فيها التضامن العضوي جسده نوع من التساند المتبادل بين الأعضاء أو الأفراد بحيث يكون كل فرد أو فئة بمنزلة عضو في جسم اجتماعي كبير يعتمد على الأعضاء الآخرين في حياته ويكمل الآخرين أيضاً في حياتهم، " ويزداد هذا التضامن بازدياد تقدّم المجتمعات ويصبح بذلك للتعاقد قيمة عالية"². والفردية هي السمة الغالبة.

ج- شارلز كولي (1867-1929)

قسم الجماعات الإنسانية إلى قسمين:

- جماعات أولية تتصف بسيادة علاقة الوجه للوجه

- جماعات ثانوية تتصف وتتميز بالعلاقات الرسمية³.

هذا وقد استخدم كينزلي ديفز أربع قيم معيارية لتحديد مضامين شطري الثنائية في العلاقة الاجتماعية ، وهذه المعايير هي الظروف الفيزيائية، الخصائص الاجتماعية ، نماذج للعلاقات، نماذج للجماعات.

- فيما يخص المعيار الأول: "تتميز العلاقة الأولية بأنها تضم عدداً قليلاً من الأفراد وتدوم لفترة زمنية طويلة وتأخذ حيزاً مكانياً ضيقاً"⁴.

بينما تضم العلاقة الثانوية عدداً أكبر من الأفراد وهي قصيرة العمر وتأخذ حيزاً مكانياً واسعاً.

- فيما يخص المعيار الثاني: العلاقة الأولية تتسم بتماثل الغايات والأهداف والشعور بالتلقائية والحرية بين أفرادها والمعرفة التامة لكل فرد للآخر مع غياب وسائل الضبط الرسمية مع

¹ - غريب محمد سيد أحمد. علم الاجتماع الريفي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1982) ص.117.

² - محمد الجوهرى، علباء شكري. المرجع السابق، ص.248.

³ - محمود الأشرم. محاضرات في المجتمع الريفي (سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1976) ص.35.

⁴ - معن خليل العمر. ثنائيات علم الاجتماع (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2001) ص.235.

توافر روح المودة والإخلاص وعدم التكلف أو المجاملة وهو ما يعكس أسلوب وطابع العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي.

أما العلاقة الثانوية فتتباين فيها الغايات والأهداف مع الشعور بالقيود الخارجية والمعرفة الخاصة والمحدودة بالآخرين" من خلال اختصاصهم المهني وبهذا تكون من النوع الرسمي ومتكلفة ومجاملة¹ وهذا ما تتسم به الحياة الحضرية.

- المعيار الثالث: من نماذج العلاقات الأولية علاقة الصديق بالصديق، الزوج وزوجته المعلم وتلميذه.

من نماذج العلاقات الثانوية: علاقة البائع بالعميل، الضباط وجنودهم، الممثل والمتفرج.

- المعيار الرابع: من نماذج الجماعات الأولية : الأسرة، القرية أو جماعة الجوار فريق العمل.

من نماذج الجماعات الثانوية: الأمة، الاتحاد المهني، الشركات التعاونية.

د-فيرديناند تونيز (1855-1936)

" يطرح تصوّره على أساس موازنة بين مجتمع تسوده روابط القرابة والعلاقات الأولية (ريفي)، وبين مجتمع ثان يتميز بسيادة العلاقات التعاقدية والمصلحية الخاصة (حضري)"². بحيث يلتزم الأفراد بعلاقاتهم القرابية في المجتمع الأول وينشأون تعاونيا مع الآخرين في سلوكهم وتفكيرهم، أما المجتمع الثاني والذي يقابل المجتمع الحضري أو الصناعي الحديث فتسود فيه العلاقات المنفعية والسطحية " لأنها زمانية وغير قائمة على الروابط القرابية لذا لا تتميز بالمتانة لأنها علائق انعزالية ولها مصالحها الخاصة"³.

هـ-هاوارد بيكر (1899-1960)

طرح بيكر عالم الاجتماع الأمريكي ثنائية جديدة سمى المفردة الأولى منها "بالمجتمع المقدس والمفردة الثانية بالمجتمع العلماني أو المتحرر"⁴.

قاصدا بالأولى المجتمع الريفي المحافظ الذي لا يسكت عن الإهانة للمقدّسات بسبب مؤثرات القيم التقليدية المقدّسة التي تعمل على تمثين الروابط الاجتماعية القائمة على المودة والمحبة والإخاء ومن جهة تعمل على عزل هذا المجتمع عن العالم الخارجي بسبب السيطرة الدينية والروحية على أفراد الذين يصبح التفكير العقلاني عندهم غائبا تماما ويكرسون مبدأ القدرية في

¹ - معن خليل العمر. المرجع السابق، ص.235.

² - صلاح مصطفى الفوال. علم الاجتماع البدوي ط1 (القاهرة: دار نافع للطباعة والنشر، 1974) ص.84.

³ - معن خليل العمر. المرجع السابق، ص.149.

⁴ - صلاح مصطفى الفوال. المرجع السابق، ص.84.

تحليل وتفسير أيّ ظاهرة طبيعية أو اجتماعية أو مهما كان نوعها وهذا ما يجعل هذا النوع من المجتمعات منعزلة ذات ثقافات قليلة التغير.

أمّا المجتمع الثاني فهو مجتمع متحرّر منفتح ويقصد به المجتمع الحضري الذي يعتمد أفراده على العقل في تحليل وتفسير الظواهر التي تطرأ عليهم وترتبط بينهم علاقات عقديّة وقانونية وتنتشر لديهم وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية وهم يميلون إلى الأعمال الإبداعية والابتكار والاتصال بالعالم الخارجي وهذا ما يجعل ثقافتهم سريعة التغيّر ومتصلة بغيرها من الثقافات الحضرية.

و- روبرت ريدفيلد (1896-1958)

يميّز ريدفيلد بين المجتمع الشعبي التقليدي والمجتمع الحضري "ويرتكز مفهوم المجتمع الشعبي عنده على المشاعر الجمعية الأولية التي تمثل الثقافة الشعبية في مقابل المشاعر الفردية التي تسم المجتمع الحضري أو المدينة"¹.

وفي هذا الصدد عرض ريدفيلد خصائص المجتمع الشعبي كما يلي:

- أنه صغير الحجم نسبياً، منعزل، يعرف أفراد بعضهم البعض معرفة تامة ولذلك فهو لا يضم الغرباء وكلّ فرد داخل هذا المجتمع ملزم بتطبيق عاداته ومعتقداته الاجتماعية ولا يسمح له بالخروج عنها وإلاّ فسوف يكون النبذ الاجتماعي مصيره، وهذا ما يقتل عندهم الإبداع الفكري والابتكار وهذا ما يجعلهم من مقاومي عوامل التغير الاجتماعي ويعزلهم اجتماعياً وثقافياً
- يسوده شعور قوي بالتضامن الجماعي وروح التعاون في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى جانب التعاون في العمليات الزراعية.
- المجتمع التقليدي (الشعبي) عند ريدفيلد كذلك هو مجتمع متجانس في العادات والقيم والصفات المشتركة والمهن ونمط الحياة بصفة عامّة.
- هو مجتمع أمّي بسبب وجود قيم اجتماعية لا تؤكّد على التعليم ويقنصر على التعليم الديني عموماً.
- هو مجتمع مستقلّ اقتصادياً ولا يميل إلى الإفاضة في إنتاجه بمعنى أنّ الزراعة وباقي الأنشطة الأخرى والتي تقوم بها خاصة الأسرة هي موجهة للاكتفاء الذاتي " وصناعة وسيلة للحياة والمعيشة (الطعام والشراب والمسكن والأدوات الزراعية) " ².
- أمّا المجتمع الثاني (الحضري) فهو مجتمع يميل إلى التغيّر والتحوّل نتيجة زيادة التفكك الثقافي، وتزايد العلمانية وزيادة انتشار الفردية كما يرى ريدفيلد.

¹ - محمود عودة. دراسات في علم الاجتماع الريفي (بدون مكان ودار وسنة النشر) ص.67.

² - عبد القادر القصير. الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (بيروت: دار النهضة العربية، 1999) ص.77.

ز- لومس وبيجل

قدم هؤلاء العالمان محاولة لوصف المجتمعات الريفية والحضرية "عن طريق تحليل النظم الاجتماعية التي توجد في كل منها وذلك لوصف تحليلي للاصطلاحين العائلي والعقدي أو الجماعة المشابهة للطابع الريفي والجماعة المشابهة للطابع الحضري"¹.

وتتجلى هذه المحاولة في وضعهما لمقياس ضمنا طرفه الأول المجتمع العائلي وطرفه الثاني المجتمع العقدي وأبرزاً من خلاله الفروقات الموجودة بين هذين الطابعين من المجتمع من خلال نوعية العلاقات، التي تكون في المجتمع العائلي " طوعية وقائمة على أساس الرغبة كالصداقة مثلا"².

أما أسلوب الاتصال المعتمد فيه فهو الاتصال المباشر والقصير أي علاقة الوجه للوجه. والثقافة السائدة هي مقدسة وبطيئة التغير، السلوك ذات النمط العاطفي وغير المنظم. أما طبيعة السلطة فهي شخصية، تعتمد تقريبا على كبار السن مع عدم وضوح المسؤولية والحقوق. بينما نجد في الطرف الثاني المجتمع العقدي تسود فيه العلاقات الإجبارية كعلاقات العمل والعلاقات ذات الاتجاه الواحد أي يكون التأثير من جانب واحد والاستجابة من الجانب الآخر، الاتصال فيه غير مباشر يعتمد على الخطابات المكتوبة والمنشورات الرسمية.

- الثقافة من النوع المتحرر وسريعة التغير.

- السلوك فيه متزن ومرسوم الخطوات، أما السلطة فهي نظامية تعتمد على إيضاح وبيان مسؤولية وحقوق كل فرد.

ومن خلال سرد هذه الصفات يتبين لنا أن الطابع العائلي هو أقرب إلى الطابع الريفي بحكم التشابه في بعض الصفات أو معظمها.

- نقد الثنائية الريفية - الحضرية

بعد تعرضنا لأهم الثنائيات التي طرحت لوصف المجتمع الريفي وتحليل النظم الاجتماعية السائدة فيه في ظلّ مدخل الفروق الريفية - الحضرية إلا أن هذه الثنائيات أثرت حولها عدّة انتقادات وتحفظات رغم بعض الإيجابيات التي تحتوي عليها هذه الثنائيات كاعتبارها حالة إصطلاحية لمصطلحات علم الاجتماع وآلية تصنيفية ترتب المجتمعات والعلاقات والجماعات حسب أنواعها وأسبقيتها وتحلّل وتفسّر المجتمع الريفي من خلال نقيضه المجتمع الحضري وتعطي تصور أولي لدرجة موضوعية الباحث أو العالم عند تناوله لهذين النمطين من المجتمعات مع استخدام الأسلوب المقارن الذي يفيد في التعرف عن حالة أحد المجتمعين الريفي أو الحضري باستخدام المقارنة و المقابلة بينهما.

¹ - محمود الأشرم، المرجع السابق، ص.35.

² - علي فواد أحمد. علم الاجتماع الريفي (بيروت: دار النهضة العربية، 1981) ص. 40

لكن رغم هذه الإيجابيات يرى بوتومور "أنّ أول ما يمكن ملاحظته عن هذه الثنائيات هو قصورها عن استيعاب مختلف أنماط المجتمعات الإنسانية التي توجد بالفعل أو التي وجدت من قبل في مراحل تاريخية معينة"¹ ونجد ما يتصل بهذه القضية عند هربرت سبنسر مثلاً عندما صنّف المجتمعات إلى مجتمعات بسيطة ومعقّدة وأشدّ تعقيداً وأخرى بالغة التعقيد اعتماداً على عدّة أبعاد كدرجة تقسيم العمل والحجم...إلخ.

فالمتمأل في هذه التصنيفات يجد قصوراً فيها في استيعاب جميع المجتمعات فالأنماط الثلاثة الأولى لا تشمل إلاّ على المجتمعات البدائية (الأسر، العشائر القبائل) بينما يحتوي النمط الأخير على كلّ المجتمعات المتحضرة، فأين موقع المجتمع الريفي منها.

- كذلك ما يلاحظ على على هذه الثنائيات أنّ بعضها يمثل التكرار والنسخ فما قدّمه دوركايم في تمييزه للمجتمعات التي يسود فيها التضامن الآلي والمجتمعات التي يسود فيها التضامن العضوي تكررّ فيما طرحه تونيز عن المجتمع الذي تسود فيه العلاقات الأولية والمجتمع الذي يتميز بسيادة العلاقات التعاقدية والمصلحية وهو ما تناوله كذلك شارلزكولي وروبرت ريدفلد في تمييزه بين المجتمع الشعبي (التقليدي) والمجتمع الحضري، ويعود هذا التشابه "إلى تأثير هؤلاء العلماء بخصائص المجتمعات الصناعية الحديثة التي عاشوا فيها مما جعلهم يلجأون إلى المقابلة بين المجتمعات الصناعية الحديثة وكلّ المجتمعات الإنسانية الأخرى"². وهو ما نتج عنه تكرار في مضامين هذه الثنائيات وعدم إثباتها بإضافات جديدة.

- من سلبيات الثنائيات أيضاً أنّها لا تخضع للاختبارات الافتراضية وبالتالي لا يمكن تعميمها على كلّ المجتمعات فهي تخص مجتمعات معينة دون غيرها.

- وتغاب هذه الثنائيات أيضاً بأنها لم تأخذ بعين الاعتبار عامل التغيّر الذي يطراً على المجتمعات فسوروكين وزيمرمان "يذهبان إلى أنّ التحول من المجتمع المحلي الريفي الخالص إلى مجتمع حضري لا يتم فجأة ولكنه يحدث بشكل تدريجي"³. ولذلك لا يوجد فارق واحد يمكن أن نميّز به بين المجتمع الريفي والحضري فعندما نقول أنّ "نمط الحياة الريفية تطبعه أو تقرضه طبيعة العمل الزراعي إلاّ أنّ هذا الفارق لا يعتبر عاملاً كافياً لتعريف القرية، فهناك مجتمعات حضرية تحتوي على ضفافها وتخومها بعض المناطق والأراضي المزروعة"⁴.

- ولذلك كان لابدّ من تغيير طريقة الدراسة والمنهج، فمنهم من تبنّى محكاً واحداً ليميز على أساسه المجتمع الريفي من المجتمع الحضري ومنهم من استخدم عدّة محكات ومنهم من أدرك

¹ - بوتومور. تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون (الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1973) ص.177.

² - محمد الجوهري، عليا شكري. المرجع السابق، ص 252.

³ - عبد القادر القصير. الهجرة من الريف إلى المدن، المرجع السابق، ص.32.

⁴ - قباري محمد إسماعيل. علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتغيّر والتنمية (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1985) ص.198.

عيوب هذين الأسلوبين وأتجه إلى فكرة المتصل الريفي - الحضري، وسوف نعرض لكل اتجاه من هذه الاتجاهات بشيء من التفصيل:

2- نظرية المحك الواحد

تستند هذه النظرية إلى معيار واحد في التمييز بين الريف والحضر وأشهر محك استخدم هنا يقوم على أساس الحجم أو عدد السكان واخذ انتشاراً واسعاً بين علماء الديموغرافيا، وسهلت عملية القياس كثيراً عملية المقارنة من جانب لكن من جانب آخر اختلف التحديد من دولة لأخرى " ففي الولايات المتحدة الأمريكية ومعها المكسيك يعتبر التجمع السكاني ريفياً إذا بلغ 2500 نسمة أما إذا زاد عن ذلك اعتبر التجمع حضرياً"¹، أما فرنسا وألمانيا والنمسا وتركيا قد جعلت الرقم ألفان فقط كحد فاصل بين المجتمعين (أي ألفان نسمة مجتمع ريفي، أكثر فهو مجتمع حضري) واستخدمت كل من "بريطانيا، هولندا والهند خمسة آلاف نسمة، وفي إسبانيا واليونان والأردن ولبنان حدّد الحجم السكاني بما لا يزيد عن عشرة آلاف نسمة كحدّ أقصى لتعريف الريف"² بينما يجب أن يزيد عدد سكان الوحدة عن أربعين ألف نسمة في كوريا حتى يمكن أن تسمّى مدينة"³.

هذا "وقد اتفقت الهيئات الدولية (الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة) على اعتبار كل تجمع سكاني يزيد عن عشرين ألف نسمة مدينة، وذلك لتسهيل المقارنات الدولية"⁴.

- إلى جانب محك الحجم استخدم محك آخر هو المهنة واعتبر كأساس وحيد للتصنيف وأخذت به عدّة دول على رأسها إيطاليا حيث يتخذ مستوى النشاط الاقتصادي لتجمع سكاني ما دليلاً على تربيته وتحضره فإذا كان أكثر سكانه يعملون في الزراعة فهو مجتمع ريفي، أما إذا كان معظم سكانه يشتغلون في مهن غير زراعية كالصناعة والتجارة وسائر الخدمات فهو حضري واعتمدت بذلك النسبة المئوية في التحديد فالتجمع السكاني الذي زادت نسبة العاملين فيه بالزراعة عن سبعين بالمائة فهو ريفي وما دون ذلك فهو حضري.

بينما استخدمت دول أخرى المعايير التالية للفرقة بين الريف عن المدينة:

أ- المعيار الإداري

يعتمد هذا المقياس "على وجود المؤسسات الضرورية لحياة السكان في التجمعات السكنية"⁵. كالمقرات البلدية ومراكز الشرطة والمستشفيات والمحاكم والمسارح والملاعب والمؤسسات الصناعية والتجارية أما التجمعات التي لم تصل إلى هذه الدرجة من التحضر والتطور فهي في نظر التقسيم الإداري قري.

¹ - غريب محمد سيّد أحمد. المرجع السابق، ص.125.

² - عبد القادر القصير. الهجرة من الريف إلى المدن، المرجع السابق، ص.34.

³ - عبد المنعم شوقي. مجتمع المدينة (بيروت: دار النهضة العربية، 1981) ص.24.

⁴ - المرجع نفسه، ص.25.

⁵ - محمد عبد الهادي دكلة وآخرون. المجتمع الريفي (بغداد: دار الكتب، 1979) ص.78.

"تستعمل هذا المعيار كل من السويد وبولاندا ورومانيا"¹.

ب- المعيار العمراني

يستند هذا المعيار على الشكل الخارجي للتجمع السكاني لتصنيفه فكلما شهد التجمع أبنية شاهقة وشوارع عريضة، وأسواقا فسيحة وجسورا ضخمة... إلخ اعتبر مركزا حضارياً وما دون ذلك اعتبر ريفاً.

ج- المعيار الضريبي

هنا تلعب نوع الضريبة المفروضة على السكان دوراً هاماً في تمييز الريف عن الحضر فإن كانت الضريبة مفروضة على الأراضي الزراعية والإنتاج الزراعي فهذا دليل على أن المنطقة ريفية أما إذا كانت مفروضة على العقارات والمنشآت الصناعية والتجارية فالمنطقة حضرية.

د- المعيار التاريخي

قد يرجع البعض إلى تحليل التاريخ في تعريف الحضر والتفرقة بينه وبين الريف فالمدينة هي ما تتمتع بهذه الصفة من التاريخ القديم ودليلهم على ذلك ما بالمدينة من آثار ومخلفات عمرانية ورواسب مجد تليد وحضارة عريقة والريف هو ما لا يتمتع بهذا التاريخ والآثار والرواسب والمظاهر العمرانية القديمة.

- إضافة إلى هذا استخدم علماء آخرون محك القوة أو السلطة لهذا التمييز فإذا كانت أبوية ومتوارثة وتعتمد على كبار السن في تدل على أن المجتمع الذي تسود فيه هو ريفي بينما إذا كانت نظامية ورسمية فالمجتمع حضري.

- نقد نظرية المحك الواحد

إن استخدام هذا المحك قد سهل كثيراً عملية المقارنة والقياس لكن مع هذا فهو يعاني من نقاط ضعف كثيرة منها ما يمس ما قدمه الذين استخدموا محك الحجم فهو لا يكفي وحده لعقد هذه المقارنة لأن المجتمعات التي تقع في الفئة السكانية مثلاً من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف نسمة قد تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً طبقاً للإطار الاجتماعي الذي تنتمي إليه، هل هو متخلف أو متقدم، إضافة إلى إهمالهم لعامل التكنولوجيا الذي يساهم كثيراً في عملية التجمع والتركز السكاني. فيما يخص معيار المهنة فإنه يواجه مشكلات عدّة في استخدامه فهناك مثلاً مناطق ريفية يعمل السكان فيه بالزراعة إلى جانب فعاليات أخرى كالخدمات ومع انتشار تيار الصناعة تجد نسبة العمال الريفيين تقل عن سبعين بالمائة المقررة كمحك ومع هذا تظل المنطقة ريفية، إضافة إلى تبني بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، لنماذج من المدن تعرف باسم المدن الزراعية ويشغل معظم سكانها بالزراعة.

¹ - عبد المنعم شوقي. المرجع السابق، ص.25.

أما عند الحديث عن باقي المعايير الأخرى نجدها هي الأخرى تعاني من النقص فعند الحكم على الريف والمدينة من الشكل العمراني، ليس بكاف لأنّ هناك قرى وأرياف في البلاد المتقدمة تتمتع بمزايا تخطيط المدن الهندسية، ومع ذلك تصنف أريافاً وإذا صنفناها على أساس تاريخي نجد هناك مدن حديثة جدا ليس لها تاريخ طويل خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الجهة المقابلة نجد مجتمعات ريفية لها نفس المجد والتاريخ القديم، وكذلك فإن ثمة مدن كثيرة قديمة قد اندثرت وتحول بعضها إلى قرى.

3- نظرية المحكّات المتعددة

قدّم كل من بيترين سوروكين (P.Sorokin) و كارل زيمرمان (Carle Zimmerane) محاولات لتحديد خصائص المجتمع الريفي عن طريق مقارنته بالمجتمع الحضري طبقاً للأسس التالية:

"الفروق المهنية، الفروق البيئية، حجم المجتمع، كثافة السكان، تجانس السكان، الفروق في شدة الحراك، شكل التباين الاجتماعي، انساق التفاعل الاجتماعي"¹.

أ- المهنة

حيث يغلب العمل الزراعي على المجتمع الريفي ونجد الغالبية العظمى من السكان الريفيين يشتغلون في الفلاحة والزراعة نتيجة ارتباطهم الشديد بالأرض واعتماد الاقتصاد الريفي كلية على الإنتاج الزراعي وما يتصل به. " وهذا لا يعني عدم وجود مهن أخرى قد تحتاجها الزراعة أو يحتاجها الريفيون في حياتهم اليومية، إلا أن حجم من يعملون في هذه المهن قليل جداً مقارنة بالعاملين في الزراعة"².

ونتيجة لتجانس المهنة لديهم (الزراعة) نجد هناك ابتعادا واضحا عن التخصص والتقسيم الدقيق للعمل عكس المجتمع الحضري الذي يقوم على تنوع المهن والتقسيم الدقيق لها.

ب- البيئة

السكان الريفيون في علاقة واتصال مباشرين مع البيئة التي تحدّد نمط حياتهم وتفكيرهم فهي إلى حدّ بعيد تسيطر عليهم فهم يفتقرون لأبسط الطرق للتحكّم فيها كتكييف الهواء والتدفئة وهو ما يجعلهم خاضعين لها لا متحكمين فيها عكس السكان الحضريين الذين هم منعزلين بشكل واضح عن الطبيعة، الأمر الذي يجعل للبيئة الاجتماعية والإنسانية الغلبة والسيطرة عليها ويتجلى ذلك خاصّة في مواجهتهم للمشكلات البيئية التي تحلّ بهم.

¹ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان. علم الاجتماع وميادينه، ط3 (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997) ص.224.

² - محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضري (الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1972) ص.77.

ج- حجم المجتمع

يثير هذا المتغير صعوبات منهجية ترتبط بمجال تطبيقه بمعنى "هل يطبق على مساحة الأرض التي يشغلها المجتمع، أم على جموع الأفراد التي يتركب منها"¹. فالمجتمعات الريفية تترادف المجتمعات القليلة العدد والمجتمعات الحضرية تترادف المجتمعات الكبيرة الحجم والوافرة العدد لكن حسب آراء علماء آخرين فإنهم يرون أنّ الريف أوسع من المدينة لما يتطلبه من مزارع شاسعة الحجم. وهناك علاقات كثيرة مرتبطة بحجم المجتمع وتؤثر فيه كالهجرة وتنظيم العائلة ومتوسط الدخل الذي يرتفع بزيادة حجم المجتمع.

د- كثافة السكان

تتميّز المجتمعات المحلية الريفية بانخفاض كثافتها بالمقارنة مع المجتمعات الحضرية في نظر سوروكين وزيمرمان ويرجع الاختلاف إلى تأثير البيئة والظروف الاجتماعية لسكان كل من الريف والمدينة كقلة المدارس والمكتبات والمتاحف والمعابد والمسارح والطرق، إضافة إلى غياب المصانع في الأرياف والتي تعتبر عاملاً مهماً في التركيز السكاني.

هـ- تجانس ولا تجانس السكان

يتميّز السكان في الريف بالتجانس بحيث لا يمكن أن نفرّق بين الأفراد من حيث خلفياتهم الاجتماعية والثقافية فهم متجانسون في العادات والتقاليد والقيم والصفات المشتركة والمهن ويتربطون آلياً كما قال دوركايم خصوصاً إذا كان نوع العمل واحداً بالنسبة للمجتمع عكس المجتمع الحضري الذين يختلفون فيه من حيث الثقافة والأصل والأفكار مع تعدد المهن وتعدّد مستوى الحياة.

و- الحراك الاجتماعي

يتخذ الحراك عدّة صور منها:

- "الحراك الأفقي: يتم داخل الطبقة الاجتماعية الواحدة أي من جماعة اجتماعية إلى أخرى
- الحراك الرأسي: من طبقة اجتماعية إلى أخرى سواء صعوداً أو نزولاً في

السلم الاجتماعي

- الحراك المكاني: تغيير المكان من موضع لآخر"².

رغم التزام الجو والأوضاع في الريف بالاستقرار والسكينة إلا أنّ هذا لا يمنع ظهور بعض التنقلات والحركة التي تتم داخل الأرياف خاصة فيما يتعلق بالنوع الأول من الحراك حيث ينتقل الأفراد من جماعة إلى أخرى خاصة بالزواج والطلاق أمّا الحراك الرأسي فإنه نادر الحدوث

¹ - عبد العاطي السيد. علم الاجتماع الحضري، ج1 (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003) ص.70.

² - محمد الجوهرى، علياء شكري. المرجع السابق، ص.262.

ويرجع ذلك إلى تدخل الوراثة بشكل كبير في تحديد المكانة الاجتماعية للفرد فتقل بذلك فرص انتقاله من طبقة اجتماعية إلى أخرى.

بالنسبة للحراك المكاني فقديمًا كان نادر الحدوث أيضاً لكن نتيجة للتصنيع والانتشار الواسع للتكنولوجيا والعديد من العوامل الأخرى نجد اليوم أعداداً كبيرة من السكّان الريفيين يهاجرون إلى المدن سواء للعمل أو الاستيطان أو لأسباب أخرى.

ز- شكل التباين الاجتماعي

يقصد به التفاوت في البيئات والأوساط الاجتماعية والذي لا يظهر في المجتمعات الريفية لأنّ السكّان الريفيين متجانسون في خلفياتهم الثقافية والاجتماعية وفي مهنتهم وبذلك لا يبرز هناك لا تدرج طبقي ولا تمايز اجتماعي بين أفرادهم عكس المجتمع الحضري الذي ينمو فيه تقسيم العمل وتصبح فيه التمايزات الطبقيّة جليّة خاصة على أساس المستوى المهني ومستوى الدخل والتعليم والزي... إلخ¹.

ح- أنساق التفاعل

إن عدد الصلات الاجتماعية بين سكّان الريف وسكّان الحضر تزداد في المدن عنه في الريف، فطبيعة المهن الحضرية تحتم على سكان الحضر الاختلاط بآلاف الناس والتفاعل والتواصل في وسط جماعي كبير عكس الفلاحين اللذين يعيشون على الزراعة فإنهم نادراً ما يتعاملون مع زوّار أجنب فيما عدا من يمر عليهم من الباعة المتجولين لكن التفاعل والاندماج لا يرقى إلى مستوى التفاعل والاندماج في المجتمع الحضري الذي تصبح فيه العلاقات ذات صفة ثانوية عابرة وسطحية وفعية في غالب الأحيان عكس المجتمع الريفي الذي يتسم بالعلاقات الشخصية والوثيقة والعميقة والدائمة أي علاقات أولية.

هذا وقد أسهم روبرت ريدفيلد ولويس ويرث في دراسة المجتمعين الريفي والحضري والتميز بينهما اعتماداً على عدّة محكّات، لكن إذا عرضنا أعمالهما بطريقة مقارنة لوجدنا أن المدينة محور الاهتمام لويرث بينما كان المجتمع القروي أو الشعبي التقليدي المحور الأساسي لريدفيلد، ويرى ويرث أن المدينة تتميز عن الريف بما يلي: "الحجم الكبير، شدة الكثافة، النمو المصحوب بظهور نظام علماني وانهيار النسيج المعياري والأخلاقي، اللاتجانس، شيوع العلاقات الجماعية والثانوية مع سيادة الضوابط الاجتماعية الرسمية"².

أما ريدفيلد فيرى أنّ عزلة المجتمع وتجانسه واكتفائه ذاتياً وباقي الخصائص التي أطلقها على المجتمع الشعبي، هذه العوامل كلّها تؤدي إلى تكامل ثقافته وقداستها ونمو الضمير الجمعي

¹ - عبد العاطي السيد. المرجع السابق، ص. 72.

² - محمّد الجوهري وآخرون. ميادين علم الاجتماع، ط5 (القاهرة: دار المعارف، 1980) ص. 62.

والتضامن الجماعي أمّا المجتمع الحضري فنتشر فيه العلمانية والفردية وتفكك الثقافة وهذا يرجع طبعاً إلى نمو الاتصال واللاتجانس في هذا النوع من المجتمع.

- نقد نظرية المحركات المتعددة

- إن ما يلاحظ على أعمال سوروكين وزيمرمان أنّها أعمال وصفية تصنيفية لا تتعدى إلى العمق والتحليل رغم أنهما اهتمتا بالعوامل الاجتماعية التي أهملها العلماء الذين سبقوهم في الدراسة كدراسة أنساق التفاعل والتباين والتجانس والحراك الاجتماعي إلا أنّ صياغتهما تبرز الفوارق فقط وتصنفها ولكنها لا تتعمق في أسباب وجودها.

- بالنسبة لريدفيلد وويرث فقد تعرضا لعدة انتقادات أهمّها ما يلي:

أ- القول بأن الريف أو القرية يتسم بجانب من الاكتفاء الذاتي والعزلة فيه نوع من المغالطة لأنّ الشواهد التاريخية تؤكد على أنّ نشأة معظم المدن كان مرتبطاً ومتصلاً بالقرية أو الريف هذا الأخير الذي عندما تحقق فيه فائض من المحاصيل الزراعية، اتجه جزء من هذا المجتمع إلى عملية تنظيم وإدارة هذا الفائض ثم تنظيم الزراعة ومن ثم نشأة المدن في مواقع مركزية تسهل عملية الاتصال بينها وبين مواقع الإنتاج في الأرياف والقرى.

كذلك ثورة الاتصالات التي أحدثت تفاوتاً كبيراً بين المجتمعين وحققت نوعاً من التكامل وتبادل المصالح وكسرت هذه العزلة بين المجتمعين.

ب- افترض العلماء الأربع (سوروكين، زيمرمان، ريدفيلد وويرث) أنّ المجتمع الريفي مستقر ومتجانس، لكن هذا الافتراض يصف الحالة العامّة والشائعة "لأنّ المجتمع الريفي أو القروي قد يمر بفترات من التوتر الشديد وعدم الاستقرار"¹.

ج- "مبالغة ويرث وريدفيلد في تقديرهما لدرجة انقسامية الحياة الحضرية والتفكك الثقافي والمعياري والأخلاقي"².

ويفسر ذلك بتأثرهما بالفترة الزمنية التي عايشوها آنذاك في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت آنذاك الحياة الحضرية لديهم مفككة والأوضاع غير مستقرة وذلك في وجهة نظر الوافدين الجدد إلى المدينة. إضافة إلى أنّ المدينة قبل أن تهتم بالتغيير كانت "مصدراً للاستقرار والتقليد والجمود"³.

كذلك القول بأنّ المدينة موطن التفكك الأخلاقي وموطن الشرور والآثام مبالغ فيه لأن تاريخ الديانات يقرّ بأنّ المدن تتمتع بدرجة عالية من القداسة لأنّ أعظم الديانات كالإسلام والمسيحية والبوذية نبعت أساساً من البيئة الحضرية وليس في القرى أو الأرياف.

¹ - محمد الجوهري وآخرون. المرجع السابق، ص. 64.

² - فادية عمر الجولاني. علم الاجتماع الحضري (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997) ص. 79.

³ - محمود عودة. المرجع السابق، ص. 77.

4- نظرية المتصل الريفي - الحضري

هو نموذج نظري حاول أصحابه من خلاله سدّ الثغرات التي وقعت فيها النماذج النظرية السابقة التي أتينا على ذكرها أو التي لم نذكرها ويقوم هذا المتصل على "وجود تدرج مستمر بين المجتمعات في درجة التريف أو التحضر وعلى أساس هذا التدرج يمكن تصنيف ووضع كل المجتمعات الإنسانية على نقاط مختلفة على هذا المتصل"¹.

أما من الناحية النظرية فإن فكرة المتصل الريفي - الحضري تستدعي افتراضين أساسيين

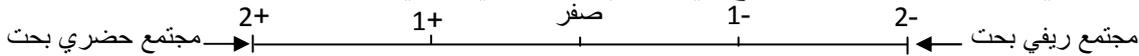
هما:

الأول: هو أنّ المجتمعات المحلية تتدرج بشكل مستمر ومنتظم من الريفية إلى الحضرية وفق مجموعة من الخصائص التي تتباين هي الأخرى من مجتمع لآخر في مدارج هذا المتصل.

أما الثاني: هذا التدرج يصاحبه بالضرورة اختلافات وفروق في أنماط السلوك هذه الفروق لم تذكر لكن يمكن حصرها إجمالاً في تلك التي تحدت عنها سوروكين وزيرمرمان والتي تنبدي في بعض الخصائص الاجتماعية والسكانية والثقافية كالفروق في البناء المهني، والتدرج الاجتماعي، وطابع العلاقات الاجتماعية ونوعية وسائل الضبط الاجتماعي، والتساند الوظيفي،... وغيرها.

هذا، وقد صمّم هذا المتصل على شكل خط متدرج يضمّ على طرفيه المجتمع الريفي من جهة والمجتمع الحضري من جهة أخرى وبين هاتين النقطتين توجد نقاط أخرى هي بمثابة "دلالات على ما وصل إليه المجتمع الريفي باتجاه المستوى الحضري"².

وفي محاولات تهدف إلى التفريق بين الريف والمدينة على ضوء المتصل الريفي - الحضري، استخدم علماء آخرون منهم ليكيرت Likert متصلاً متدرجاً بين المجتمعين معتمداً على متغير المهنة في التصنيف كما هو موضح في الرسم التوضيحي التالي:



2- تمثل مجتمع ريفي خالص نسبة السكان الذين يشتغلون بالزراعة هي مائة في المائة
1- تمثل مجتمع نسبة التريف به هي خمس وسبعون في المائة أي نسبة الحضر فيها 25% هم من تركوا مهنة الزراعة واتجهوا إلى مهن أخرى تجارية وإدارية وخدماتية وصناعية
صفر تشير إلى مجتمع نسبة الريفيين والحضرين فيها متساوية وهي 50% أي نصف السكان يمتهنون الزراعة والنصف الآخر الأعمال غير الزراعية.

1+ يشير إلى مجتمع غالبية حضرية يمتهنون مهناً خاصة بالمدينة أي بنسبة 75%.

2+ تمثل مجتمع حضري 100% سكانه يشتغلون بمهن غير زراعية

¹ - عدلي علي أبو طاحون. علم الاجتماع الريفي (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997) ص. 32.

² - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص. 46.

إذن فكرة هذا المتصل مبنية على تصوّر تدرجي لظاهرة الريفية والحضرية من حيث المهنة ومنه تتجلى باقي الخصائص القائمة بين المجتمع الريفي والحضري.

وبالرغم من أنّ هذه الفكرة حديثة وجاءت كأسلوب منهجي متطور لفهم كافة أنماط السلوك في كلى المجتمعين إلا أنّ هذا لم يمنع من تلقي هذا النموذج لعدّة انتقادات سوف نوردّها في الآتي:
نقد نظرية المتصل الريفي - الحضري

من أهم الانتقادات التي وجهت إلى المتصل الريفي - الحضري وأصحابه (روبرت ريدفيلد)

ما يلي:

- يرى البعض أن ليس هناك ما يسمى بالمجتمع الريفي البحت ولا الحضري البحت "بل هناك علاقات تبادلية على أكثر من مستوى وعلى أكثر من خاصية"¹، خاصة أن هناك ثقافة مشتركة بين المجتمعين تتمثل في اللغة والدين والتراث ونظام الأسرة والنظم الاجتماعية حيث يصعب الفصل بين هذه الخصائص المتداخلة فيما بينها.

- من جهة أخرى يلحّ بعض العلماء على ضرورة اختبار المتصل واقعيّاً حتى يحدّد مبلغ صلاحيته كأداة للتمييز بين الريف والمدينة لأنّ هناك من قام بدراسات ميدانية عن هذا المتصل أو هذه النظرية لكنّها لم تصدق واقعيّاً ويتجلى ذلك خاصّة في أعمال بوكوك (Pocock) التي أجرى فيها عدّة دراسات بالهند ولم يجد هناك فروقاً واضحة بين قرى الهند ومدنها وهو ما عبّر عنه بقوله "إن المدينة التي أدرسها مدينة هندية، والقرية قرية هندية، ولقد حاولت في هذا المقال أن أسير في طريق يمكن أن تبرز فيه الفروق بين هذين الشكلين من الاستيطان البشري، فانتهيت إلى أن علم الاجتماع في الهند لا يمكن تقسيمه إلى علم اجتماع ريفي وعلم اجتماع حضري"².

- بعد حدوث الصناعات الكبرى والهجرات الواسعة وتوسع وانتشار التعليم ونموّ الاتصال الريفي - الحضري كان لا بد على علماء الاجتماع مسايرة هذه التطورات لأنّ تصوراتهم السابقة أصبحت متخلفة خاصّة مع تداخل الحياة بين المجتمعين وحدث التشابك في مستوى كل العلاقات القائمة بين المجتمعين. وهذا للتعقّق أكثر في القضايا والمتغيرات والتكوينات التي تخصّ كل من الريف والمدينة في إطار المتصل الريفي - الحضري.

¹ - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص. 152.

² - محمّد الجوهرى، علياء شكري. المرجع السابق، 270.

ثانياً: الاتجاهات النظرية في تحليل وتفسير النسق الثقافي

1-الاتجاه التطوري

يهتم هذا الاتجاه بالبحث عن نشأة المجتمع الإنساني والثقافة ومحاولة رسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم، وساهم في تكوين هذا الاتجاه وبلورته كل من علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع على حدّ سواء من خلال آرائهم ونظرياتهم المفسرة لعملية التطور الثقافي ، هذا الأخير الذي أخذ عدة اتجاهات في التفسير فمنهم من يأخذ بالمسلمة القائلة بأن " الثقافة تتطور في مراحل متتابعة تتماثل في جميع أنحاء العالم وذلك لأن العمليات العقلية تتشابه بين الناس في ظل ظروف متشابهة في المجتمعات المختلفة"¹ وأبرز من يأخذ هذا المبدأ هو العلامة الأمريكي لويس هنري مورجان (Lewis Henry Morgan) .

وهناك علماء آخرون يأخذون بالمنهج المقارن، "حين يعالجون التتابع التطوري للنظم والمعتقدات الإنسانية، بعقد مقارنات منهجية منظمة بين ثقافات الشعوب"². منهم العالم الأنثروبولوجي البريطاني هنري مين (Henry Maine) وكل من عالم الاجتماع هربرت سبنسر وإميل دوركايم وروبرت ريدفيلد.

بينما يهتم علماء آخرون بدراسات تفصيلية لثقافات صغيرة مثل ثقافات العشائر والقبائل والأرياف من خلالها يمكن إعادة بناء وتصور تاريخ ثقافة تلك العشيرة أو القبيلة أو ذلك الريف أو القرية، وخير من يمثل هذه الدراسات الأنثروبولوجي الأمريكي فرانز بواز (Franz Boas) ومواطنه كلارك ويسلر (Clark Wissler).

أ- أوجيست كونت (Auguste Conte)

قدّم كونت نظرية تطورية افترض فيها أنّ كلّ المجتمعات لا بدّ أن تمر بها وهي ما عبر عنها بقانون الحالات أو المراحل الثلاثة (المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية) هي في الحقيقة تعبر عن التقدم التاريخي للثقافة البشرية خاصة وأن كل مرحلة تكشف عن خصائص عقلية تنعكس على الشعور والأفعال و السلوكات التي يقوم بها الناس والطريقة التي يفكرون بها.

ففي المرحلة اللاهوتية كان يتسم التفكير الإنساني بالبدائية " حيث يعتقدون بالخرافات والأساطير مع سيطرة العبودية واعتبار الجماد موضوعات حية تتحكم فيها الإرادات السماوية"³.

¹ - عدلي علي أبو طاحون. في التغيير الاجتماعي (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997) ص.36.

² - قباري محمد إسماعيل. علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي (الإسكندرية: منشأة المعارف، بدون سنة نشر) ص.28.

³ - عدلي علي أبو طاحون. في التغيير الاجتماعي، المرجع السابق، ص.35.

أما المرحلة الثانية الميتافيزيقية: فقد دخلت فيها السببية مكان الخرافات والإرادات السماوية حيث أصبحت تفسّر الظواهر بمختلف أنواعها ويرجع السبب في ذلك إلى قوى مجردة مع سيادة فكرة وجود كيان عظيم واحد هو الطبيعة.

على خلاف المرحلة الثالثة الوضعية أين يطوّر البشر عمليّة التفسير بمصطلحات علمية وقوانين طبيعية وعلمية يمكن من خلالها التحكّم في الأحداث الإنسانية وأعطى مثالا عن هذه المرحلة الأخيرة بالمدينة الأوروبية التي أصبحت تتحكّم وإلى حدّ كبير في الظروف الطبيعية. ومن خلال هذا العرض نجد أنّ كونت قد رسم صورة جسّد فيها مراحل تطور ونمو العقل الإنساني ومنه نمو ثقافته وفكره الاجتماعي والثقافي معاً وكافة أشكال السلوك.

ب- لويس هنري مورجان ونظرية التطور الثقافي

قسم مورجان المجتمع البشري على امتداد تاريخه الطويل إلى ثلاثة مراحل تطويرية هي: المرحلة البدائية، والمرحلة البربرية، ومرحلة المدنية، هذا وقد قسم المرحلة البدائية والبربرية إلى ثلاثة أقسام عليا ووسطى ودنيا، وكلّ مرحلة من هذه المراحل قد بدأت "باختراع تكنولوجي عظيم وهام"¹. وهذه المراحل هي:

1- المرحلة الدنيا من المرحلة البدائية: تبدأ من نشأة الجذور الإنسانية وحتى بداية الفترة التالية.

2- المرحلة الوسطى من البدائية: تبدأ من صيد الأسماك للحصول على الغذاء ومعرفة استخدام النار حتى المرحلة التالية.

3- المرحلة العليا من البدائية: تبدأ من اختراع السهم والأقواس إلى الفترة التالية.

4- المرحلة الدنيا من البربرية: تبدأ من ابتكار صناعة الفخار إلى المرحلة التالية.

5- المرحلة الوسطى من البربرية: بداية استئناس الحيوان في نصف الكرة الشرقي وفي الغرب منذ زراعة الذرة والنباتات واستخدام الريّ.

6- المرحلة العليا من البربرية: تبدأ من عملية صهر الحديد الخام واستخدام أدوات جديدة إلى الفترة اللاحقة.

7- مرحلة المدنية: وهي تبدأ من اختراع الحروف الأبجدية المنطوقة واستخدام الكتابة حتى وقتنا الحاضر.

وانطلاقاً من هذه المراحل نجد أن مورجان يرسم اتجاه تطورياً خطياً للمجتمع يبدأ متدرجاً في السلم متوحشاً ثم بربرياً ثم متحضراً، هذا وقد تقف بعض المجتمعات عند مرحلة معينة من المراحل السابقة لكن شواهدنا تبقى تمتد حتى الوقت الحالي ومن أمثلة ذلك ما قدّمه مورجان في

¹ - صلاح مصطفى الفوال. المرجع السابق، ص. 118.

هذا الشأن في "التشابه الكبير بين ثقافة البربرية الدنيا والثقافة السائدة بين جماعات الإيروكوا حالياً"¹.

إلى جانب هذا يؤكد مورجان أنّ كلّ مرحلة من مراحل التطور التكنولوجي السابقة ذكرها يتبعها بالضرورة تغيرات وتطورات في مستويات اجتماعية وثقافية تمس الأسرة والنظم والعادات والتقاليد...ولهذا لجأ إلى عقد مقارنة بين النمطين الذي يبدأ منه وينتهي عنده خطّ التطور وهما المجتمع البدائي القديم والمجتمع الحضري الحديث على أساس أنه في المجتمع الأوّل لا توجد طبقات، ومركز الفرد ودوره يتحددان عن طريق العلاقات الشخصية وسيادة العدالة والمساواة بين الجميع وترتكز العلاقات الاجتماعية فيه على أسس القرابة وتسود هذه الصفات خاصة في نظامي العشيرة والقبيلة.

بينما تنتشر الطبقة والملكية الفردية والعلاقات الرسمية وأنظمة الدولة في المجتمع الثاني (الحضري).

ب- ميّز هنري مين بين شكلين مختلفين للثقافة الريفية والحضرية الشكل الأوّل يستند على المكانة أو المركز والشكل الحديث يستند على العقد الاجتماعي بسبب تضارب المصالح وهو يرى بذلك أن اتجاه التطور يسير من المجتمعات التي تعتمد على المكانة إلى المجتمعات التي تتعامل بالعقود وأعطى مثلاً عن ذلك بأشكال الزواج البدائية والريفية والزواج في الحضر، ففي النمط الأوّل تخضع المرأة لقيود في اختيار شريك حياتها "وتصبح ملكية خاصة لرب الأسرة شأنها في ذلك شأن ممتلكاته الأخرى"². بينما تتمتع الزوجة حديثاً بالحرية في إبرام عقد الزواج أو فسخه مع تبادل الالتزامات بين الزوجين.

- بينما يوضّح روبرت ريدفيلد أن الحياة الاجتماعية والثقافية تتدرج وتتطور من المجتمع الشعبي (التقليدي - الريفي) إلى المجتمع الحضري مع وصف المجتمع الأوّل بأنه صغير الحجم ومنعزل ومتجانس وسيادة طرق العيش والسلوك التقليديين ومع زيادة الروابط الاجتماعية يحدث هناك عدم تجانس في المجتمع يؤدي بالضرورة إلى تشتت الثقافة والعلمانية وانتشار الفردية وهو ما يتميز به المجتمع الحضري.

ج- توصل العلامة الأمريكي كلارك ويسلر من خلال دراساته التفصيلية لمجتمعات صغيرة لتحديد عناصر وتاريخ تطور ثقافتها إلى ما يعرف باسم نظرية المنطقة الثقافية، "فالمنطقة الثقافية هي إقليم أو منطقة من العالم تعيش عليها مجموعة من المجتمعات الإنسانية ذات الثقافات المتشابهة"³. وللوصول إلى تحديد تلك المنطقة لابد من دراسة ثقافات مجتمعات منطقة محددة

¹ - صلاح مصطفى الفوال. المرجع السابق. ص. 119.

² - علي عبد الرزاق جليبي وآخرون. علم الاجتماع الثقافي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998) ص. 263.

³ - عاطف وصفي. الأنثروبولوجيا الثقافية (بيروت: دار النهضة العربية، 1971) ص. 44.

بشيء من التفصيل لتحديد عناصر تلك الثقافات وتحديد مدى انتشارها في تلك المنطقة ومن أمثلة هذه العناصر طرق الحصول على الطعام وطهيه وفنون الزينة وأساليب بناء المنازل وطرق الصيد بالإضافة إلى النظم الاجتماعية كنظم التربية والتعليم ونظم القرابة والزواج وغيرها.

وهذا ما يدل على أنّ هذه النظم وأشكالها تتعدّد بتعدّد المجتمعات وتنوع الوسط الاجتماعي وهذه العناصر الثقافية هي التي ترسم صورة المجتمع الذي تسود فيه وهو ما ذهب إليه دوركايم حين اعتبر أنّ الهدف من التربية هو تقديم صورة المجتمع المثالية "والتي تقوم بغرس قيمه ومعاييره واتجاهاته لدى الأفراد"¹. فكلّ من التعليم والتربية يحافظان على الأنساق الثقافية بتناقلها عبر الأجيال وهو ما يشكل التراث الثقافي المميز للمجتمعات.

وبالعودة للحديث عن النظرية التي قدّمها ويسلر نجد أنه قدّم نموذجاً لشرح نظريته حين شبّه المنطقة الثقافية بدائرة، مركزها يمثل "مركز الثقافة"². ويقصد بهذا الأخير المنطقة التي تحتوي على أكبر قدر من العناصر الثقافية وعلى أكبر تكرار لهذه العناصر، وبالقرب من محيط الدائرة يوجد "هامش الثقافة"³. وهي المنطقة التي تقلّ فيها هذه العناصر ويقلّ تكرارها. وذلك بسبب اختلاطها واتصالها بعناصر ثقافية أخرى جديدة.

وبناء عليه فعندما نشير إلى ثقافة أي مجتمع محلي سواء كان ريفاً أو قرية أو مدينة فإنه لا نركز أو نهتم بحجمه سواء كان كبيراً أو صغيراً معقداً أو بسيطاً بقدر ما يهتمنا كما قال بعض العلماء "أن يشترك الأفراد في نفس نمط الحياة والموجهات القيمية للسلوك داخل المجتمع وأنّ جميع الناس يتصرفون فيما بينهم ويتميزون عن أعضاء المجتمعات الأخرى"⁴.

نقد الاتجاه التطوري

تعرض الاتجاه التطوري مع مرور الوقت إلى العديد من الانتقادات يمكن أن نلخصها فيما يلي:

- إن القول بأنّ الثقافة تتطور وفق خطّ واحد مستقيم أمر مرفوض تماماً في الوقت الحاضر إذ تذهب جوليان ستيوارد (Julian H. Steward) أحد علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين إلى أنّ أنماطاً معينة من الثقافات يمكن أن تتطور في طرق متشابهة في ظلّ الظروف المتشابهة لكن في بعض الأحيان فإنّ هناك بعض المظاهر الثقافية التي يمكن أن تظهر لكن في خطوط تطورية متعددة، ولذلك يجب أولاً تحديد نماذج أساسية للثقافة ثم توضيح كيف تطورت هذه النماذج في اتجاهات وخطوط مختلفة وأعطت مثالا على ذلك بالمجتمعات الزراعية فكتبت تقول: "المجتمعات

¹ - فادية عمر الجولاني. علم الاجتماع التربوي (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997) ص.323.

² - عاطف وصفي. المرجع السابق، ص.45.

³ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

⁴ - يسرى دعبس: الثقافة والشخصية. (الإسكندرية: بدون دار النشر، 1997) ص.86.

الزراعية تابعت خطوطاً أو اتجاهات تطورية متماثلة في المراحل الأولى للاستقرار في قرى صغيرة على طول ضفاف الأنهار ولكنها بإتباعها لوسائل الري ومحاولتها شق الطرق باستخدام التكنولوجيا أدت إلى تغييرات أساسية وجوهرية في ثقافتها العامة وتنظيمها الاجتماعي¹.

- هناك ملاحظات أخرى وجّهت للاتجاه التطوري تتمثل في التشكيك في إمكانية القول بوجود شكل ثقافي واحد على أنه أكثر بدائية عن شكل آخر فقد تمارس المجتمعات البدائية والقروية والريفية أنماطاً في الحياة تكون أكثر تعقيداً أو تركيباً من المجتمعات الحديثة الحضرية وذلك ما قد نلمسه في بعض نظم القرابة والأسرة التي تكون أكثر تركيباً وتعقيداً وتطوراً في المجتمع البدائي والريفي والقروي عنه في المجتمع الحضري.

- ومن جانب آخر تعرّضت نظرية «المنطقة الثقافية» التي قدمها ويسلر لنوع من النقد السلبي لخصّها ديكسون (Dinxon .s) في الاعتراضات التالية:

أ- هناك صعوبة في التطبيق فيما يخص بعض العناصر الثقافية كالزراعة هل ننظر إليها على أنها "عنصر ثقافي بسيط أم مركب تتكون من عدة عناصر ثقافية أخرى بسيطة"².

ب- هناك تداخل في المناطق الثقافية في الإقليم الواحد نتيجة للاتصال واحتكاك شعوبها بعضها البعض مما يصعب عملية الفصل بين منطقة ثقافية وأخرى.

ج- يفهم من نظرية المنطقة الثقافية أن لها ارتباطاً وثيقاً بالمكان أو البيئة الجغرافية، لكن كما يقول ديكسون أن بعض الدراسات الميدانية أثبتت عدم عمومية هذا الترابط، "فقد يعيش الإنسان في البيئات الجغرافية المتشابهة لكن بطرق معيشة مختلفة تماماً عن بعضها بمعنى أننا نجد ثقافات مختلفة تماماً في بيئات جغرافية متشابهة، ومن ناحية أخرى قد نجد ثقافات متشابهة في بيئات جغرافية مختلفة"³.

د- الاعتراض الرابع قدّمه العلامة الأمريكي كروبر (Kroeber) "بخصوص التفرقة بين انتشار العنصر الثقافي المادي والعنصر الثقافي المعنوي كالأفكار"⁴، فقد تنتشر الفكرة الواحدة من مجتمع إلى آخر لكن في هذا الأخير يُعبر عنها بصورة مختلفة وهذا ما يخلق صعوبة في تقصي انتشار العناصر المعنوية للثقافة خاصة إذا عبّر عنها بشكل جديد مغاير لأصلها.

- وعموماً في الأخير أريد أن أنوّه إلى أنّ التعميم بأنّ جميع ثقافات مجتمعات العالم تمرّ بنفس المراحل التطورية مسألة غير صائبة تماماً لا يجب الأخذ بها، بل يمكن القول أن هذه النظريات التي وردت سابقاً والتي أتينا على ذكرها هي نظريات محلية مرتبطة بزمن محدّد ومحصورة في مكان محدّد ونتجت عن ظروف معينة.

¹ - علي عبد الرزاق جليبي وآخرون. المرجع السابق، ص. 265.

^{2,3,4} - عاطف وصفي. المرجع السابق، ص. 46.

2-الاتجاه الانتشاري

يشير مفهوم الانتشار الثقافي إلى "العملية التي بواسطتها تنتشر أو تنقل بعض عناصر أو أنساق الثقافة أو أيّ اختراع أو نظام جديد من مكانه الأصلي المتبنى فيه إلى المناطق المجاورة أو الملاصقة لها إلى أن ينتشر أو يتبنى في العالم كلّه"¹.

وقد جاء هذا الاتجاه كبديل للاتجاه التطوري حيث يذهب أنصاره (الاتجاه الانتشاري) إلى أنّ التكنولوجيا والصناعة تنتقل من المجتمعات المتقدمة إلى المجتمعات النامية وتؤثر على ثقافتها. ومن العلماء الذين ساهموا في إرساء قواعد هذا الاتجاه إليوت سميث (G. Elliot Smith) وذلك عند فحصه لمعطيات ثقافية وآثار خاصة بمناطق في العالم فوجد تشابها بينها وبين آثار مصر القديمة ومن ذلك استنتاج انتشار عناصر الثقافة المصرية إلى جميع أجزاء العالم عن طريق العلاقات التجارية القائمة بينهم

ولكي يدعم سميث نظريته هذه حاول أن يضع تشبيهات ثقافية بين المصريين القدماء والمجتمعات البعيدة عنهم في الزمان والمكان مثل البيرو والهند والمكسيك فتوصل إلى "أن خبرة بعض الشعوب في بناء الأهرامات (المكسيك مثلاً) اشتقت من خبرة قدماء المصريين"². هذا إضافة إلى بعض فنون الزراعة والأدوات الحجرية الدقيقة، وفنّ التحنيط وغيرها.

ومن هنا يتضح أنّ هذا الاتجاه يقوم على أساس أنّ الاحتكاك والاتصال بين المجتمعات هو أساس التغيّر والتطوّر الثقافي في بعض المجتمعات، لكن هذا الاتصال ينطوي على عدّة متغيّرات قد تؤثر على فاعلية التغير والتطوّر الثقافي مثل "طبيعة الاتصال وشدّته"³. ما إذا كان عدائياً أو ودياً أو خلال فترة قصيرة أو طويلة إضافة إلى نوعية قنوات الاتصال والوسائل المتبعة فيه ونوعية الأفراد القائمين على الاتصال هل هم ضمن جماعات تبشيرية أم تجارية أم موظفين ونوع الاتصال هل هو فكري أم عقائدي أم تجاري أو صناعي... إلخ وأمر آخر يجب الانتباه إليه هو درجة الاختلاف الثقافي "فهناك ثقافة مسيطرة تفرض نفسها بالقوة سواء بضغوط اقتصادية أو تكنولوجية فإنها تترك بصماتها على الثقافات التابعة لها"⁴.

من جهة أخرى ذهب Krober (كروبر) إلى أنّ هناك ارتباط عكسي بين المسافة التي يحدث فيها التغيّر ومركز الثقافة، فكلما زادت المسافة قلّ حجم التغير والتطوّر الثقافي وهذا ما يفسّر أنّ المجتمعات المنعزلة هي البعيدة عن المجتمعات الحضرية.

¹ - عدلي علي أبو طاحون . في التغير الاجتماعي، المرجع السابق، ص.125.

² - المرجع نفسه، ص.126.

³ - علي شتا. البناء الثقافي للمجتمع، ج5 (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1995) ص.66.

⁴ - المرجع نفسه، ص.ص. 66-67.

وهذا ما عارضه تماماً عالم الاجتماع الريفي المعاصر إيفرت روجرز (Everett Rogers) الذي يقف في مقدمة هذا الاتجاه الانتشاري بدراساته وأبحاثه حيث لاحظ في المجتمعات التي درسها ومنها هولندا أن " هناك مجتمعين زراعيين لا تزيد المسافة بينهما عن خمسة أميال، إلا أن هناك تناقضا حادا بين معايير هذين المجتمعين، فأحدهما تقليدي والآخر تجديدي ولذا فإن سكان الأول يتبنون ويتقبلون التجديدات الزراعية، بينما لا يفعل ذلك أعضاء النسق الثاني بفارق عشرين عاما".¹ ولهذا نجد أن روجرز يعطي لعامل البناء الاجتماعي للمجتمع دوراً مهماً في عملية نشر الثقافة ومدى تقبلها أو رفضها في ضوء عدة عناصر رئيسية لعملية الانتشار الثقافي هي كالآتي:

أ- **المبتكر أو الفكرة الجديدة:** فقد تكون تقدم تكنولوجي، بدعة، حركة اجتماعية، فكرة جديدة...الخ.

ب- **قنوات الاتصال:**الاتصال قد يكون شخصي أو جماهيري وهذه القنوات هي التي بواسطتها ينتقل تجديد معين وينتشر انتشاراً واسعاً بين الناس، عن طريق تبادل المعلومات، وينشأ هناك تفاعل تبادلي لكن " مستوياته تدعو للتأمل نظراً لتفاوتها".² ونقصد بالتفاوت هنا الاختلاف في النظام الاجتماعي.

ج- **النظام الاجتماعي:** إن بيان النظام الاجتماعي يمكن أن يسهل أو يصعب عملية النشر فكل نظام اجتماعي أو مجتمع إما أن يميل إلى التقليد وإما إلى التجديد تبعاً لأنماط السلوك التي قد تكون تقليدية لا تشجع على تبني التجديدات وقبولها واستعمالها وقد تكون عصرية تشجع على التبني والتقبل والاستخدام.

د- **عنصر الوقت:** قد تأخذ عملية النشر الثقافي وقتاً طويلاً أو مدة زمنية قصيرة و هذا يرجع إلى عوامل عدة منها نوع العناصر الثقافية إن كانت مادية أو معنوية بناءً على عدة نتائج من دراسات ميدانية والتي تؤكد أن العناصر المادية للثقافة هي أسرع في الانتشار عنها في العناصر المعنوية، إضافة إلى مدى التقبل الاجتماعي للأفراد والجماعات لهذه المبتكرات والسمات الثقافية الجديدة التي تدخل مجتمعاتهم لأول مرة ومدى ملائمة وتوافق القيم والمعايير المبتكرات الجديدة إضافة إلى أن هذه العملية تأخذ وقتاً يفكر فيه، ويتردد، ثم يحسم ويقرر سواء بالقبول أو الرفض.

- من جانب آخر وفي إحدى دراساته أوضح روجرز المراحل المختلفة لعملية الانتشار والتي تأتي بهذا الترتيب:

1- مرحلة المعرفة

وفيها يتعرف الفرد أو الجماعة عن الفكرة الجديدة أو المبتكر عن طريق السماع أو القراءة عنها أو مشاهدتها وتلعب هنا وسائل الاتصال والإعلام دوراً هاماً في استقطاب ولفت انتباه الناس

¹ - محمود عودة. أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي (بيروت: دار النهضة العربية، 1988) ص.185.

² - خليل أحمد خليل، نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية (لبنان: دار الحدائق، 1979) ص.07.

إلى هذا المبتكر، وهناك بعض الأرياف والقرى " اعتمدوا على المسافرين في تلقي الأخبار عن أحوال المدن والعواصم لأن وسائل الاتصال في الريف لم تكن سهلة وممتيسرة ".¹ وعموماً هذه المرحلة تتميز بالمعرفة المحدودة عن الفكرة والحاجة إلى المزيد من المعلومات عنها.

2- مرحلة الاستمالة أو الإقناع

إذا كانت الفكرة أو المبتكر يمكن الاستفادة منه ، هنا يكون الفرد أو الجماعة يتخذ اتجاهها مميزاً وغير مميز نحوه كما تتميز هذه المرحلة بالاهتمام بالفكرة والمبتكر والرغبة في التعرف على مزاياها والسعي لجمع أكبر كمية من المعلومات عنها.

3- مرحلة التقييم

هنا يحلل الفرد أو الجماعة جميع المعلومات الخاصة بالفكرة الجديدة لتقرير مدى صلاحيتها ومناسبتها لظروفهم وفي ضوء ذلك يتخذ القرار إما بالتبني أو الرفض.

4- مرحلة الممارسة والتنفيذ

تختبر الفكرة أو المبتكر لمعرفة درجة صلاحيتها فمعظم الناس لا يعتقدون فكرة جديدة قبل أن يجربوها وفي هذه المرحلة يقوم المتبنون بوضع قرار التبني موضع التنفيذ.

5- مرحلة التعزيز

في حالة نجاح مرحلة التجريب يقرر الفرد أو المجموعة الاستمرار في الاستخدام الكامل للفكرة وتصيح بذلك جزءاً من سلوكه أو سلوك المجموعة.

وهنا يمكن أن نعطي المثال التالي الذي يوضح أهم مراحل هذه العملية فمثلاً " عندما يسمع شخص ما في قرية أو ريف عن التلقيح الاصطناعي للماشية الذي يهدف إلى تحسين النسل والحصول على سلالة جيّدة من جار له أو قريب أو الطبيب البيطري أو الراديو في عام 1961 ولكنه يظل غير مقتنع به حتى عام 1964 وعندما سمع أن قريبه قد جرب الفكرة فإنه قد يذهب إليه ليناقشها معه، وقد يبدأ في تلقيح إحدى أبقاره إلى عام 1965 أين يقرر نهائياً تلقيح جميع أبقاره بهذه الطريقة"².

- وقد لاقى الانتشار كمجال للبحث اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين خاصة في علم الاجتماع الريفي وذلك في الدراسات المتعلقة خاصة باستقدام التقنيات الحديثة في الزراعة ومدى تقبلها في أوساط الفلاحين في المجتمعات الريفية في ظل العلاقات الاجتماعية والقيم والمعايير السائدة والتي تطبع المحتوى الثقافي لهذه الحياة الريفية، لكن بالرغم من الاهتمام الذي لقيه هذا الاتجاه والانتشار الواسع له إلا أن أصحابه لم يسلموا من النقد الموجه له والذي يمكن أن نلخصه في الآتي:

¹ - محمد بدوي. مبادئ علم الاجتماع، ط4 (القاهرة: دار المعارف، 1976) ص.301.

² - محمود عودة. أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، المرجع السابق، ص.187.

نقد الاتجاه الانتشاري

1- أن الانتشار ليس بالضرورة يحدث بالاحتكاك والاتصال بين شعبين مختلفين في الثقافة أو أكثر من شعب ذلك لأن النسق الثقافي الممثل لمجتمع ما وليكن ريفاً أو قرية قد يتغير ويتطور من الداخل لوجود المادة الخام والمعرفة اللازمة إلى جانب القدرة العقلية اللازمة للاختراع (مُبتَكِرٌ تكنولوجي مثلاً) والحاجة الاجتماعية التي تؤدي إلى مزيد من التقدم في هذا الميدان ولهذا يكون الانتشار الثقافي بالنسبة لهذا المجتمع إضافة لا جدوى منه، زد على ذلك أن التسليم الحتمي بأسبقية العناصر المادية في الانتشار عنها في العناصر المعنوية والإيديولوجية هذا أمر فيه نوع من المغالطة

" فالمكسيكيون كما يقول ردفيليد استعاروا من الإسبان العناصر اللامادية أولاً... وعندما اتصلت الصين بالغرب كما يقول وانج وشنج (wang- cheng)... كانت الاستعارة في مجال الإيديولوجيا سابقة على الماديات ".¹ كذلك انه من الصعب أن نحدد الطريقة التي تدخل بها العناصر الثقافية على اختلاف أنواعها خاصة في مجال اللاماديات ومن الصعوبة أيضاً التعميم في مجال الانتشار لأن كل مجتمع يرتبط بمكان وزمان محددين وظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية تحكمه.

3- الاتجاه الوظيفي: (التكامل والتناسق)

يجمع أصحاب هذا الاتجاه سواء اجتماعيون أو علماء أنثربولوجيون على أن الثقافة كل متكامل بمعنى " أن العناصر الثقافية تؤلف فيما بينها كلاً متكاملاً متناسقاً"² وأن أجزاءها المختلفة في حالة توازن تام بمعنى أن النسق الثقافي هو بناء كلي يتكون من بناءات جزئية وهي العناصر الثقافية والتي تكون في حالة انسجامية وأي خلل في هذا البناء الجزئي يؤدي إلى خلل في البناء الكلي (النسق الثقافي) وكل جزء بدوره يوظف كل الأجزاء الأخرى بطريقة ما لصالح وجوده المستمر ويكون نموه وتطوره معتمدين على النمو والتطور المناظر في النسق الثقافي ككل.

من رواد هذا الاتجاه نجد العلماء الأنثربولوجيين والذين استخدموا في تحليلاتهم مبدأ البنائية الوظيفية ومنهم راد كليف براون (Radcliffe- Brown) الذي يرى أن الثقافة هي وسيلة لإشباع حاجات المجتمع المختلفة كالحفاظ على النمط السائد وتكيفه مع البيئة وإيجاد نوع من التكامل بين النظم السائدة فيه (المجتمع) والمجتمع عنده هو " الكل الذي يتألف من علاقات اجتماعية متناسقة وأن البناء الاجتماعي هو الذي يلاحظ في كل الحياة اليومية للناس".³

¹ - علي عبد الرزاق جليبي. دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، بدون سنة نشر)ص116.

² - محمد السويدي. مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991)ص81.

³ - نجلاء عاطف خليل. علم الاجتماع الطبي وثقافة الصحة والمرض (مصر: المكتبة الأنجلو مصرية، 2006)ص160.

ومن ذلك نجد أنه يؤكد على ضرورة النظرة الكلية والشمولية للثقافة من خلال حالة التوازن التي تتكامل فيها أدوار عناصر المجتمع دون صراع ومحاولة استعادة التوازن في حالة اختلال الأداء الوظيفي لهذه العناصر.

من جهة أخرى نجد روث بندكيت وفي نظريتها التناسقية التكاملية للثقافة " تشبه الثقافة بالفرد حيث قالت بأن الثقافة مثل الفرد لديها نمط متناسق من الفكر والعمل" ¹ فالنمط تعني به تلك التكرارات المنتظمة لسلوك ظاهري ما، ونصل إلى تحديده بالملاحظة أما التناسق فهو تعميم لحالات شعورية وليس لسلوك خارجي هذه الحالات أيضا يتكرر حدوثها بانتظام بين أفراد المجتمع وفي النهاية تتكون الثقافة من " مجموعة متكاملة من السلوك الظاهري و« التناسقات الشعورية»" ² وهذا ما يجعل هذه العالمة تدخل التفسير النفسي في دراسة وتحليل الثقافة ضمن صورتها الكلية وذلك من خلال جمعها للاهتمام بالسلوك والأعمال والاهتمام بالأفكار والعواطف والقيم عند دراسة الثقافة.

وتعرف الثقافة عند تكاملها وتوازنها " بالثقافة المتناسكة القوية" ³ وهو ما تمتاز به المجتمعات الريفية بينما عندما يفقد هذا التوازن والتكامل تصبح الثقافة مفككة ومنحلة وهو ما يميز المجتمعات الحضرية وفي هذا الصدد قدم عالم الأنثروبولوجيا مانرز (Manners , R-A) مثلا عن المجتمعات العالية التكامل " بأنها آلية تشبه الساعة" ⁴ فإسقاط حبة رمل داخل الآلية تجعلها تتحرك ببطء ويقل تنظيمها نتيجة إدخال هذا العنصر الجديد.

ويصل من وراء تقديم هذا المثال إلى التسليم بأن الثقافات المتكاملة تميل إلى مقاومة التغيير والتطور بينما الأقل تكاملا كما هو الحال في المجتمعات الحضرية المتقدمة فتميل إلى التغيير والانفتاح فهي مجتمعات متحررة. لكن الشائع في الغالب هو أن هذا التغيير والتطور يتناول جوانب من الثقافة دون الأخرى ولذلك سوف يُفتقد التوازن الذي تدعو إليه هذه النظريات ويمكن أن نتصور هذه العملية بأن الجانب أو الجزء الذي يحدث فيه التطور أو يمس التغيير يكون قد تباعد عن الكل تاركاً مسافة أو فجوة وهذا ما نسميه " بالفجوة أو الهوة الثقافية" ⁵. أو التخلف الثقافي.

¹ - عاطف وصفي. المرجع السابق، ص.50.

² - المرجع نفسه، ص.58.

³ - علي فؤاد احمد. مشكلات المجتمع الريفي في العالم العربي (بيروت: دار النهضة العربية، بدون سنة النشر) ص.21.

⁴ - سناء الخولي. التغيير الاجتماعي والتحديث (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003) ص.150.

⁵ - علي فؤاد احمد. المرجع السابق، ص.23.

- نقد الاتجاه الوظيفي

يمكن أن نلخص أهم الانتقادات التي وجهت إلى هذا الاتجاه فيما يلي:
أ- "التكامل الثقافي مسألة درجة"¹ ويظهر هذا التباين من خلال أشكال المجتمعات ففي المجتمعات البسيطة يكون هناك اتفاق عام على المعتقدات والقيم، لكن في المجتمعات ذات الثقافات الفرعية المتعددة لا يكون أو لا يوجد هذا الاتفاق إلا حول عدد قليل من هذه المعتقدات والقيم بينما يظهر الصراع والاختلاف في العدد المتبقي منها.

ب- يبالغ هذا الاتجاه في الوحدة والثبات والاتساق مع أن الثقافة دائمة التغير وباستمرار ولذلك لا بد من استعمال كلمة " تميل الثقافة إلى التكامل كما يقول ميردوك (Murdock , G.P)"².
بدل الثقافة كل متكامل ذلك لأن التكامل يحتاج لفترة زمنية وغالبا ما يحدث فجوة ثقافية.
والخلاصة أن هذا الاتجاه متحيز للنظام المحافظ ويبالغ في أوجه الاتفاق والاتساق ولذلك فهو غير قادر على تفسير التغير والتطور الثقافي والاجتماعي.

4- الاتجاه الرمزي

انطلق أصحاب هذا الاتجاه في بلورة آرائهم ونظرياتهم من الفكرة التي ينطوي عليها الاتجاه السابق والذي ينظر إلى الثقافة على أنها كل متكامل من الفكر والسلوك مع إضفاء خاصية الرمزية على هذا السلوك ، ذلك لأن كل سلوك ثقافي هو سلوك رمزي قائم على معاني مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ويشير مفهوم الرمز إلى " شكل معين أو إحساس أو إشارة ... وغيرها من المعاني التي وعاماها الأفراد وعرفوا ما تشير إليه"³.

ومن العلماء الذين تقيدوا بهذه الفكرة نجد العلامة الأمريكي سابير (Sapir-E) الذي انطلق في دراسته من الاعتراض على مفهوم سبنسر للثقافة على أنها حقيقة موضوعية مستقلة عن شعور وعقول الأفراد بمعنى أنه يفصل الثقافة عن الأفراد الذين يصنعونها وهو ما عارضه بشدة سابير وتوصل من خلاله إلى أنه في أي دراسة للثقافة يجب أن ينظر إليها على أنها مجموعة من أنماط السلوك المتناسقة والتي يمكن تحديدها بوضوح عند دراسة السلوكيات الظاهرية أو الواقعية لكل أو معظم أفراد المجتمع صاحب الثقافة موضوع البحث، ويرى أن جوهر الثقافة " هو تفاعل الأفراد وما يترتب عليه من معاني ومشاعر مشتركة، وهكذا يصور الثقافة على أنها كل يتكون من أنماط فكر وعواطف وأنماط عمل"⁴.

¹ - محمد عاطف غيث. علم الاجتماع القروي (بيروت: دار النهضة العربية، 1967)ص.275.

² - علي عبد الرزاق جليبي وآخرون. المرجع السابق، ص.128.

³ - محمد عبد المعبود مرسي. المرجع السابق، ص.28.

⁴ - عاطف وصفي. المرجع السابق، ص.56-57.

بعد ذلك تعزز البعد الرمزي في دراسة وتفسير الثقافة من خلال العلامة لسلي هوايت (Lessely White) من خلال نظريته الرمزية في الثقافة، حيث تتلخص هذه النظرية في أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي لديه القدرة على إعطاء معاني للأشياء وللأفعال التي يلاحظها وكذلك القدرة على فهم تلك المعاني ويسمى هذه العملية بـ " عملية إضفاء الرموز"¹ ولخص هوايت هذه الأشياء والأفعال في الأفكار والمعتقدات والاتجاهات والعواطف والأفعال وصور التفاعل والعادات والقوانين والنظم والأشكال الفنية واللغات والأدوات والآلات وجميع الأشياء التي يبتكرها ويصنعها الإنسان.

ولتوضيح نظريته الرمزية قام هوايت بضرب أمثلة لهذه الأشياء والأفعال ذات المعاني مثل تجميل أنية فخار وتدخين السجائر، وعدم التحدث مع زوجة الأب، والتلاوة أثناء الصلاة، ولمس المياه المقدسة، وصنع رأس سهم ... وما إلى ذلك. ويسمى هوايت بالعناصر الثقافية أي تلك العناصر التي يمكن ملاحظتها حسياً ومرتبطة بالعالم الخارجي أما فيما يخص الأفكار والعواطف الموجودة في عقول ونفوس الناس هي أيضاً عناصر ثقافية بشرط أن تدرس على أنها حقائق واقعية.

وبناءً على ذلك نجد هوايت يركز على جانبين مهمين عند دراسة هذه العناصر الثقافية. الأول يتمثل في الجانب الشخصي بمعنى تفسير الأشياء والأفعال من زاوية شخصيات الأفراد الذين قاموا بها، فمثلاً ما هو شعور الفرد الذي لا يتحدث إلى زوجة أبيه؟ هل يكرهها؟ أو يحترمها؟ وهل ينفذ هذا لأنه مضطر إلى ذلك؟ هل يفعل الفرد عند أدائه هذا الفعل؟ أو يتم بصورة آلية؟.

الثاني يتمثل في الجانب غير الشخصي بمعنى تحديد العلاقة بين تلك الأفعال والأشياء منفصلة عن شخصيات فاعليها " فمثلاً يمكن دراسة فعل « عدم التحدث مع زوجة الأب» وذلك عن طريق تحديد علاقته بأفعال أخرى مثل عادات الزواج هل هي وحدانية؟ أو تعدد الزوجات؟ أو مكان الإقامة بعد الزواج، ودرجة النمو الثقافي وما إلى ذلك"² ومن خلال ذلك نجد أن هوايت يميل إلى دمج العامل النفسي والاجتماعي معا في تحديده للعناصر الثقافية والتي تشكل فيما بينها الوحدة الكلية للثقافة.

وبعيداً عن هذه النظرية نجد أن البعد الرمزي في الثقافة له أثره في العديد من المجتمعات التي تستخدم مثلاً الرايات والشعارات والتي ترمز إلى أشياء متفق عليها اتخذتها المجتمعات لتسهل الدلالة على قيمة العشيرة مثلاً أو الجماعات لدى أفرادها وتصل الأمور في بعض المجتمعات

¹ - محمد السويدي. مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المرجع السابق، ص. 57.

² - المرجع نفسه، ص. 58.

خاصة منها البدائية والريفية إلى " تقديس هذه الرموز"¹ بمختلف صورها سواء كانت حيوانات أو أشجار أو آلات أو أماكن وما إلى ذلك وهذا طبعا يرجع للاعتقاد مثلا بأن هذه الرموز اتخذت من قبل أشخاص يعتقد صلاحهم وبركتهم أو مثلا أنها أماكن قام شخص ما له مكانة علمية واجتماعية بتعليم الناس فيه أمورا تخص حياته أو انه مكان أوى إليه ذلك الرجل الصالح لراحة أو خلوة أو لإقامة، أو لقاء مريديه.

بعد ذلك جاءت أجيال تتبرك بهذا المكان وتقيم الولائم فيه والزيارات وما إلى ذلك وهناك مثال آخر هنا في المجتمعات الريفية الجزائرية والتي تعتبر نوعا من الأشجار أنها ترمز للشيطان وهي أشجار « الدفلة» التي هي في طبيعتها الكيميائية سامة ومضرة، لكن الإنسان في القديم تسمم بها ومنهم من مات جراء تناولها ولهذا سميت بشجرة الشيطان.

وعموما فقد تعددت تفسيرات تقديس الرموز في هذه المجتمعات لكن هنا في الجزائر إنما نحترم هذه الرموز لأنها عملية تنظيمية أكثر منها تقديسية فاحترام العلم الوطني والراية الوطنية إنما هو تقدير للأمة الجزائرية التي يرمز لها ولا علاقة له أبدا بالتقديس أو ما شابه ذلك ومن أمثلة ذلك اتخاذ بعض النوادي العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية وغيرها شعارات خاصة ترتبط بنشاطها وأهدافها ورسالتها ارتباطا مباشرا أو غير مباشر.

وبالعودة إلى الاتجاه الرمزي في تحليل وتفسير الثقافة نجده كغيره تلقى عدة انتقادات نذكر

أهمها فيما يلي:

نقد الاتجاه الرمزي

أ- أنه يجنح إلى البعد السيكولوجي والنفسي كثيرا في تحليل وتفسير ثقافة المجتمع مع أن أصحابه يحاولون تغطية هذا الأمر بدمج العامل الاجتماعي في التحليل إلا أن البعد النفسي والسيكولوجي يطغى على البعد الاجتماعي في تفسيراتهم وتحليلاتهم.

ب- من خلال النظريات التي تناولناها يتضح لنا أن هذا الاتجاه لا يركز كثيرا على عملية التطور والتغير التي تمس الثقافة سواء في جانبها المادي أو المعنوي وهو ما يجعل كذلك عاملي التغير والتطور بعيدين عن تحليلاتهم.

¹ -العربي بن الشيخ. " البناء الاجتماعي للريف" محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

- خلاصة -

إن المعالجة النظرية التي قمنا بها حول هذا الموضوع والتي طرحنا من خلالها أهم النماذج والاتجاهات النظرية التي تهتم بدراسة المجتمع الريفي وسكانه من جهة ومن جهة أخرى تهتم بتحليل وتفسير النسق الثقافي بشكل عام مع إسقاط خاص على النسق الثقافي الريفي، جعلتنا نصل إلى رصد الحقائق التالية:

أ- فيما يخص المجتمع الريفي وسكانه

1- أن أغلب النظريات التي أتينا على ذكرها والخاصة بالمجتمع الريفي وسكانه استخدمت المنهج المقارن في عرض خصائص المجتمع الريفي ونمط حياة سكانه في مقابل خصائص المجتمع الحضري ونمط حياته وهو ما يسمّى بقضية الفروق الريفية الحضرية.

2- لم تنتبه هذه الدراسات والنظريات أن أي شكل من أشكال الفروق الريفية الحضرية إنما هو نتاج لنسق ثقافي معين، فهذه الفروق تختلف من مجتمع لآخر إضافة إلى أن المجتمعات الريفية والحضرية هي أنساق فرعية داخل كل أكبر كالدول والأمم وبالتالي يجب أن يؤخذ المجتمع الأكبر في الاعتبار عند تحليل وإبراز هذه الفروق.

3- عدم الإشارة بوضوح إلى وسائل الاتصال الحديثة وما تلعبه في ربط ثقافة كل من المجتمعين الريفي والحضري بثقافة المجتمع الأكبر الذي ينتمي إليه هذين المجتمعين وجعل أبنائهما شركاء في ثقافة كبرى وإن تعددت انتماءاتهم الإقليمية وثقافتهم الفرعية.

4- أغلب النظريات التي طرحت في هذا المجال كانت تعبر عن آراء أصحابها المحكومين بظروف مجتمعاتهم المكانية و الزمنية وتبرز خاصة مساهمة علماء الاجتماع الأمريكيان في الدراسات الريفية.

ب- فيما يخص النسق الثقافي

1- أهم النظريات التي سبق ذكرها في تحليل وتفسير النسق الثقافي تنتمي آراء علمائها إلى المدرستين الأنثروبولوجية والاجتماعية وهذا ما يبرز مدى مساهمة الأنثروبولوجيا خاصة الثقافية منها في إثراء مثل هذه الدراسات.

2- هذه النظريات كل منها تناول جانبا أو حالة قد تصح أو تتحقق في مجتمع ما أو في طور من أطواره وهي صحيحة في محلها ولا تصح في محل آخر وذلك لوجود عوائق سواء كان نظاما اجتماعيا أو نظاما بيئيا أو دينيا وغيرها وبالتالي فإنّ التعميم على باقي المجتمعات الأخرى لا يمكن الأخذ به.

3- يمكن ملاحظة صحة وجه من وجوه النظريات في جانب من الجوانب الاجتماعية في بعض المجتمعات دون غيرها وذلك يعود لعدة أمور أهمها الهجرة الريفية إلى المدن والهجرة المعاكسة لها ودور وسائل الإعلام والاتصال وغيرها والتي تجعل المجتمع الريفي متجدداً في مبناه

الإنساني وبالتالي يؤدي إلى تجدد ثقافته أيضا مع أنّ هناك بعض المظاهر الثقافية التي تبدو تابعة للحياة الريفية وتملي أسلوباً معيناً يكون هو الموجّه لثقافة الأفراد.

الفصل الثاني

واقع السكان ونسقهم الثقافي بالريف الجزائري

- تمهيد.

أولاً: لمحة تاريخية عن الريف الجزائري قبل الاستقلال وبعده.

1- الوضع العام في الريف قبل الاستقلال.

2- الوضع العام في الريف بعد الاستقلال.

ثانياً: السكان في الريف الجزائري.

1- الحجم والتركيب العمري.

2- النشاط المهني والتوزيع.

3- خصائص سكان الريف الجزائري.

ثالثاً: مراحل تطور النسق الثقافي الريفي بالجزائر.

1- مرحلة التقليد.

2- مرحلة التجديد.

رابعاً: آليات تطور النسق الثقافي الريفي.

خامساً: الصراع الثقافي في الريف الجزائري.

- خلاصة .

تمهيد:

تهدف الحياة الاجتماعية العصرية التي بدأت تفرض نفسها في كثير من المجتمعات النامية إلى ترسيخ مجموعة من الأفكار والقيم والمعايير والأنماط المعيشية التي لم تكن معروفة من قبل. والمجتمع الريفي في الجزائر واحد من هذه المجتمعات وإن كان مجتمعاً جزئياً، قد تعرّض هو الآخر لمثل هذه المفاهيم الدخيلة الرامية إلى العصرية والتجديد ولهذا يجدر بنا نحن كباحثين وقبل أن نتطرق إلى إبراز أهمّ التطوّرات التي عرفها المجتمع الريفي في نظامه الاجتماعي بشكل عام ونسقه الثقافي بشكل خاص أن نعرّج أولاً على أهمّ المحطّات والمراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الريفي بالجزائر ثم الكيفية التي تطور بها وأهم التحولات الثقافية التي عرفها، ومن هذا المنطلق سوف نبدأ هذه الوحدة الدراسية الأساسية بلمحة تاريخية عن الريف الجزائري كمايلي.

أولاً: لمحة تاريخية عن الريف الجزائري قبل الاستقلال وبعده

1- الوضع العام في الريف الجزائري قبل الاستقلال: 1830-1962

المنتخب للواقع التاريخي للريف الجزائري يدرك مباشرة أنه مرّ بحقب زمنية بارزة ومؤثرة وفي آن واحد كانت مواكبة للمراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري ككل، نبدأها بالمرحلة المؤلمة التي عاشها الشعب الجزائري تحت السيطرة الفرنسية أو بالأصح يمكن أن نقول أنه عانى من ويلاتها الأغلبية الريفية والأقلية الحضرية لأنه إذا عدنا قليلاً إلى الوراء، إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط في سنة 1830 نجد أن " نسبة سكان الريف بلغت آنذاك 95% من مجموع السكان الذين قدر عددهم آنذاك بحوالي ثلاثة ملايين نسمة"¹. كانوا يعيشون في وسط عشائري (قبلي) تربطهم علاقة وطيدة بالأرض التي مارسوا فيها عملهم الزراعي على أسس تعاونية جماعية، وفيما يلي سنبين وضعية الأرض والسكان الريفيين خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

أ- الأرض والسكان في الريف الجزائري في عهد الاحتلال الفرنسي

كانت ملكية الأرض في الريف تعتمد على نظام بسيط يقوم أساساً على العرف والعادة والقانون الإسلامي وتقسّم إلى:

" أرض البايك، الأرض الجماعية (العرش) أرض الملك الخاص"²، فأرض البايك هي الأرض الوحيدة الموثقة داخل سجلات خاصة وهي تابعة للدولة، وسميت بهذا الاسم (الباي) تمييزاً لها عن باقي الأراضي الأخرى.

أما أرض العرش فهي أرض مشاعة جماعية وهي السائدة لدى غالبية أفراد المجتمع الريفي آنذاك وتمتد على مساحة واسعة يتم استغلالها وخدمتها وفق آداء جماعي تعاوني وتضامني سواء تعلق الأمر بالزراعة أو الحصاد أو الرعي وغيرها من الممارسات الفلاحية والزراعية.

أما أرض الملك الخاص فهي التي يملكها الأفراد دون عقود ملكية واضحة ويتركز معظمها في منطقة متيجة والساحل ويلاحظ على هذه الملكية أنها هي الأخرى تأخذ الطابع الجماعي لأنها تشترك فيها عائلة كبيرة أو مجموعة من العائلات وقلّ ما نجد ملكية لفرد واحد.

أما النوع الأخير والذي يمكن أن نضيفه إلى هذه الملكيات هو أرض الوقف أو الحبوس التي كانت خاصة بالمساجد والمؤسسات الخيرية والدينية وعلى العموم وكما هو معروف عن الإنسان الريفي هو تعلقه الكبير بالأرض حيث تربطه علاقة وطيدة بها لا يمكنه الاستغناء عنها، حيث كانت مصدر قوته وعيشه وعاملاً قوياً في استقراره، لكن القوات الفرنسية، وفي طوال فترة

¹ - محمد السويدي. المرجع السابق، ص. 80

² - Michel Lounay. *paysans Algériens* (Paris : Editions du Seuil, 1963) P.239.

الاحتلال عمدت على تهديم هذا العامل وطبقت سياسة استيطانية واستغلالية في آن واحد، أجبرت من خلالها الفلاحين الجزائريين وسكان الأرياف والقرى على التنازل على أراضيهم بشتى الطرق سواء بالبيع الاختياري أو المصادرة أو التهديد والنهب والسلب " والنتيجة كانت تقلص أراضي الفلاحين الجزائريين وطردهم من السهول المنتجة إلى الهضاب الجافة حيث الزراعة أكثر مشتقة وأقل مردودًا"¹. والجدول التالي يوضح تطور ملكية الأروبيين للأراضي الجزائرية من سنة 1850 إلى 1951.

جدول رقم 1: تطور ملكية الأروبيين للأراضي الجزائرية من 1850 إلى 1951

السنة	المساحة بالهكتار
1850	150.000
1870	765.000
1900	1.682.000
1930	2.364.000
1940	2.720.000
1950	2.727.000

المصدر: محمد السويدي. المرجع السابق، ص. 76.

هذا وقد دلت إحصائيات أخرى على أنه وخلال هذه الفترة (فترة الاحتلال) كان في الجزائر حوالي عشرين مليون هكتار قابلة للزراعة منها 5 ملايين ملك الدولة الفرنسية وأربعة ملايين ملك البلديات ومنها 2.5 مليون ملك المعمرين الفرنسيين وهي أخصب الأراضي التي يمتلكها 26 ألف مستعمر والباقي 8.5 مليون هي أرض جرداء بقيت لدى الجزائريين"².

هذه المعطيات الإحصائية تدل على الكم الهائل من الأراضي التي سلبت من الجزائريين الذين كانوا في أمس الحاجة إليها ومع ذلك عملت هذه السياسة الاستعمارية على تهجير الجزائريين من أراضيهم وأصبح الريفيون لا يستطيعون العودة إلى أرضهم السابقة إلا بصفتهم " عمالاً أجراء في مزارع المعمرين ... بل وأصبح الكثيرون منهم مجرد خماسين"³.

وقد دلت الإحصائيات أنه حتى سنة 1950 لم يكن في الريف الجزائري إلا حوالي "10% ممن يعملون بنظام الخماسة و12% من الرعاة، أما العمال الذين يحصلون على أجور زراعية (دائمون وموسميون) فلم تتجاوز نسبتهم 12% سنة 1954، بالإضافة إلى وجود مليون من الريفيين العاطلين"⁴.

¹ - محمد السويدي. المرجع السابق، ص. 75.

² - محسن شيشكلي. دراسات في المجتمع العربي، ط2 (سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1965) ص. 263.

³ - محمد السويدي. المرجع السابق، ص. 76.

⁴ - المرجع نفسه، ص 77.

وهكذا اضطر سكان الريف الجزائري إلى الهجرة خارج الوطن بحثا عن العمل في أوروبا أو الاتجاه نحو المناطق الغنية والخصبة والتي يمتلكها الأوروبيون والهجرة الداخلية من الريف إلى المدن طلبا للعمل، " وقد بدأت هذه العملية قبل عام 1954، غير أنها ازدادت مع الحرب، حيث رفض العديد من الفلاحين اللاجئين....العودة إلى أراضيهم وفلاحتها"¹.

ومن هنا انتقل مركز الثقل في الجزائر من الأرياف التي كان يسكنها الغالبية إلى المدن التي ما فتئت إلى أن أصبحت مركز الأكثرية شيئا فشيئا بفعل الاحتلال الفرنسي وصعوبة المعيشة وقساوة الظروف ويمكن أن نلاحظ هذا التركيز في المدن خاصة بعد الاستقلال بحكم الظروف السائدة آنذاك خاصة فيما يتعلق بآثار حرب التحرير النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تسبب فيها تهديم القرى والمدن الريفية، والجدول التالي يوضح عدد سكان الريف الجزائري من سنة 1856 إلى 1959.

جدول رقم 2: سكان الريف الجزائري من 1856 إلى 1959

السنة	العدد الإجمالي للسكان الجزائريين	نسبة سكان الريف
1856	2.307.349	-
1866	2.652.072	-
1876	2.462.935	-
1886	3.287.000	92%
1906	4.046.000	90%
1926	4.615.700	87%
1931	5.026.300	86%
1936	5.570.100	84%
1948	6.660.000	80%
1954	7.840.000	80%
1959	8.850.000	77%

المصدر: محمد السويدي. المرجع السابق، ص.81.

يتبين من هذا الجدول أن هناك تناقص في عدد سكان الريف لكن ليس بالنسب الكبيرة التي يمكن أن نقول من خلالها أننا أمام ظاهرة تحضر بارزة وذلك ربما يرجع إلى سيطرة القطاع الريفي على القطاع الحضري فقد دلت إحصائيات أخرى "أنه بعد الاستقلال وبالضبط سنة 1966 لم

¹ - عبد القادر جغلول. تاريخ الجزائر الحديث، ط3 (الجزائر: دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، 1983) ص.ص.225-226.

يكن في الجزائر سوى أربع مدن مائة ألفية بينما بلغ عددها سنة 1987، 27 مدينة¹. مما يدل على أنه لم تكن الهجرة إلى هذه المدن الأربع في متناول الجميع خاصة مع الإجراءات الأمنية التي تتخذها الإدارة الفرنسية آنذاك ومن بينها إقامة المحتشدات التي كانت عبارة عن مراكز تجمع للسكان الريفيين ولم تفتح إلا بعد الاستقلال أين اتجه المتجمعون فيها إلى المدن بعد ذلك وزيادة رجوع المهاجرين وفتح الحدود وتدفق هؤلاء المهاجرين الجزائريين إلى المدن بعد الاستقلال.

وهنا نخلص إلى القول بأن هذه الهجرة التي طالت السكان الريفيين والتي كانت نتاجا لهذا الاحتلال والاستعمار الفرنسي ساهمت وبقسط كبير في نقل بعض مظاهر التغير إلى عالم الريف وهذا من خلال علاقة هؤلاء المهاجرين إلى المدن مع أهاليهم في الأرياف والتي تتجسد في شكل الزيارات والمساعدات والمواساة أدت إلى اكتساب الريفيين لبعض الأنماط المعيشية والسلوكية الجديدة عليهم والمتمثلة في اللباس، والأدوات، وطرق العلاج وآداب المعاملات... أي في مجملها عناصر ثقافية، وكذلك بعض الأساليب المستعملة في الزراعة "وتطورها إلى زراعة السوق والتي تتطلب جودة عالية، تؤهله للخوض في مجال المنافسة والتخصص في الزراعة بكل أنواعها الأمر الذي جعل عالم الريف يدخل في علاقات جديدة حتى مع الأرض التي هو عليها منذ أمد².

ب- الوضع الاقتصادي الريفي في عهد الاحتلال الفرنسي

إن تطرقنا لهذا العنصر الذي سنحدد من خلاله معالم الاقتصاد الريفي في هذه الفترة ليس وليد الصدفة وإنما له كل الصلة بموضوع الدراسة ذلك لأن القيم الثقافية السائدة حاليا في المجتمع الريفي ما هي إلا انعكاسات الحياة الاقتصادية والاجتماعية قديماً ولنا أن ندلل على ذلك من خلال بعض الأمثلة المتعلقة بالمجتمع الريفي.

فالقيم التي تركز مبدأ تفضيل وسيادة الذكر على الأنثى ما هي إلا نتيجة لاعتماد الاقتصاد الزراعي المتخلف على الجهد البشري والقوة العضلية في الزراعة اللذان يملكها الرجل وتفترق إليهما المرأة مقارنة به الأمر الذي "كرّس سطوة الرجل وارتفاع مكانته عن المرأة"³.

مثال آخر قد يتضح به المقام أكثر فقد "يترتب على تخلف الأسلوب الإنتاجي، وبخاصة المستوى الفني المستخدم في الزراعة والذي يعتمد بالدرجة الأولى على الجهد البشري، وجود رغبة جامحة في الإكثار من عناصر هذا الجهد المتمثلة في مزيد من الإنجاب وبخاصة إنجاب الذكور"⁴.

كذلك إذا نظرنا إلى المجتمع الريفي نجده مجتمع زراعي يعتمد بالدرجة الأولى على القوى والموارد الطبيعية ما أدى إلى انتشار التفكير الغيبي فيه وضعف الإنسان للتدخل والسيطرة عليها،

¹ - محمد السويدي. المرجع السابق، ص. 82.

² - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص. 162 - 163 .

³ - غريب محمد سيد أحمد، عبد الباسط عبد المعطي. علم الاجتماع الريفي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2002) ص. 327.

⁴ - المرجع نفسه، ص. 328.

الأمر الذي طمس إرادة الإنسان وطموحه وأصبح يبحث عن قوى أكبر منه وخارجة عنه لتغيير ما يحيط به.

على العموم هذه الأمثلة التي أوردناها كانت تبريراً لسبب تفضيلنا تناول هذا العنصر في هذه الدراسة بالذات وعلاقته بها، أما إذا رجعنا إلى اللوحة التاريخية عن الوضع الاقتصادي في فترة الاحتلال فسنجدها كما يلي:

كانت الحياة الاقتصادية في الريف الجزائري محكومة باقتصاد هش وضعيف تماشياً مع الظروف القاهرة آنذاك، ويمكن أن نحدّد أهم معالم وخصائص هذا الاقتصاد فيما يلي:

- اقتصاد أولي في ظل استهلاك مباشر وفوري

هنا الفلاح يبذر ويحصد، لكنه يستهلك مباشرة المواد والمنتجات التي يجنيها، فهو لا يدّخر كثيراً، بل يكتفي بحفظ بعض المواد غير قابلة للفساد والتي يحتاجها فيما بعد للبذر مجدداً كالقمح والشعير فإذا كان الموسم جيداً يستغلها فوراً. أما إذا كان سيئاً (موسم قحط) فهو يستدرك ذلك بالعودة إلى مدخراته ومن هنا يمكن القول أن هذا الاقتصاد هو " اقتصاد قصير المدى موجّه فقط نحو إشباع الحاجات الفورية كما يقول المثل الشعبي «اصرف ما تملكه اليوم، والله يفرجها في الغد»¹.

- الاقتصاد المغلوق

الفلاحون ينتجون من أجل الاستهلاك العائلي بمعنى إشباع الحاجات الضرورية فقط وبما أن الغلة التي يعطيها الله لا يمكن التنبؤ بها نجد هؤلاء الفلاحين كرماء جداً مع غيرهم بما هو فائض وأحياناً بما هو ضروري دون أن ننسى المسألة الدينية المتعلقة بزكاة العشر والتي تمنح من غلة الحصاد وبالتالي فإن هؤلاء الفلاحين لا يبيعون إنتاجهم وإنما يبادلونه بمصنوعات ومنتجات تصنف من الضروريات وتتم هذه المبادلة على محيط ريفي ضيق يكون فيه السوق النقطة الأساسية والأبدية التي يلتقي فيها أناس عشيرته².

- الاقتصاد المحدود

بمعنى أن أغلب الفلاحين الجزائريين هم مزارعون صغار أو مربون صغار لأنهم لا ينتجون إلا ما هو ضروري ولا يتطلعون إلى الإنتاج الكيفي أو الإنتاج الموجه إلى المتاجرة فهم يقتصرون على استغلال ملكياتهم الخاصة حسب اختياراتهم وحاجياتهم أما الملكية الكبيرة والمشاركة فإنها هي الأخرى تتجزأ على حساب أفراد العائلة المستغلين ويتقاسمون فيها العمل والغلة.

¹ Secrétariat social d'Alger. De l'Algérie originelle à l'Algérie moderne. Eléments de sociologie culturelle ou - service de l'éducation de Base (Alger : Edition du secrétariat social d'Alger, 1961) p.14.

² Secrétariat social d'Alger. Op. cit p.14.

- الاقتصاد غير المنظم

الفلاحون يبذرون ويزرعون وينتظرون الغلة ولكن إبان هذا الانتظار لا يفعل شيئاً أو يقتادون قطعانهم وينتظرون الغروب للعودة فأوقاتهم غير منظمة وعملهم يدوم أوقاتاً قصيرة تليها أوقات طويلة من الفراغ فكما يقول مصطفى الخشاب في كتابه «دراسة المجتمع» «مجتمع القرية مملوء بالفراغات فالعمل الزراعي لا يكاد يستغرق إلا قسطاً يسيراً من سحابة النهار فالفراغ يقتل الريفي، بينما رجل المدينة يقتل الوقت، ونشاطه يستغرق معظم ساعات اليوم فهو أكثر إنتاجاً وأعمق أثراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية»¹.

بينما في المقابل نجد أن المرأة الريفية هي الوحيدة المشغولة بأعمال غالباً ما تكون متعبة طوال الأيام فبالإضافة إلى أعمال التنظيف فهي تزود البيت بالحطب والماء... وهي الوحيدة التي تشغل أوقات فراغها بأعمال نافعة ومنتجة كالنسيج مثلاً².

- الاقتصاد بوسائل وتقنيات أقل تطوراً

الوسائل التي كان يستخدمها الريفيون الجزائريون قديماً لا تتعدى تلك الوسائل الضرورية التي تحقق ذلك الإيراد المرجو من طرف الفلاح لأن أعمالهم تقتصر على تغييرات وأعمال خفيفة على الأرض بالإضافة إلى تحويل مختصر ومحدود للمنتوجات، لذلك نجد وسائله بسيطة ومحدودة، ومع مرور الوقت، حسن الريفي وسائله خاصة منها وسائل نسيج الصوف التي احتفظت بمكانتها في الريف الجزائري خاصة من قبل النساء اللواتي يمتهن هذه الحرفة التي ليس لها بالقوة بمكان أن تشبه نسيج المدينة.

في الختام يمكن القول أنّ الاقتصاد الريفي في الجزائر هو في الأساس " اقتصاد الجوع"³ وسوء التغذية هي علامة هذا المجتمع باعتبار أن النكافؤ بين الحاجيات والمنتوجات مؤقت وهذا الاقتصاد هو علامة عالم ينقصه النظر إلى الأفق البعيد.

الناس يعيشون من أجل اليوم نفسه، والتطلع أو الأمل في حياة الرفاهية ضعيف جداً والطموحات جدّ صغيرة بحكم الانصياع والالتزام بالعادات والتقاليد التي يجب المحافظة عليها وعدم مخالفتها وعدم التقيد بها يعني الخروج الكلي عن إطار هذا المجتمع الريفي ككل.

ج- الوضع الاجتماعي في الريف الجزائري قبل الاستقلال

كان الريف الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي تطبعه الحياة الجماعية العائلية التي فرضت نفسها كضرورة في ظل ذلك الاقتصاد الصعب كالتأزر والتعاون وتقاسم الأعمال في المناسبات

¹ - مصطفى الخشاب. دراسة المجتمع (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977) ص. 84.

² - Secrétariat social d'Alger. Op. cit p. 15.

³ - Ibid. p. 15.

السعيدة والحزينة وفي مواسم القحط أيضا، والحياة الجماعية هذه تأخذ شكلا عائليا وشكلا خارج نطاق العائلة.

- الحياة الجماعية العائلية

العائلة الريفية الجزائرية هي نموذج من العائلة الموسعة حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد.... إذ نجد من عشرين إلى ستين شخصا وأكثر يعيشون جماعيا يلعب فيها (الجماعة العائلية) " الأب والجد دور القائد الروحي لها، ولهما مرتبة خاصة تسمح لهما بالحفاظ على تماسك العائلة بواسطة نظام محكم تفرضه العادات والتقاليد وقيم المجتمع الريفي المتواجدة فيه"¹.

بمعنى أن السلطة الأبوية هي المسيطرة والواجبات جماعية لكن مع وجود بعض التنظيمات التي ربما تميز العائلة الريفية الجزائرية عن غيرها في البلدان الأخرى " كتقديم الأكل للرجال أولا ويأكلون جماعة حول نفس المائدة ثم النساء في جهة والأطفال في جهة أخرى وإن يبلغ الطفل سن البلوغ حتى يتقدم إلى المائدة"²

وعلى العموم يمكن القول أن العائلة الريفية الجزائرية هي حجر الزاوية في البناء الاجتماعي، يعيش الفرد في كنفها ويتشرب قواعدها التنظيمية ويخضع لعاداتها وتقاليدها ويتفاعل تفاعلا مباشرا مع أفرادها المكونين لها، يعتبر الزواج المبكر فيها الأكثر تفضيلا ويخضع لقبود العادات والتقاليد، كما يمتاز أفرادها بالقناعة والرضى والزهدي، تمتاز كذلك بكثرة مواليدها، وتفضيل الذكور على الإناث بالإضافة إلى خصائص أخرى لا يسعنا المقام لذكرها كلها لكن سنتطرق إليها بنوع من التفصيل في العنصر الموالي الخاص بميزات سكان الريف.

- الحياة الجماعية خارج نطاق العائلة

تتجلى هذه الحياة في العلاقات التي يبنها الريفي الجزائري مع أفراد آخرين خارج نطاق عائلته فهو يحب معرفة الآخرين ويحب أن يكون معروفا من طرفهم بمعنى أنه بحاجة إلى الاندماج والاجتماعية أكثر.

هذه العلاقات الخارجة عن نطاق العائلة التي تحفظ خصوصية كل عائلة وتقوى الروابط بينها تؤدي إلى ظهور جماعات موسعة حسب الظروف والحاجيات تظهر أكثر في " السوق الأسبوعي وأثناء تأدية صلاة الجمعة وفي دار البلدية"³

على كل حال الحياة الاجتماعية في الريف الجزائري لها خصوصيتها المغلقة والمميزة لها " فمثلا في منطقة القبائل نجد القرى منغلقة على نفسها والطرق التي تحيط بها لا تسمح لأي فرد

¹ - مصطفى بوتفوشة. العائلة الجزائرية، ترجمة دمري أحمد (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984) ص.37

² - المرجع نفسه، ص.40

³ - Secrétariat social d'Alger. OP-cit , p.p.17-18

أجنبي أن يخرقها¹. لكن هذا لا يعني أن العزلة والتشتت من صفات الحياة الريفية في الجزائر، بل هي تختلف من منطقة لأخرى باختلاف اللهجات والعبادات التي تقام على قبور الأولياء الصالحين والانتماء إلى قومية أو سلف معين.

- أهم المعايير الاجتماعية في الريف الجزائري

تتمثل في كل ما يتعلق بالعبادات والتقاليد والقيم والأعراف، وتختلف من مجتمع لآخر لأنها مكتسبة من الموروث الاجتماعي، وظيفتها هي تماسك المجتمع لأنها سوف تصبح قوانين اجتماعية آمرة وملزمة وهي التي تحل وتحرم كل ما يتم من الممارسات داخل المجتمع خاصة منه المجتمع الريفي.

-العرف* والقانون

في فترة الاحتلال الفرنسي كان الإسلام هو المنتشر في أغلب الأرياف الجزائرية ومعظم سكانه يدينون به "لكن بطريقتهم الخاصة"² وذلك لمزاحمة الأعراف للقوانين القرآنية والقانون المكتوب للإسلام بمعنى أن المجتمع الريفي الجزائري يختار من هذه القوانين القرآنية كل ما يمكنه من تقوية العادات والأعراف في حين أنه يرفض كل القوانين التي تهدد هذه الأعراف وتضعها في موقع الخطر (خطر الزوال).

فمثلاً نجد الفرد الريفي في بعض المناطق الجزائرية ورغم إيمانه بالقرآن الكريم إلا أنه يقصي المرأة من حق الميراث ويتعامل بالعقد الزراعي للخماسين وهو مرفوض في الفقه الإسلامي لكنه طبق وبصورة موسعة في تلك الفترة، كذلك ممارسة طقوس الشعوذة هو بديهي محرم لأنه ضد التوحيد القرآني (توحيد الله) لكنه لا يزال يمارس بشكل أو بآخر إلى يومنا هذا.

-العادات* والتقاليد^ والقيم∞ :

يمتاز المجتمع الريفي الجزائري بمقومات أساسية تتبني عليها فئات توجه النشاط سواء كان فكرياً أم عملياً وفق منظومة متكاملة تحوي أبعاد الحياة الاجتماعية ولواحقها، إلا أن هناك في الريف الجزائري بعض المقومات التراثية التي تزاحم المقومات الدينية المبنية أساساً على التعاليم الإسلامية يمكن أن نصنفها ضمن عادات وتقاليد وقيم هذا المجتمع كالزيارات لقبور الأولياء

¹ - Secrétariat social d'Alger. OP-cit , p.p.17-18

* العرف: هو ما هو متعارف عليه وما تم عليه الإجماع، وهو مجموعة الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة وتمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها.

² - Secrétariat social d'Alger. OP-cit , p21

∞ العادات من كلمة تعود، من التكرار، إعادة الشيء، تتمثل في أفعال الناس التي يمارسونها عن طريق التعود مثل آداب المائدة، الأزياء، طرق التحية، طرق العلاج...إلخ.

^ التقاليد: هي محاكاة الآخرين في طرق التفكير وطرق العيش وهي تعبر عن مجموع قواعد السلوك التي تنشأ من الرضا الجماعي للأفراد وتنتقل بينهم بالتوارث والانتشار والمبادلة والمحاكاة.

∞ القيم: مرادف لكلمة نافع أو لائق وتعبر عن الأفكار الاعتقادية المتعلقة بفائدة كل شيء في المجتمع.

الصالحين والتبرّك بهم وربط كل شيء بالروحانية إضافة إلى بعض الآداب والعادات الجميلة مثل احترام وتقدير أهل العلم، احترام المسنين، وحسن الضيافة...

هذا من جانب، أمّا من جانب آخر، نجد الإنسان الريفي الجزائري متمسك ببعض القيم التي تبدو جزءا لا يتجزأ من حياته كقيم الأرض والقيم العائلية، وقيم المعيشة والقيم الدينية، فهو مرتبط بالأرض إلى درجة القداسة لأنها تمثل مصدر الحياة ومورده ومقره وجذوره وهي بمثابة عرضه، فيشبهه من تخلى عن أرضه كالذي تخلى عن عرضه.

أمّا القيم العائلية فتتجلى أساسا في المحبة والمشاركة والتعاون والأخوة، فالأخ رفيق وسند وظهر مهما دعت الظروف للتنافس والاختلاف، "ومع ارتفاع معدل الإعالة* في المجتمع الريفي الجزائري في الفترة التي كان فيها كما هو الحال في سائر الدول العربية الأخرى"¹. يصبح الاعتداء على أي فرد من أفراد العائلة اعتداء على الذات ولغياب السلطة التي تؤمّن العدالة، آنذاك أصبح الثأر هوسا يلاحق أبناء الريف ويعشعش في أفكارهم وربما إلى يومنا هذا.

هناك أيضا عدد من القيم العامة التي ترتبط ارتباطا مباشرا بنمط معيشة السكان الريفيين في الجزائر كالمثابرة والصبر الذي اكتسبوه من شقاوة العمل في الفلاحة، وقيم الجيرة لما تطلبه حياة الريف من تعاون وتكاتف بالإضافة إلى حلّ مشاكلهم بالتوسط والمصالحة بدلا من اللجوء إلى المحاكم والمسالمة طالما لا تهدد الأرض والعائلة، أما فيما يخص القيم الدينية فسنعرض لها أكثر في العنصر الموالي.

- البعد الديني للحياة الاجتماعية في الريف الجزائري

سكان الأرياف في الجزائر يدينون كلهم بدين واحد وهو الإسلام (من قبل انتشار الإسلام كانوا يعبدون آلهة الفينيقيين بالإضافة إلى عبادة النار وغيرها...) ويتمسكون بالدين الإسلامي وأقوال العلماء أكثر من غيرهم إلا أنه هناك بعض المعتقدات المغايرة للعقيدة الإسلامية تغلغت في الوسط الريفي الجزائري وأخذت انتشارا واسعا تتمثل أساسا كما اشرنا إليه سابقا في الزيارات والتبرّك والسحر والقرابين.

وهو ما كان منتشرا في أرياف شمال إفريقيا عموما كما يوضح ذلك حليم بركات في كتابه المجتمع العربي المعاصر: "يتمسك الفلاحون تمسكا عميقا بالدين... وتحتل المزارات والزوايا وأضرحة الأولياء أهمية خاصة في تعبدتهم الطقوسي، فيقدمون لها، بصرف النظر عن انتمائهم الديني والطائفي، القرابين والندور ويحرقون البخور والشموع طالبين منها أن تحل مشاكلهم اليومية"²

* ارتفاع معدل الإعالة: بمعنى ارتفاع نسبة الأطفال والفئات غير المنتجة كالشيوخ والمتقاعدين والمعوقين.

¹ - زيدان عبد الباقي. أسس علم السكان (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1978) ص.306.

² - حليم بركات. المجتمع العربي المعاصر، ط1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984) ص.83.

ويلاحظ كذلك انتشار بعض المعتقدات المترامنة مع هذه الطقوس في الريف الجزائري مثلا اعتبار شجرة الزيتون مباركة، وشجرة الدفلة شجرة الشيطان، هذه الأخيرة لأنها سامة وأكل ثمارها أو أوراقها يسبب الموت، نسبت إلى الشيطان، أما الأولى ولأنها مذكورة في القرآن الكريم فهي بركة، وبالتالي فهي معارف دينية وليست دراسة ايكولوجية أو طبيعية.

ولهذا فإن للدين مكانة كبيرة في المجتمع الريفي الجزائري ويمكن أن نعتبره "أهم بعد ترتكز عليه الحياة الاجتماعية"¹، لأنه المسيّر والمتحكم في تسيير النشاط الاجتماعي في الريف، وهو أساس معظم تفسيراتهم لأغلب الظواهر التي تطرأ عليهم.

أما الأماكن التي يتلقى فيها سكان الريف الجزائري تعليمهم الديني كانت تتمثل وتتحصر أساسا في الزوايا والمساجد وكان يقتصر تعليمهم على تحفيظ القرآن الكريم بالدرجة الأولى وبعض الدروس والمواعظ التي تلي هذا التحفيظ.

د-الوضع الثقافي في الريف الجزائري في فترة ما قبل الاستقلال

قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830، كانت الثقافة في الجزائر عربية إسلامية أصيلة، "حيث كانت العلاقات الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع الجزائري مستمدة من الحضارة الإسلامية، من دين وثقافة وتقاليد وقوانين وأحكام وهي عنصر الانسجام والتماسك بين 99 % من مجموع سكان الجزائر، لأن اليهود كان عددهم حوالي 30 ألف نسمة، أي لم يكونوا يمثلون أكثر من 1 %"². مع الإشارة إلى أن أغلبية هؤلاء السكان الجزائريين هم ريفيون لأنه وبعد الاحتلال الفرنسي للأراضي الجزائرية كانت نسبتهم تتراوح ما بين 92 % و 77% في الفترة الممتدة من 1886 إلى 1959 (للتأكد، ارجع إلى جدول رقم 2 ص 65) ولذلك لم يكن الإسلام مجرد دين عبادة فقط بل كان مصدرا للثقافة والنظم القانونية والعلاقات الاجتماعية وكان أهم عنصر من مقومات الثقافة الريفية الجزائرية.

وكان التعليم الديني في الريف والبوادي يتم في الزوايا، "ففي نواحي تلمسان وحدها كان هناك حوالي 40 زاوية تهتم بنشر التعليم ومبادئ الدين والتسامح والأخوة الذي كان يعتبر روح الحياة الثقافية والدينية في البلاد"³.

وبالتالي كان التعليم هنا مرتكزا على الأوقاف (زوايا، مساجد صغيرة، كتاتيب.... إلخ) مما جعل المستعمر الفرنسي وبعد دخوله الأراضي الجزائرية يجرّدون سكان المناطق الريفية والحضرية من الهياكل الدينية المخصصة للتعليم والعبادة في محاولة منهم لمسح الشخصية

¹ - العربي بن الشيخ. "البنية الدينية للريف الجزائري". محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير في مقياس أنثربولوجيا الأرياف، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة 2008.

² - أنيسة بركات. "التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال" في مجلة الثقافة، العدد 82 (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984) ص. 197.

³ - المرجع نفسه، ص. 198.

الجزائرية ومحو السمات التي تميز المجتمع الجزائري بشقيه الريفي والحضري، ومحاولات القضاء على الإسلام أحيانا أو لتثويته بالخصوص بسبب نشاط البعثات التبشيرية الرامي إلى نشر المذهب الكاثوليكي في البلاد حيث "أطلق العنان للمبشرين على مختلف أنواعهم يقومون بعمليات المسخ والتثوية ضد العناصر المكونة لشخصيتنا العربية الإسلامية"¹.

فتمثلت سياسة المستعمر من الوجهة الثقافية في ضرب مصادر الثقافة الريفية الجزائرية، بالاتجاه أولا إلى الدين الإسلامي ثم اللغة والتعليم، هذا الأخير الذي عمدت السلطات الفرنسية إلى جعله وسيلة لتجريد أبناء الريف والجزائر عموما من شخصيتهم الإسلامية العربية تدريجيا، فارتكزت سياستها التعليمية على فكرتين "تتادي إحداهما بتعليم الأهالي تمهيدا لفرنستهم وإدماجهم في فرنسا في النهاية، أما الفكرة الأخرى فتتادي بحرمانهم من كل تعليم سواء كان باللغة العربية أو الفرنسية خوفا من انتشار التعليم الذي سيهدد نفوذ الاستعمار في البلاد"².

الفكرة الأولى دعمتها بإنشاء مدارس عربية- فرنسية، لكن يغلب عليها الطابع الفرنسي أكثر في البرامج لنشر الفرنسية على نطاق واسع على حساب اللغة العربية هذا أولا والغرض الثاني هو منافسة الزوايا التي كانت تقاوم السياسة الأجنبية التي قامت بدور هام في استمرارية التعليم "عن طريق سماحها لأقلية من الأطفال الجزائريين على اختلاف الأجيال بتحصيل قدر من العلم والمعرفة والذين انبثوا فيما بعد في أوساط المجتمع وأخذوا ينشطون هياكله ويساهمون في إحياء قيمه الماثورة ويتولون بذلك القدر الأدنى من الوظيفة الثقافية"³.

هذا دون أن ننسى دور الحركات الوطنية الإصلاحية في تطهير المجتمع الجزائري من الشعوذة "وتطهير العقائد من الشرك ومظاهره، وتحرير العادات من الفساد والمساوئ الأخلاقية بالإضافة إلى دورها في إحياء الشخصية الجزائرية المتمثلة في عروبته وإسلامها بجميع الوسائل كإنشاء المدارس واستخدام المساجد والزوايا وتأسيس الأندية وتكوين الجمعيات وإخراج الصحف والمجلات"⁴. حيث استطاعت كذلك بناء " ما يزيد عن أربعمئة مدرسة في البلاد ضمت عشرات الآلاف من التلاميذ"⁵. عززت فيهم حب الوطن وضرورة الدفاع عنه بالنضال العسكري والعمل الثقافي معاً.

¹ - محمد العربي الزبيري. "الغزو الثقافي في الجزائر"، في مجلة الرؤيا، العدد 2 (الجزائر: دون دار نشر، 1982) ص. 09.

² - أنيسة بركات. المرجع السابق، ص. 200.

³ - أحمد مهساس. "التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية"، في مجلة الثقافة، العدد 85 (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985) ص. 71.

⁴ - أنيسة بركات. المرجع السابق، ص. 201- 202.

⁵ - المرجع نفسه، ص. 202.

وهو ما كشف حقيقة هذه المدارس الفرنسية وفضح رسالتها التي كانت تعمل على " تنفيذ خطة واسعة النطاق لنشر الفرنسية بين أبناء الجزائر، وتحريف التاريخ الجزائري، وطعن ثقافتهم العربية والعمل على تحطيم كيان الشخصية الجزائرية"¹.

وهو ما تظن إليه كذلك الأهالي وجعلهم يلزمون موقف الحذر من التعليم الفرنسي خاصة بعد " تنصير الألوفا من الأطفال الجزائريين اليتامى بالغصب والقوة في سنتي 1867 و 1868 "².

هذا فيما يخص الفكرة الأولى، أما الفكرة الثانية فقد لجأت من خلالها إلى إغلاق المساجد والمدارس والزوايا التي كانت قائمة في الجزائر آنذاك، مما أدى إلى تقلص عدد المتعلمين في الجزائر ككل ولدى الريفيين بشكل خاص حيث كان هناك " أقل من طفل ريفي من كل 50 أو 70 آخرين يجد طريقه إلى المدرسة"³.

اضطهاد العلماء وتشريدهم وتهجيرهم، مما أدى إلى انحطاط كبير في المستوى العلمي العام وشل الحركة الفكرية في البلاد.

ومن ناحية أخرى حاول المستعمر وبعد أن استنفذ كل طاقاته في ضرب مصادر الثقافة الجزائرية اللجوء إلى الطب كوسيلة بديلة عن التعليم والدين ليخدموا به أغراضهم السياسية والاستعمارية الواضحة للعيان " فركزوا جهودهم على نشر الطب الحديث مستهدفا كسب الرأي العام والتقرب من السكان"⁴.

ووجدوا الجو مناسباً لذلك لأن الشعب كان لا يعرف الطب الحديث وكان يعتمد على التقاليد فقط أو ما يعرف بالطب الشعبي لكن الشعب تظن لهذه السياسة التي تهدف إلى تكريس التبعية الاستعمارية في كل المجالات، وفضلوا تحمل الأمراض والمشاق على استعمال الطب الأجنبي.

وللإشارة فإن المقاومة الجزائرية عبر كل عهودها لم تغفل قيمة الأبعاد الثقافية في نضالها ضد العدو المحتل، هذا النضال الذي اكتسى عدة أوجه (سياسي، مسلح..) لكنه كان يلتقي عند غاية واحدة هي التصدي للاعتداءات على شخصية الشعب الجزائري بكل مقوماته من " خلال التوعية السياسية ومحو الأمية والتعليم والتكوين والإعلام ، وكانت السجون والمعتقلات ساحات نضال تمارس فيها التوعية والتعليم والتثقيف"⁵ وعندما استطاعت ثورة نوفمبر أن تجبر المستعمر الفرنسي الفرنسي

¹ - تركي رابح. " التربية والشخصية الجزائرية" في مجلة الأصالة، العدد 6 (الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1972)ص.94.

² - مصطفى الأشرف. الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983)ص.415.

³ - أحمد مهساس. المرجع السابق،ص.73.

⁴ - Turin Yvonne. Affrontements culturels dans L'Algérie coloniale 2^{eme} Edition (Alger : Entreprise nationale du livre,1983)p.321

⁵ - أنيسة بركات. المرجع السابق، ص. 203

على الإنحاء، كانت مواقفنا الثقافية رديئة للغاية كما يقول الزبيري في مقال عن الغزو الثقافي في الجزائر، خلف الاستعمار الفرنسي وراءه الوضع الاجتماعي والثقافي، هذه بعض الجوانب منه: نسبة مرتفعة من الأمية قدرت يومها بأكثر من 80 % أما الخمس الباقي فجله من أنصاف المتعلمين الذين صنعهم الاستعمار على عجلة ليكونوا امتداده الطبيعي الذي يعتمد عليه في مواصلة عملية المسخ والتشويه والتزييف، إسلام مشوه غلبت عليه الخرافة والدروشة...، تقاليد وعادات ونمط للحياة والسلوكيات اليومية لا علاقة لها بشخصيتنا الوطنية وتراثنا، علاقات اجتماعية مهلهلة أساسها الخوف والنفاق والمراوغة والمداهنة، انعدام الثقة في النفس، وإيمان راسخ بأن المستعمر هو القادر على كل شيء، تصاعد ديموغرافي مخيف زاد من حدته عشية الاستقلال، دخول حوالي مليون من الجزائريين لجأوا إلى تونس والمغرب الأقصى أثناء الكفاح المسلح وكذلك تسريح المحتشدات التي كانت تحبس حوالي مليونين من المواطنين¹

إن هذا هو الوضع الثقافي الذي ميز المجتمع الجزائري الريفي بغالبيته في هذه الفترة وكان يشكل أرضية صعبة للانطلاق من جديد في البناء الثقافي للمجتمع.

2- الوضع العام في الريف الجزائري بعد الاستقلال (1962 إلى غاية الوقت الحالي) أ- وضع السكان

لعبت الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بالجزائر دورا لا يستهان به في تحريك السكان ودفعهم إلى الهجرة في مرحلة ما بعد الاستقلال نحو التجمعات الحضرية وهو ما أدى إلى تناقص أعداد الريفيين تدريجيا بمرور السنوات كما يوضحه الجدول الموالي :

¹ - محمد العربي الزبيري. المرجع السابق، ص. 12.

جدول رقم 3- يوضح عدد سكان الريف الجزائري من 1966 إلى 2008

السنة	العدد الإجمالي للسكان	نسبة سكان الريف
1966	11.800.000	67%
1973	14.700.000	61%
1977	16.900.000	58%
1987	23.000.000	50.33%
1998	29.272.343	41.7%
2005	-	40%
2008	34.800.000	37.4%

المصدر: الجدول مجمع من طرف الطالبة من المصادر التالية، محمد السويدي. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، المرجع السابق ص.78، وأطلس الجزائر والعالم ، الطبعة الثانية، ص.24، ومنظمة الإسكوا : تقديرات واستقطات سكان الأرياف والمدن في البلدان العربية من 1980 إلى 2020 في الموقع التالي :

www.un.org/esa/population/publications/wpp2006/wpp2006.htm

المتتبع لهذه الإحصائيات يجد أنه ومباشرة بعد الاستقلال بدت نسبة الريفيين تتناقص وهو ما يقابله آليا زيادة معتبرة في المدينة أو الحضر وهذا نتيجة عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية نذكر منها:

- بعد الاستقلال وفتح المحتشدات وفتح الحدود وعودة اللاجئين الجزائريين إلى أرضهم اتجهوا إلى التركيز في المدن وزادت بذلك نسبة السكان في المدن عنها في الأرياف خاصة مع تردي الأوضاع في الأرياف بعد رحيل المستعمر وإحراقه لعدد معتبر من الأراضي
- زيادة النزوح الريفي نحو المدن نظرا لتفوقها في مجال فرص الشغل وكذلك الخدمات والمرافق المختلفة في مجال التعليم والعلاج والتموين بالمواد الغذائية مما أدى على ارتفاع الكثافة السكانية بالمدن وكذلك معدلات النمو الحضري بها.
- إعادة هيكلة القطاع الفلاحي وتوزيع الأراضي العمومية وحرمان بعض شباب الأرياف من حق الاستفادة من الأراضي وعموما أدى إلى انخفاض قى نسبة العمالة الفلاحية من 22% سنة 1989 إلى 20% سنة 1990¹ ووصلت " 16 % سنة 1998² و" 13.6% سنة 2007³

¹ - بوشامة ليديا. وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي، بحث منشور في صفحة الانترنت تحت محرك البحث Google . www.Google.com

² - أطلس الجزائر والعالم، تحرير محمد الهادي لعروق وسمير بوريمة ، ط2 (الجزائر : دار الهدى ، دون سنة نشر) ص. 10

³ - 02 p (au quatrième trimestre 2007) .statistiques sociales / emploi et change .ons.dz

"كذلك التوسع السريع في طلب قوة العمل خارج ميدان الزراعة إلى جانب تفاوت الأجور بين النشاطات الزراعية و النشاطات غير الزراعية لمستوى واحد من التأهيل المهني ساعد على تغذية هجرة زراعية هامة جزئية أو تامة أخذت تتحول بصورة تدريجية إلى هجرة ريفية"¹
-سياسة الخوصصة وظهور قوانين الاستثمار في القطاع الوطني الخاص أدى إلى إنشاء وحدات صناعية خاصة استثمارية في مختلف المجالات بالمدن جلبت يد عاملة أصلها الجغرافي من جهات ريفية وشبه ريفية.

- التقسيمات الإدارية التي عرفتها الجزائر منذ 1956 و 1974 و 1984 كان لها دورا هاما في نمو التجمعات الحضرية لأن إضافة أي مراكز إدارية جديدة سواء ولايات أو دوائر أو بلديات من شأنه أن يدخل مرافق وهياكل وخدمات واعتمادات مالية جديدة لها ما يجعلها نقاط جذب للسكان.

- الأحداث المأساوية وأعمال العنف التي شهدتها الجزائر لمدة عشرية كاملة ساهمت وبشكل كبير في نزوح أمواج من الريفيين إلى المدن بسبب غياب عامل الأمن خاصة في الأرياف.
- كل هذه العوامل وأخرى ساهمت في تناقص عدد سكان الريف من سنة لأخرى وهو ما أدخل عالم الريف الجزائري في تغيرات مست هيكله البشري وامتدت لتشمل باقي الهياكل الأخرى كما سنوضح في العناصر المقبلة.

ب- الوضع الاقتصادي

لقد عرف الاقتصاد الريفي الذي كان مبينا على الزراعة وقاعدة إنتاجية هشة ومردود ضئيل والذي كان مستقطبا حوالي 70% من العمالة في الريف تغيرات وتحولات في طبيعة النشاط الجماعي، حيث "فقد المجتمع الريفي الجزائري تلاحمه وتناسقه التقليدي، بدون التوصل إلى توازن يكون أكثر حداثة والسبب في ذلك ببساطة أن الزراعة الجزائرية لا تضمن سوى الحد الأدنى لمعيشة الأفراد وتضمن إنتاجا ضعيفا للبلد"².

وهو ما أدى إلى هجرة الريفيين للزراعة ودخول ميادين جديدة خاصة الشباب منهم وهو ما رافقه دخول القطاع الفلاحي في مشكلات وصعوبات عدة منها "شيخوخة الفئة النشطة في العمل الزراعي وانخفاض عام في الإنتاجية في هذا القطاع"³ إضافة إلى انخفاض نسبة العمالة فيه ودخول قطاعات جديدة إلى عالم الريف، ومن أبرزها قطاع التجارة والخدمات، البناء والأشغال العمومية، ثم أخيرا الصناعة، وقد أبرزت الإحصائيات الأخيرة التي قدمها الديوان الوطني للإحصاء حول

¹ - عبد اللطيف بن أشنهو. الهجرة الريفية في الجزائر، ترجمة عبد الحميد أتاسي (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون سنة النشر)ص.5.

² - Cote Marc. Mutation rurales en Algérie, le cas des haute plaines de l'est, 2^{ème} edition (Alger : Office des publications universitaires ,1981)p.07

³ - M.E.S.R. S et O.N.R.S. Village socialistes et habitat Rural (Alger :office des publications universitaires, 1976) p.74

القوى المشتغلة فعلا في الريف لعام 2007 استقطاب التجارة والخدمات الإدارية لأزيد من 1.388.202 عامل من أصل 3305654 عامل أي ما نسبته 42% بينما استقطب قطاع البناء والأشغال العمومية 21.4% من الأيدي العاملة الريفية والصناعة 9.2% والزراعة 27.4%¹.

ولهذا نجد أن الاقتصاد الريفي لم يعد يعتمد بشكل كلي على القطاع الزراعي بعد بروز نشاطات مهنية أخرى أصبحت تأخذ حيزا كبيرا من العمالة الريفية ، والسبب في هجران الريفيين للأعمال الزراعية يعود أساسا إلى المردود الضئيل في الإنتاج الزراعي والذي أصبح لا يلبي حاجات الفرد الريفي، مما حتم عليهم الاتجاه نحو قطاعات أخرى تعود عليه بربح أوفر ومردود أكثر.

هذا وقد عرف القطاع الزراعي في الجزائر عدّة إصلاحات وتنظيمات وقوانين منذ الاستقلال، الهدف منها النهوض بهذا القطاع الحيوي وذلك لتأمين متطلبات الغذاء والحياة للسكان، منها "قانون التسيير الذاتي سنة 1963 والثورة الزراعية عام 1971 وقانون استصلاح الأراضي عام 1984 والمستثمرات الفلاحية 1987، إعادة الأملاك المؤممة سنة 1990 وصدرت سنة 1996 تشريعات خاصة بضمان حق التملك للأرض وحق التأجير"².

هذه الأنظمة والقوانين تدل كلها على فشل مختلف العمليات الإصلاحية للقطاع الزراعي الذي ما زال يتخبط في هذه المشاكل رغم أهميته وموقعه الاستراتيجي في الاقتصاد الريفي والاقتصاد الجزائري ككل إلا أنه لم يتبوأ مكانته بعد ويبقى مشكل الدعم والتمويل من أهم العراقيل التي تعاني منه الزراعة في الريف الجزائري، خاصة بعد استفادة أشخاص لا يمتون بصلة إلى الفلاحة وأغلبهم من الحضريين من أموال الدولة المخصصة لهذا المجال.

ج- الوضع الاجتماعي والثقافي

لقد عرفت الجزائر وكما قلنا سابقا تحولات مست جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة السياسات التنموية التي انتهجتها والحملات الإعلامية التي حثت الأفراد والجماعات على وجوب التحكم في شروط التنمية والتقدم من أجل حياة أفضل.

وكان المجتمع الريفي هو الآخر عرف جانبا من هذه التحولات في شتى المجالات، منها التغيرات والتحولات التي طرأت على الأسرة الريفية مثلا، فقد حدث تحول في حجمها فبعدما كان يعيش في أحضانها قرابة عشرين إلى ستين فرد أصبح اليوم متوسط حجم الأسرة في الجزائر بصفة عامة لا يزيد عن 6.5 شخص لكل عائلة، أما في الريف فقد دلت الإحصائيات أن " حجم الأسرة في

¹ - O.N.S /emploi et chômage, op.cit ,p.02

² - حسين لوشن. "الزراعة في الجزائر"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة،

الريف لا يزيد عن 6 أشخاص بنسبة 41.3%، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سياسة الدولة في تنظيم النسل و العناية بالأأم والطفل في الريف قد بدأت تجد طريقها إلى هناك¹ ، فولادة طفل جديد لم يعد عشوائيا في أغلب الأحيان كما كان في السابق فمجيء مولود جديد في العائلة الجزائرية الريفية التقليدية لا يزرعج منه مطلقا الأبوين لأنه يترعرع وحده.

"فعندما يكون رضيعا يتغذى من حليب أمه، عندما يصبح طفلا يتلقى تربيته بالتواصل مع الطبيعة والعادات، عندما يصبح مراهقا يتعلم حرفته بتقليد أبويه² وهو في النهاية ثروة عملية، فالعائلة تظهر أكثر قوة كلما كانت أكثر تعدادا، في حين نجد أن مجيء هذا المولود في العائلة الريفية الحالية، خاصة إذا كان الثالث أو الرابع أو أكثر فإنه يخلق نوعا من القلق لدى أبويه لأن تربية وتعليم وتكوين طفل في ظل حياة اجتماعية عصرية متطورة وظروف اقتصادية صعبة تعتبر من الأشياء الصعب تحقيقها خاصة لدى الفئات والعائلات الفقيرة.

هذا من جانب، من جانب آخر نجد أن خروج المرأة الريفية للعمل خارج المنزل "يؤدي إلى نقص في النشاطات التي يتوجب أن تقوم بها داخل الأسرة ، حيث أصبحت أعباء العمل المنزلي مسؤولية مشتركة بين الزوجين"³، ففي الريف الجزائري ساهم خروج المرأة إلى العمل في تقاسم مصاريف البيت ومسؤولية رعايته، وفي نفس الوقت أدى إلى إهمال المرأة لرعاية أطفالها وتربيتهم وهو ما يؤثر في تنشئتهم الاجتماعية وينعكس عليهم سلبا في المستقبل.

من بين التغيرات أيضا داخل الأسرة الريفية، بدء اندثار الأسرة الأبوية الصارمة وبدأت الفردية تميز اتجاهات الأعضاء في هذه الأسرة وأصبح الأبناء يعبرون عن رغبتهم الدائمة في المشاركة في اتخاذ القرارات وظهر نمط جديد من العلاقات المبنية على الأساس الديمقراطي بين الآباء والأبناء، هذا وقد أدى تقريب مصادر التعليم والثقافة من السكان في بعض الأرياف، إلى التحاق أبنائهم بالمعاهد والجامعات والتعلق بالحياة الحضرية، مما أدى إلى بناء علاقات جديدة مع هؤلاء الحضريين والزواج من خارج المحيط الريفي.

كما أن انتشار وسائل الإعلام المختلفة كالإذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات والسينما... وغيرها في الأرياف "زاد من اتساع وتنوع حقول الثقافة لديهم، الشيء الذي أدى بهم إلى معرفة أنماط جديدة من السلوك والقيم والمعتقدات والاتجاهات المغايرة لتلك التي عرفوها واكتسبوها في بيئتهم الريفية"⁴. فمثلا أصبح الاهتمام بالهندام لدى الشاب الريفي الجزائري من الأمور المهمة لديه، حيث كان يرتدي القشابية والبرنوس والشاش وأصبح اليوم وتحت وقع الإشهار

¹ - راضية لبرش. " نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت والمتغير"، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة باتنة، 2002، ص.72.

² - Secrétariat Social d'Alger. Op-cit, p.72.

³ - علي وهب. المجتمعات البشرية والأنماط المعيشية والسلوكية (لبنان: دار الفكر العربي، 1996) ص.122.

⁴ - راضية لبرش. المرجع السابق، ص.75.

والموضات الحديثة يقلد الألبسة التي تعبر عن العقلية الغربية ذات الميزة التحريرية من كل القيود مهما كانت صفتها وهو نفس الشيء بالنسبة للفتيات خاصة المتمدرسات والعاملات وهو ما يقابل بنوع من الرفض من قبل الآباء في بعض العائلات الريفية الذين يحثون أبناءهم بالترام اللباس المحتشم خاصة لدى الإناث حتى لا يتعرض للمضايقات وكلام الناس، وهو ما يشكل نوعا من الصراع بين الآباء والأبناء حول هذه الاختيارات في الريف الجزائري.

كذلك من الأمور التي نلمس فيها بعض التغيرات نجد مثلا المسكن الريفي الذي أصبح اليوم يشبه إلى حد كبير المساكن الحضرية، سواء من خلال أدوات البناء أو الشكل، مع بعض الاختلاف في الهيكلة العمرانية في بعض المنازل، ففيها مثلا غرف ومن ثم مخازن، وبجوار المنزل أو بعيدا عنه توجد حظائر للحيوانات، إذن هذه الهيكلة مصممة خصيصا لتلبية حاجة النشاط الذي يقوم به الشخص في الريف.

ومن بين الأمور الأخرى الهامة التي تغيرت نسبيا في الريف بعد الاستقلال هي أن الأسرة الريفية لم تعد تولي اهتماما كبيرا لتقاليد الماضي خاصة إذا كانت لا تتماشى ومقتضيات العصر والتطور، فمثلا الزواج لم يعد قضية جماعية بل باتت تابعة لإرادة الأبناء في أغلب الأحيان¹ حتى الإناث أصبحن يستشرن من قبل أوليائهن في هذه القضية، ولا يغصبن على الزواج كما كان في السابق لدى بعض العائلات الريفية التقليدية.

- ملاحظة

إنّ هذه التغيرات نسبية وليست مطلقة ولا يمكن التعميم بها على سائر الأرياف الجزائرية، كما أنه لا يمكن الإلمام بالوضع الاجتماعي العام في الأرياف الجزائرية في هذه المساحة الضيقة ولذلك يعتبر ما تطرقنا إليه عينة عن بعض الأوضاع الاجتماعية السائدة في أريافنا وليست ربما كلها.

ب- الوضع الثقافي

"إن البنية الثقافية للمجتمع الجزائري قائمة على التمازج بين أنماط من الثقافات الفرعية التي تتبادلها الجماعات في كافة جهات الوطن، وبالتالي فهي تكوّن نسقا غنيا ومتنوعا في قيمه وعاداته وتقاليد وأعرافه وضوابطه وفنونه"² وتعتمد بنياته على مبادئ الإسلام الذي حاول الاستعمار تشويهه بكل الطرق خاصة منها سياسة التجهيل التي تركت أثارا بالغة على سكان الجزائر ومنهم السكان الريفيون اللذين عانوا من الأمية كثيرا فتدنى مستواهم الفكري وأصبحت عقلياتهم بالية "ولذلك حاولت الثورة الثقافية بعد الاستقلال في الجزائر أن تكون إنسانا جديدا في مجتمع جديد،

¹ - راضية لبرش. المرجع السابق، ص.78.

² - حسين لوشن. "مؤسسات التعليم والتكوين في الجزائر- رؤية لواقع تعليمي متغير وإستراتيجية تحقيق توازنه" في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10 (الجزائر: جامعة باتنة، 2004) ص.10.

بالتأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية وتحقيق التنمية الثقافية بجميع أشكالها والرفع الدائم لمستوى التعليم المدرسي¹. واعتماد أسلوب في الحياة ينسجم ويواكب التطورات السارية في المجتمع ككل ومن أساليب التنمية الثقافية التي اتبعتها الدولة الجزائرية في الريف الجزائري:

- فتح المؤسسات التعليمية والتكوينية داخل القرى والأرياف أو بالقرب منها لإتاحة فرص التعليم أمام أبناء الريف والرفع من مستواهم الفكري والثقافي.

- إلزامية التعليم ومجانيته أمام أبناء كل الشعب الجزائري لتعميم العلم والمعرفة دون عراقيل أو حواجز تقف في وجه طالبي العلم سواء ريفيون أو حضريون.

- "تعريب التعليم والانفتاح على اللغات الأجنبية وتوسيع مؤسسات التعليم والتكوين لتستوعب الملايين من الطلبة والمتمدرسين"².

وقد عملت هذه الإجراءات على انخراط أعداد هائلة من الريفيين في كامل أسلاك وأطوار التعليم ولعبت دوراً هاماً في تغيير بعض المفاهيم والقضايا الراسخة في أذهان الريفيين، فبفضل التكوين والتعليم مثلاً، أصبحت الفتيات الريفيات المشتغلات والمتعلمات لا يتزوجن في سن باكراً وهو ما ساهم في تخفيض نسبة المواليد لدى العائلة الريفية وحماية الأمومة والطفولة بعدما كان الوسط الريفي المحافظ ذي المستوى الثقافي والاقتصادي الضعيفين يمتاز بكثرة المواليد ثم شيئاً فشيئاً بدأت هذه الظاهرة تنقلص إلى أن أصبح متوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة في الجزائر يبلغ "6.5 فرد لكل عائلة عام 2002"³.

من جانب آخر لعبت الثورة أو التنمية الثقافية التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال دوراً هاماً في رفع مستوى معيشة السكان الريفيين تدريجياً عن طريق التربية وتنشيط الحياة الاجتماعية في طريق التقدم والرقى وربما يعتبر خروج المرأة الريفية إلى العمل أهم حدث شهده المجتمع الريفي الجزائري وأصبح أمراً واقعاً وحيّاً، ساهم من جهة في رفع الإمكانيات المادية للعائلة ومن جهة أخرى "صعب من مهمة المرأة في التوفيق بين عملها وواجباتها العائلية وهما عاملان يوجهان الأسرة نحو التقلص في حجمها وبنيتها"⁴.

وعموماً ومما لا شك فيه أن الدولة الجزائرية أعطت الكثير لقطاع الثقافة في الجزائر وما زالت تولي أهمية كبرى لهذا القطاع لأنه القاعدة الأساسية للتحويلات التي يشهدها المجتمع الجزائري في جميع الميادين خاصة الدور الذي يلعبه في دفع عجلة التنمية والتطور إلى الأمام والتقدم والرقى.

¹ - أنيسة بركات. المرجع السابق، ص. 204.

² - حسين لوشن. المرجع السابق، ص. 16-17.

³ - أطلس الجزائر والعالم. المرجع السابق، ص. 10.

⁴ - أنيسة بركات. المرجع السابق، ص. 206.

ثانيا: السكان في الريف الجزائري

1-الحجم والتركيب العمري

أ-الحجم

إن حجم سكان الريف الجزائري في تناقص مستمر، فإذا كانت نسبتهم تمثل 90 % من مجموع السكان الكلي قبل الاستقلال، فقد قدرت بعده في سنة 1966 بـ67%، ثم تناقصت بعد ذلك لتصبح، تمثل 37.4% فقط في آخر إحصاء أجري في الجزائر حاليا سنة 2008 وهو ما تعرضنا له سابقا وبالتفصيل في الجدولين رقم 2 في الصفحة65والجدول رقم3، ص76بالإضافة إلى التطرق إلى العوامل المتسببة في هذا التناقص وفي مقدمتها ظاهرة الهجرة الريفية* .

ب-التركيب العمري

" يشكل السكان الأقل من 20سنةما نسبته 51.5% من المجموع الكلي لسكان الريف"¹، حسب إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء لسنة 1999 ، أما الأقل من 30 سنة " فيمثلون نسبة 70% من المجموع الكلي لسكان الريف الجزائري"².

وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن تركيبة المجتمع الريفي الجزائري تغطي عليها الفئات الشبانية المعروف عليها الاندفاع والتطلع إلى كل جديد ورفض كل ما هو قديم وهذا يعني أن المجتمع الريفي كذلك هو متجدد في مبناه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، مع أنه لا يمكن أن نجزم بذلك لأننا قد نجد في المجتمع فئات شبانية تميل إلى المحافظة أكثر من التجديد والتطوير والعكس صحيح فقد نجد كبار السن يميلون إلى التجديد أكثر من المحافظة وهو الشيء الذي يجعلنا نتحفظ فيما يخص هاتين الصفتين (التجدد و المحافظة).

* للتعرف أكثر على العوامل التي أدت إلى هذه الهجرة. انظر: الفصل الثاني، الوضع العام في الريف الجزائري بعد الاستقلال،ص.76-77
1 و 2 و www.abhatoo.net.ma /Omar Bessooud. Stratigie de développement rural en Algerie-pdf-p-81.

2-النشاط المهني والتوزيع

أ-النشاط المهني

-جدول رقم 4 يوضح توزيع القوى العاملة في الجزائر سنة 2007 تبعا لقطاعات العمل والمجال المكاني.

النسبة	الجميع	النسبة	الريف	النسبة	الحضر	قطاعات العمل
%13.6	1170897	%27.4	905367	%5	265531	الزراعة
%12	1027817	%9.2	303441	%13.7	724376	الصناعة
%17.7	1523610	%21.4	708644	%15.4	814966	البناء والأشغال العمومية
%56.7	4871918	%42	1388202	%65.9	3483716	التجارة والخدمات الإدارية
%100	8594243	%100	3305654	%100	5288588	المجموع

المصدر: www. Ons.dz/ emploi et chomage.2007.p.02

عند ملاحظتنا لهذا الجدول يبدو لنا جليا أن نسبة العمالة الريفية الأكبر تتركز في قطاع التجارة والخدمات الإدارية عكس ما هو شائع حول تركيز العمال في القطاع الزراعي، وأن الزراعة هي المهنة الغالبة على السكان الريفيين ففي السنوات الأخيرة أصبح الإنسان الريفي يتجه أكثر إلى الأعمال الأكثر مردودا وربحا والأقل صعوبة ومشقة اللذان تتصف بهما الزراعة عموماً. بالإضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في هجران الريفيين للنشاط الزراعي والتي أشرنا إليها سابقاً* والتي تتركز أساسا في نقص الموارد المائية وصعوبة استصلاح الأراضي ونقص العتاد الفلاحي ونقص التمويل، وضعف الإنتاج.

ب- التوزيع

نقصد بالتوزيع هنا المواقع الجغرافية التي يتمركز فيها السكان الريفيون وأشكال هذا التمركز، فسكان الريف الجزائري وحسب إحصائيات المقدمة من طرف الديوان الوطني للإحصاء لسنة 2005 أكدت أن " ما يقارب 5.419.525 ساكن ريفي من مجموعة 12 مليون نسمة من السكان الريفيين أي ما نسبته %45 يعيشون في مساكن بشكل مشتت متباعد ومتفرق أما الباقي والمقدر بـ 6.714.401 أي ما نسبة %55 من مجموع السكان الريفيين يعيشون في تجمعات سكنية"¹.

* للتعرف أكثر عن هذه العوامل. انظر: الفصل الثاني، الوضع الاقتصادي، ص.ص. 77- 78

¹ - 87. pdf-p /Omar Bessooud. Stratigie de développement rural en Algerie-www.abhato.net.ma

ويختلف هذا التوزيع جغرافيا في مجموعة ولايات الوطن نتيجة الحركة التي تتم داخل المناطق الريفية بالإضافة إلى الحركات التي تتم ما بين عالم الريف وعالم المدن، والجدول الموالي سيوضح لنا كيف يتوزع السكان جغرافيا تبعا لنوع البلدية والمنطقة الجغرافية.

- جدول رقم 5- يوضح توزيع البلديات الريفية والحضرية في الجزائر

البلديات	الشمال	الهضاب العليا	الجنوب	المجموع
الريفية	562	287	130	979
الحضرية	384	120	58	562
المجموع	946	407	188	1541

المصدر: [www.abhatoo.net.ma /Omar Bessooud. Strategie de développement rural en Algerie% - 5B1.5D.pdf](http://www.abhatoo.net.ma/Omar%20Bessooud.%20Strategie%20de%20developpement%20rural%20en%20Algerie%20-%205B1.5D.pdf). page 87

من خلال ملاحظتنا لهذا الجدول يتضح لنا أن المناطق الجغرافية التي صنفت في الجزائر على أساس أنها بلديات ريفية هي أكثر من البلديات الحضرية وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الجزائر تعاني من فقر في المرافق العمومية والإدارية في بعض مناطقها كالمستشفى أو الثانويات وهو ما جعل هذه المناطق لا تدخل في إطار البلديات الحضرية، من جهة أخرى نجد أن سكان الريف الجزائري يتركزون أكثر في المناطق الشمالية والهضاب العليا، بينما يقل عددهم في المناطق الجنوبية وهذا ما يتسم به التوزيع العام للسكان في الجزائر نظرا للظروف المناخية وعوامل اقتصادية واجتماعية متعددة.

3- خصائص سكان الريف الجزائري

سنوجز هنا بعض الخصائص والصفات العامة لسكان الريف الجزائري والتي تتفق عموما مع الخصائص المميزة لسكان أرياف الوطن العربي وهذه الصفات تتغير بتغير الظروف الموضوعية والتي هي أساسا المسؤول المباشر في تكون هذه الصفة أو تلك.

أ- سيادة العمل الزراعي قديما وليس حديثا

إن معظم أهل الريف يعتمدون في معيشتهم على الزراعة واستغلال الأرض حيث كان يشغل قطاع الزراعة النسبة الأعلى في قطاعات النشاط السائدة في الريف الجزائري، كما هو معروف لكن هذا لا يعني أن الأعمال والخدمات الزراعية غير موجودة فبمرور الوقت وخاصة في الآونة الأخيرة برزت قطاعات أخرى منافسة لقطاع الزراعة في الريف الجزائري كما دلت عليه الإحصائيات التي نشرها موقع الديوان الوطني للإحصاء سنة 2007 والذي أشار إلى أن " مجموع السكان المشتغلين في الريف الجزائري بلغ 3 ملايين وثلاثمائة شخص بالتقريب منهم 27.4 %

يعملون في الزراعة و 42 % يعملون في التجارة والخدمات و 9.2 % في الصناعة و 21.4 % في قطاع البناء والأشغال العمومية¹.

المنتبع لهذه الإحصائيات يجد سيطرة العمل التجاري والخدمات على العمل الزراعي وهنا نلمس وجها من أوجه التغيير الاجتماعي الذي مس الريف الجزائري وبالضبط في نظامه الاقتصادي الذي كان مبينا على الزراعة وأصبح متعدد الأوجه مع دخول أعمال أخرى منافسة لهذا القطاع الحيوي، وهذا ربما يعود إلى نوعية الزراعة في بلادنا والتي تعتبر الأمطار هي المصدر الأساسي لها (زراعة بعلية).

ومع قلة الموارد المائية لدينا والفقير في المياه السطحية*، جفت الأراضي وأصبحت بورا وصعب استصلاحها خاصة مع الافتقار إلى العتاد الفلاحي. ونقص التمويل، فمع استحداث برنامج «الدعم الفلاحي» من قبل السلطات الجزائرية الذي كان يهدف إلى إعادة بعث المناشط الزراعية من جديد، إلا أن النتائج لم تكن في مستوى الأموال والموارد المادية التي خصصتها الدولة لتنمية الزراعة وذلك لأن معظم هذه الأموال استفاد منها أشخاص لا يمتون بصلة إلى الزراعة والفلاحة وأغلبهم حضريون والنتيجة طبعاً تبديد الأموال وإهدار للقدرات والإمكانات، والمردود ضئيل للغاية مقابل حجم القروض والدعم.

ب- انخفاض المستوى المعيشي

إن تعدد ألوان الرفاهية والخدمات العامة وغيرها من التسهيلات الأخرى في المواصلات والمستشفيات والتي تعود بالفائدة على سكان المدن، نجدها لدى سكان الريف متدنية ومتخلفة نتيجة لسياسة الإهمال التي عانى منها الريف الجزائري في السنوات الماضية وربما لازال يعاني منها وهذا ما أدى إلى انخفاض متوسط الدخل في الريف عنه في المدينة وه ما نجم عنه ما يسمى بظاهرة «الفقر الريفي» والتي تعكسها نسبة السكان تحت خط الفقر الوطني كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم - 6 - يوضح نسبة سكان الجزائر تحت خط الفقر الوطني في الأرياف والمدن في سنوات 1995 و 2000

نسبة السكان تحت خط الفقر الوطني			السنة
في الريف	في الحضر	الجميع	
%19	%9.0	%14.4	1995
%14.7	%10.3	%12.1	2000

المصدر: <http://sitere-sources.world-bank.org/intmena-inarabic/sources/poverty-brief-ARB-2008-AM.PDF>

الشيء الواضح في هذه الإحصائيات هو ارتفاع نسبة الفقر في الريف عنها في المدينة وذلك راجع للأسباب السالفة الذكر أما ارتفاعها في سنة 1995 عن سنة 2000 وهي نسبة لا يستهان بها حيث تمثل خمس سكان الريف الجزائري ترجع أساسا إلى الظروف الأمنية السائدة آنذاك والتي نقصد بها العشرية السوداء والتي ألقت بضلالها على المستوى المعيشي في الريف خاصة الفلاحين والرعاة اللذين كانوا لا يبتعدون كثيرا عن منازلهم كخدمة أراضيهم ورعي قطعانهم لمسافات بعيدة نتيجة لتدهور الأمن طبعا وهو ما أثر سلبا على الإنتاج الزراعي والحيواني.

ج- قلة الخبرة والنظرة المحدودة

إن نظرة الريفي الجزائري للحياة موجهة دائما نحو الماضي الذي يساعده على التغلب على الصعوبات " مزودا إياه بطرق التفكير والتصرف"¹. على طريقة أسلافه وأجداده الذي يرى فيهم القدوة المثالية التي يجب السير على نهجها دون مراعاة التغيرات التي تطرأ على مجتمعه الريفي. هذا من جانب، من جانب آخر الريفي الجزائري نظرتة نحو الأفق البعيد محدودة فهو يعيش من أجل اليوم نفسه، فطموحه صغير جدا يرضيه القليل ولا يتطلع إلى المستقبل البعيد، نتيجة قلة معارفه حول العالم المحيط به.

هذه النقطة ربما تنطبق على الريف في القديم لكن في الآونة الأخيرة ، لا يمكن تجاهل دور وسائل الاتصال في انفتاح سكان الريف على العالم الخارجي، " فالجماعات الريفية الجزائرية والتي تعتبر بمعزل عن المراكز الحضرية لا يمكن أن تكون بعيدة أو معزولة عن تأثير التيارات الثقافية الحديثة"². وما يمكن أن تحدثه من تنمية اجتماعية وثقافية داخل هذا المجتمع.

د- الكرم والشجاعة

"امتياز العرب منذ قدم الزمن بكرمهم للضيف وتباهيهم بذلك"³. ومما ساعد على انتشار هذه الظاهرة لدى السكان الريفي الجزائري هو قلة طرق المواصلات وعدم توفر المواقف التي يحتاجها

¹ - Secrétariat Social d'Alger.op- cit.p.18.

² - محمد السويدي. المرجع السابق، ص.146.

³ - محمد عيد الهادي دكلة وآخرون. المرجع السابق، ص.86.

الزائر للفنادق والمطاعم لذا أصبحت عادة الريفيين أن يوفر كافة مستلزمات العيش والراحة لزائريهم ومن أعرض أو تقاعس في خدمة ضيوفه يصبح حديث العام والخاص لدى جيرانه واصفين إياه بالبخيل وهي الصفة التي يتجنبها ابن الريف، أما مواقف الشجاعة فهي مستمدة أصلاً من قوة تحمل السكان الريفيين لشظف العيش وقساوة الظروف الطبيعية والمعيشية معاً هذا وقد تجسدت شجاعة أهل الريف الجزائري خلال ثورة التحرير الكبرى 1954 عندما نهضوا ضد الاحتلال الفرنسي آنذاك وسجلوا مواقف شجاعة وبطولات أمام الجيش الفرنسي، وهذا بحكم أن أغلبية السكان الجزائريين في تلك الفترة هم ريفيون.

هـ - احترام السن

المقصود هنا بالاحترام هم كبار السن اللذين يتمتعون بالخبرة والتجربة في الحياة، "خصوصاً وان الخبرة في هذا المجال تكون هي البديل الطبيعي للعلم في مثل هذه المجتمعات (الريفية)"¹ فهم موضع الثقة والاطمئنان وكلمتهم مسموعة، وتعتبر أي مناقشة أو إهانة من صغار السن إلى كبارهم مخالفة خطيرة وتقابل بالعقوبة أو النقد الشديد خاصة وأنهم يعتبرون القدوة التي يجب الاقتداء بها ومحاكاتها وتقليدها في كل شيء.

و - التمسك بالخرافات

"الخرافات أنماط سلوكية ابتكرها الإنسان منذ أقدم العصور لتفسير أو التعامل مع الظواهر التي لا يستطيع السيطرة عليها أي أنها وليدة الجهل"². فمثلاً الإنسان الريفي في الجزائر إذا مرض مرضاً عضوياً أو عقلياً يتجه مباشرة إلى الراقي أو المشعوذ ليقراً عليه لعله يشفيه مع أن الشفاء من عند الله تبارك وتعالى "أما إذا تعطلت آلة حديثة لديه في الزراعة كالمضخة أو المحراث وتصاب بعطب يفسر ذلك في ضوء تفكيره التقليدي فعين جاره الحاسدة هي التي عطلت آتته ... والذين سمعوا بوفرة لبن بقرته أو عنزته هم اللذين «شهووا» حسداً «فغزرت» البقرة وجف لبنها"³.

ولمعالجة خطر العين الذي أصابه يتجه مباشرة إلى الحجاب الذي في اعتقاده يحجب عنه العين الحاسدة ويدراً عنه الشر، أما البئر المهجورة أو بعض الكهوف أو البيوت الخالية فهي مسكونة من طرف الجن، لا يمكن الاقتراب منها، أما الفتاة التي عنست ولم تتزوج فسحر جارتها أو صديقتها أو قريبتها هو الذي أتى بمفعوله، فتلجأ لذك عقدة الربط إلى إحدى المشعوذات أو الكهنة والذين يستغلون مثل هذه الظروف ليغنموا بالأموال والذهب وغيرها من المرباح المادية مقابل بعض الأعشاب أو البخور أو الحجابات.

إذن هي ظواهر تتحكم في أكثر المواقف التي يتعرض لها السكان الريفيون سواء تعلق الأمر بالمرض أو الأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية، يلجأون إليها عسى أن تخرجهم من مشاكلهم.

¹ - صلاح مصطفى الفوال. المرجع السابق، ص.335.

² - محمد عيد الهادي دكلة وآخرون. المرجع السابق، ص.87.

³ - محمد السويدي. المرجع السابق، ص.145.

ز- التجانس النسبي بين سكان الريف الجزائري

نظرا لما يمتاز به الريف الجزائري في اعتماده على مبدأ الانتماء إلى عشيرة واحدة أو عرش واحد في اختيار مناطق السكن، وشيوع التزاوج بين الأقرباء لحفظ النسب وتداول الثروة في نفس العائلة وقلة الزواج من الأجنبيةات عن ريفهم (هذا قديما وليس حديثا)، كل هذه العوامل تجعل من المجتمع الريفي مجتمعا متجانسا نسبيا مقارنة بالمجتمع الحضري.

ح- قوة التماسك والشعور الجمعي

إن أبناء المجتمع الريفي الجزائري يسود بينهم نوع من الترابط والتلاحم والتماسك يتجسد أساسا في التعاون فيما بينهم في الأفراح والأفراح وفي بعض الأعمال اليومية والموسمية كغسل الصوف لدى النساء الريفيات وعمليات الحصاد والزرع والبناء لدى الرجال وهو ما يعرف عندنا في المجتمع الجزائري بعملية «التوزيع» التي يجتمع فيها الريفيون ويتقاسمون فيما بينهم الأعمال والأدوار ويعيرون لبعضهم البعض الأدوات اللازمة كالمناجل مثلا والحبوب للزرع وغيرها، وتقوم النساء بإعداد الطعام لهم حيث يحضرنه أيضا بأسلوب جماعي وتعاوني.

كما يتجسد هذا التماسك أيضا في الترابط الأسري عكس التفكك والانحلال الذي نشهده في المدن وهو ما كشفت عنه إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء (ONS) والذي بين أن نسبة الطلاق في الجزائر ترتفع من سنة إلى أخرى وفي المدينة أكثر منه في الريف إذ نجد "مليون وتسعة وتسعون ألف مطلق في المدينة مقارنة بعشرين ألف و827 مطلق في الريف سنة 1998"¹ هذا عن التماسك أما الشعور الجمعي فيمكن أن نستدل عنه بالتعصب الذي نجده لدى الإنسان الريفي الجزائري، حيث تجده دوما متحزبا ناصرا لأهله وعشيرته، ومتعصبا لهما في كل المواقف ولا يهمله بعد ذلك أن يكون غانما أو خاسرا.

ط- العلاقات الاجتماعية المباشرة

" المقصود بالعلاقات الاجتماعية المباشرة هي تلك العلاقات التي تتم وجها لوجه"² حيث كان سكان الريف الجزائري يلتقون في الحقول والأسواق الأسبوعية أو في دار البلدية وفي صلاة الجمعة وحتى في بيوتهم، يتناقشون في أمور حياتهم وغيرها من الأحاديث التي تضمن لهم تواصل مع بعضهم البعض.

وكانت هذه اللقاءات تكون وجها لوجه خاصة وأنهم يعرفون بعضهم البعض جيدا، حيث يمكن أن تجد عشيرة أو «دواوير» بأكملها يحمل سكانها نفس اللقب والنسب، لكن مع التطورات والتحولات التي شهدتها المجتمع الجزائري في كافة ميادينها خاصة الإعلام والاتصال، ودخول وسائل اتصال جديدة عالم الريف الجزائري، لاحظنا انتشارا واسعا لها في أوساط الريفيين يتقدمها

¹ - راضية لبرش. المرجع السابق، ص.70.

² - محمد عيد الهادي دكلة وآخرون. المرجع السابق، ص.83.

طبعا الهاتف النقال الذي عمل ولو نسبيا على التقليل من علاقات الوجه للوجه التي تطبع حياة الريف ودخلت مكانها العلاقات الاجتماعية غير المباشرة المعتمدة أساسا على وسائل الاتصال الحديثة، وهذا استنادا إلى واقعنا المعاش.

ثالثا: مراحل تطور النسق الثقافي الريفي في الجزائر

1- مرحلة التقليد

التقليد كما عرفه محمد بن عبد الكريم الجزائري في كتابه «الثقافة ومآسي رجالها» هو "قبول قول الغير، وإتباع فعله، واعتقاد صحتهما من غير حجة ولا دليل"¹ وهو ما كانت مفطورة ومبنية عليه الحياة الاجتماعية في الريف الجزائري في الماضي ، وإن كنا لا نستطيع وضع حدود واضحة وفاصلة لهذه المرحلة خاصة مع تعشعش هذا المبدأ أي التقليد في بعض أريافنا إلى يومنا الحالي والذي يقوم أساسا على التسليم والإتباع من قبل سكان الريف لأبائهم وأجدادهم وكبار السن منهم ومحاكاتهم في طرق التفكير وأساليب المعيشة وأنماط السلوك دون التفريق بين ما هو جيد وما هو غير جيد، وهو ما يفضي إلى نوع من الجمود الفكري والتخلف الثقافي الذي تتجلى صورته في الريف الجزائري في مجالات شتى وأنشطة مختلفة.

ففي ميدان الصحة كان الريف يستخدم الطب الشعبي في علاج الإنسان والحيوان والنبات فلعلاج الأطفال المصابين بالحصبة يقومون بتغطية أجسادهم بألبسة يجب أن تكون ذات اللون الأحمر ويعالجون الأنفلونزا بحساء الدجاج البري، وخلطات من الأعشاب المختلفة، أما لدى بدو الطوارق في الصحراء الجزائرية نجد مثلا "للعلاج من مرض الروماتيزم يقومون بعمل حفرة في الأرض عمقها حوالي متر ونصف يدخل فيها المريض، ويعطى مشروبا من نقيع الأويك لكي ينام. كما يستعملون لحم الذئب [مع أن لحم السباع محرم في الإسلام] لعلاج بعض الأمراض منها الزهري...أما الحصبة فيعالجونها بأكل لحم الأرانب والغزال والضأن"². أما عن السحر والشعوذة في العلاج فقد أخذ انتشارا واسعا في أريافنا إلى يومنا هذا فمثلا إذا مرض الشخص مرضا عضويا أو نفسيا فإنه يتجه أولا وبدا من الطبيب إلى الرقية والتي لاقت انتقادات كبيرة في المجتمع الجزائري خاصة مع انتشار الرقاة غير الشرعيين والذين يستغلون الدين والقرآن الكريم كأداتين للربح السريع لا غير دون مراعاة عظمة الكتاب الذي يتعاملون به ولاشعور من يتلاعبون بصحته، أو يتجه إلى السحرة والمشعوذين لغرض التداوي بالحجابات وبعض البخور والأعشاب التي قد تزيد من مرضه بدل شفائه.

¹ - محمد بن عبد الكريم الجزائري. الثقافة ومآسي رجالها (الجزائر: شركة الشهاب، 1978) ص.113.

² - محمد السويدي. بدو الطوارق بين الثبات والتغير (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986) ص.228.

إن هي ممارسات ورثها الريفيون عن أجدادهم وآبائهم وأصبحوا يتداولونها دون التمييز بين ما هو مفيد منها وما هو مضر .

أما في ميدان التعليم فالريفي ينظر نظرة احتقار لساكن المدينة الذي يسمح للبنات بالتعلم، فخرج الفتاة إلى طلب العلم يعني في اعتقاده فقدان هيبته بين الناس وضياع شرفه، أما مكانته الاجتماعية فتقاس بملكية الأراضي وإنجاب الأطفال الذكور بدل المستوى العلمي.

وفي مجال التربية كان الريفيون يفضلون أبناءهم الذكور عن الإناث وذلك اعتقادا منهم أن الذكور هم مصادر الثروة الحقيقية لامتلاكهم القوة العضلية وتوفيرهم للمأكل والملبس والمسكن والأمن، "إلا أن تغير الأوضاع ودخول المرأة إلى ميدان العمل واستقلالها اقتصاديا بدأ يعيد دفة التوازن إلى العلاقات بين الذكور والإناث داخل الأسر"¹.

أما في ميدان الاتصال فنجد أن الحياة الاجتماعية لها خصوصيتها المغلقة "فمثلا في منطقة القبائل نجد القرى مغلقة عن نفسها والطرق التي تحيط بها لا تسمح لأي فرد أجنبي أن يخترقها"² بالإضافة إلى انتهاج مبدأ التباعد في السكنات، لحفظ خصوصية حياة كل عائلة على حدى في أريافنا، والاختلاط بالحضر يشكل لديهم تهديدا لعاداتهم وتقاليدهم وخطرا على أمنهم، لكن مع انتهاج الدولة الجزائرية لسياسة فك العزلة عن المناطق النائية وتقدم وتطور وسائل الاتصال بشكل كبير جدا، بدأ سكان الريف بالانفتاح على العالم الخارجي والاتصال بالمدن خاصة مع تركيز أغلب النشاطات والخدمات فيها.

أما عن الخرافات المتوارثة فبدون نقاش هي "عناصر ثقافية هامة تنتقل من جيل إلى آخر"³، فمثلا للوقاية من العين الشريرة في بعض المناطق من الجزائر وبشكل خاص بين نساء «أولاد نايل» من جبال الأطلس الصحراوي يقمن بوضع وشم بين العينين وعلى الذقن، وذلك اتقاء للعين الحاسدة ولبعثرة قوتها"⁴، أما البيت المهجور فهو مسكون ولا يمكن الاقتراب منه لأنك سوف تتأذى، وألئك إذا تعطلت فعين الجار هي التي أصابتها وهكذا يتحدد سلوك الريفيين وتتوقف الكثير من أنشطتهم الحيوية.

وإذا بحثنا عن منابع هذا التفكير التقليدي والمتخلف فإننا سنجد طبعاً نسب الأمية العالية التي كان يعاني منها الريف الجزائري خاصة مع سياسة التجهيل التي فرضها المستعمر الفرنسي على سكان الجزائر حيث "وصلت نسبة الأمية في الجزائر سنة 1962 إلى 85%"⁵ وقد انخفضت هذه

¹ - غيات بوفلجة. تحولات ثقافية، ط1 (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005) ص.61.

² - Secrétariat social d'Alger. Op-cit, p.17.

³ - محمد السويدي. 1984، المرجع السابق، ص.145.

⁴ - محمد السويدي. 1986، المرجع السابق، ص.229.

⁵ - مصطفى بوتفوشة. "من صور وأنماط الألفة الاجتماعية في المجتمع الجزائري"، في مجلة الثقافة، عدد88، ترجمة حسن بن مهدي

(الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985) ص.54.

النسبة تدريجيا حتى أصبحت الآن تتركز فقط لدى بعض كبار السن الذين تجاوزوا الخمسين والستين سنة، واللذين بدورهم قامت السلطات الجزائرية بفتح مدارس لهم لمحو الأمية وهو ما شهد إقبالا لا بأس به لهذه الفئة من السكان.

2- مرحلة التجديد

لقد مر المجتمع الجزائري بمرحلة تغييرية عميقة التأثير، مست بناءه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي خاصة بعد الاستقلال تجسدها مشروعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي تبنتها الدولة الجزائرية على أساس تخطيطي، بهدف رفع مستوى الخدمات والمعيشة للمواطنين والتي مس جانب منها المجتمع الريفي من خلال إدخال التعليم الحديث إلى الأرياف بعدما كان منحصرًا في الزوايا والكتاتيب، وطرق العلاج الحديثة، بإنشاء مراكز استشفائية في الريف، والخدمات الإدارية، وتوفير العمل...إلى غير ذلك.

إلى جانب التغيرات التكنولوجية التي مست علاقات الأسرة الريفية وأنماط المعيشة وحركة السكان واستقرارهم بحيث أصبح التفاعل والاتصال أسرع وأعمق ليس فقط داخل الوسط الريفي وإنما حتى مع الجماعات المجاورة حيث أتيح للعناصر الثقافية الخارجية أن تنتشر وتعايش مع عناصر الثقافة التقليدية ومثال ذلك إدخال أساليب جديدة لعلاج الأمراض وأجهزة حديثة للتشخيص والكشف الطبي الحديث موازاة مع تواجد أساليب الطب الشعبي التقليدي.

لكن تقبل سكان الريف لهذه العناصر الثقافية الجديدة عليهم تتوقف أساسا على درجة الوعي والمستوى الثقافي ونمط جديد من التفكير العلمي وهو ما أبرزه كل من نبيل رمزي وعدلي علي أبو طاحون في كتابهما «التنمية كيف؟ ولماذا؟» حينما قالوا: "أن تقبل الشعوب وفهمها للأسس العلمية للطب وأسباب المرض مثل المكروب أو الجراثيم والفيروسات، يحتاج إلى درجة من الوعي ونمط جديد من التفكير العلمي الذي يربط الأسباب بالنتائج ويستبعد الأسباب الخرافية المزعومة للأمراض، خاصة إذا ما كان نسق المعتقدات التقليدية يتعارض مع التفسير العلمي لظاهرة المرض. وكقاعدة عامة، حينما تتعارض طبيعة الاختيار مع بقاء كل من الجديد والقديم معاً، فإن تقبل الجديد يتأخر عادة"¹ كما تتوقف درجة التقبل أيضا على الفئة العمرية للمتلقين حيث تمثل " فئة الشباب أكثر القوى الاجتماعية انفتاحا على تيارات العصرانية عن غيرها من الفئات العمرية الأخرى " ² بسبب شخصيتهم غير المتجانسة (المتقلبة) والمزاجية.

هذا وقد أدت الأحداث المتلاحقة والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتتها الجزائر إلى تحولات ثقافية لدى سكان الريف الجزائري، فبخروج الريفيين إلى الدراسة والعمل

¹ نبيل رمزي، عدلي علي أبو طاحون. التنمية كيف؟ ولماذا؟ (الإسكندرية: دار الفكر الاجتماعي، 1992) ص.52.

² مصطفى بوتفوشة. " من صور وأنماط الألفية الاجتماعية في المجتمع الجزائري"، المرجع السابق، ص.53.

خاصة في المدن والهجرة الداخلية واختلاطهم بالأفراد الحضريين " جعلهم يستقلون شيئاً فشيئاً على التقاليد وطرق تنظيم السلطة التقليدية للاندماج في الثقافة الحديثة التي تعتمد على هياكل الدولة¹. وهو ما أكده رومبو بلاسيد (Placide Rambaud) في كتابه « المجتمع الريفي والتحضر» حين قال " الريفيون العاملون والمتدرسون يحاولون البحث عن امتلاك سلوكيات مشابهة لسلوكيات سكان المدينة"².

فتحول الشباب الريفي من الخضوع لأوامر وتوجيهات الآباء، وكبار السن إلى الاستقلالية والتحرر عن القيم التقليدية وبناء علاقاتهم على أسس منطقية وموضوعية لا على أساس التقليد الأعمى، كذلك أدت الصعوبات الاقتصادية التي مرت بها الجزائر وعانت منها العائلات الريفية والحضرية معا إلى اضطرار المرأة الريفية إلى الخروج من المنزل للعمل والتعلم، فيما كان يحضر عليها ذلك في السابق وينظرون إليه باحتقار وازدراء، وهو ما توضحه لنا الإحصائيات في الجدول الموالي:

جدول رقم -7- يوضح توزيع القوى العاملة تبعا للجنس والقطاع في الجزائر.

الجميع	الريف	الحضر	
7247367	3003120	4244247	الذكور
100	41.4	58.6	النسبة % في السطر
84.3	90.8	80.3	النسبة % في العمود
1346876	302534	1044342	الإناث
100	22.5	77.5	النسبة % في السطر
15.7	9.2	19.7	النسبة % في العمود
8594243	3305654	5288588	المجموع
100	38.5	61.5	النسبة % في السطر
100	100	100	النسبة % في العمود

المصدر: www.ONS.dz. Statistiques sociales /emploi et chomage (au quatrième trimestre 2007) p.02

فمن خلال ملاحظتنا لهذه الإحصائيات نجد أن هناك عددا لا بأس به من النساء الريفيات اللواتي دخلن عالم الشغل في المؤسسات الحكومية والمصانع والشركات والأعمال الأخرى وهي منخفضة مقارنة بعدد النساء العاملات في المدينة إلا أنه ومن خلال العدد المسجل سنة 1998 " والمقدر بتسعة آلاف و181 عاملة ريفية"³ نسجل ارتفاعا وزيادة معتبرة نتيجة تردي الأوضاع

¹ غيات بوفلجة، مرجع سابق، ص.77.

² Rambaud Placide. Société rurale et urbanisation. 2^{ème} édition (paris : editions du seuil, 1969)p.104.

³ راضية ليرش. المرجع السابق، ص.70.

الاقتصادية ومحاولة مساعدة المرأة لزوجها في مصاريف البيت وتدعيم ميزانية الأسرة وإعالة أهلها، ومن جانب آخر اتجهت للعمل لإثبات وجودها ومكانتها ومحو الموقف التقليدي المرسوم في عقول الريفيين اتجاه المرأة المتعلمة والعاملة في الريف.

من جانب آخر " يمثل التعليم والتربية الوطنية حجر أساس لبناء مجتمع قوي ذو جيل متكون، مثقف، وواعي بشخصته ... وهي نقطة بداية لحياة فكرية ثقافية متطورة"¹. من هذا المنطلق نجد أن إتاحة فرص التعليم أمام سكان الريف يؤدي شيئاً فشيئاً إلى تغيرات في منطلقاتهم العقلية والفكرية فمثلاً لقد ساهم التعليم الرسمي في الريف في تغيير نظرة الريفي إلى الزراعة والتي أصبحت تعد عملاً ومصدراً لجلب المال، عوض أنها طريقة في الحياة وهو ما تؤكد الإحصائيات السابقة - انظر الفصل الثاني ص 83 - التي توضح تركيز العمال الريفيين في قطاع التجارة والخدمات وقطاع البناء والأشغال العمومية بنسب أكبر منها في قطاع الزراعة، كما أنه أصبح يحاول التحسين من مستواه العلمي للظفر بالمناصب المرموقة التي كانت في السابق حكراً على الفئة الحضرية.

من جهة أخرى، فقد ساهمت عمليات شق الطرقات ومدّها بين الأرياف والمدن وسياسة فك العزلة التي انتهجتها الجزائر منذ الاستقلال في تقريب المسافة بين القرى والأرياف والمناطق الحضرية وهو ما يفسر انتقال الريفيين من العمل الزراعي إلى الأنشطة الأخرى المتركزة في المدن وهو ما أدى إلى ظاهرتي تريف المدينة وتحضر الريف وهو ما أفضى كذلك إلى تقارب الثقافتين الريفية والحضرية.

ولقد أوضحت دراسات بلوتم وفليجال بالمجتمعات الريفية بجنوب البرازيل " أنه توجد علاقة قوية بين درجة توافر المواصلات والتحديث فكلما زاد الاتصال بين القرية والمدينة خاصة من خلال توافر طرق ووسائل المواصلات كلما زادت درجة التحديث، أما في حالة العزلة فيحدث العكس"².

هذا وقد عاشت الجزائر أحداث عنف ومرحلة مأساوية أخرى بعد الاستعمار الفرنسي تتمثل في العشرية السوداء التي عايشناها والتي أثرت بشكل كبير في نزوح أمواج كبيرة من الريفيين إلى المدن نتيجة لانعدام الأمن خاصة في المناطق الريفية تاركين أراضيهم وبيوتهم ومواشيهم وراءهم واستقروا في المدن بصفة مؤقتة ودائمة لمدة تزيد عن عشرة سنوات ابتداء من التسعينات ثم عاد بعضهم إلى مناطق سكناهم وأحجم البعض الآخر.

لذلك باشرت السلطات الجزائرية عمليات الإصلاح الريفي أو ما أطلقت عليه مؤخراً برنامج « التجديد الريفي » الذي يهدف إلى خلق نوع من التوازن بين الريف والحضر وإعادة إعمار

¹ - Lambotte Robert . *Algérie, naissance d'une société nouvelle* (paris : pas d'éditeur , 1976)p.p.154-155.

² - نبيل رمزي، عدلي أبو طاحون. المرجع السابق، ص.73.

الأرياف وتهيئتها وجعلها مناطق جذب لا طرد ومناطق استقرار لإعادة التوزيع المتساوي للكثافة بين الأرياف والمدن، وقد أدت هذه الهجرة المؤقتة للريفيين إلى اكتسابهم لأساليب الحياة الحضرية والممارسات الثقافية الخاصة بهم ومحاولة تقليدهم، وهو ما انعكس على بعض المظاهر كاللباس مثلا حيث أصبح الريفيون يميلون إلى تقليد أزياء المدينة والاعتناء بالمظهر كالتجميل، واللباس الضيق نسبيا خاصة لدى النساء والفتيات اللواتي يدرسن ويعملن في المدينة.

بينما لا زالت الماكثات بالبيت نسبيا يملن إلى الأزياء القديمة كوضع غطاء على شعرهن مثلا واللباس الطويل الساتر لكافة الجسم، وهي نفس البساطة التي نجدها لدى الفلاحين اللذين يعملون بالزراعة حيث لا يهتمون كثيرا بمظهرهم وهندامهم لأنهم يرون أن العمل الزراعي يتطلب هذه البساطة، باستثناء بعض المناسبات والأعياد أين يمكن أن يغيروا من لباسهم ومظهرهم.

هناك نقطة أخرى يجب الإشارة إليها هي دور وسائل الاتصال والإعلام في التأثير على العلاقات الاجتماعية في الريف منها مثلا الانترنت والهاتف النقال، هذا الأخير الذي " أدى تطور تكنولوجياه وانخفاض سعره نسبيا، وتنوع استعمالاته إلى تزايد انتشاره " ¹، حتى أصبح شبه لعبة يملكها كل أفراد العائلة الريفية بما في ذلك الأطفال وأصبح يأخذ حيزًا متزايدًا من وقتهم.

وهو ما ساعد على إعادة تشكيل طرق التواصل الاجتماعي، حيث تقلص حجم اللقاءات وفرص الحوار والنقاش بين سكان الريف، " وأصبح بالإمكان التحدث مع الغير من أي مكان وفي أي وقت، رغم تباعد المسافات وهكذا تغيرت تقاليد الكلام وعاداته، وأصبح انفراديا يتم بين شخصين عن طريق الهاتف مما يسرّ عمليات الاتصال" ².

- ملاحظة

إن الانتقال من مرحلة التقليد إلى مرحلة التجديد لا يعني توقف الممارسات الثقافية للمرحلة السابقة لها (التقليد)، بل إن العملية تراكمية، مستمرة، ومتداخلة ولا يمكن حسابها إلا على مر الأجيال.

¹ - غيات بوفلجة. المرجع السابق، ص.50.

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

رابعاً: آليات تطور النسق الثقافي الريفي

1- التوسع التربوي

" يعتبر التوسع التربوي من أهم العوامل المساهمة في التحول الثقافي ذلك لأن التعليم يسمح للأفراد بالتنقل والإطلاع والفهم مما يؤدي حتماً إلى التفتح على الغير، وتبني أنماط جديدة من التفكير وطرق المعاملات"¹.

وقد توسع التعليم عندنا في الجزائر بعد رحيل الاحتلال وشمل المدن والأرياف" فقد بلغ المعدل العام للتلميذ في الجزائر عام 2000 في كل أطوار التعليم بـ 69%، احتلت فيه الإناث 64% والذكور 71%².

وقد ساهم تماثل التعليم الرسمي ومواده في الريف والمدينة على تلقي نفس المبادئ والأفكار مما شجع بعض الأفراد الريفيين أو اضطر بعضهم الآخر إلى تبني كثير من الأساليب الجديدة في الحياة وتحررهم من القيود المفروضة عليهم عن طريق روابط القرابة وكبار السن وبعض العادات والمعتقدات التي تحد من نشاطهم الفكري والعملي، وهذا نتيجة زيادة الوعي لدى الإنسان الريفي وبحثه الدائم عن رفع مستواه الثقافي لمواكبة التطورات التي تجري في المجتمع ككل.

2- الاتصال الريفي - الحضري

تتعدد مصادر الاتصال والتلاقي بين المجتمعين الريفي والحضري سواء تعلق الأمر بأمكان التلميذ أو العمل أو الزيارات، اللقاءات، الأسواق، مراكز البريد ودور البلديات... وغيرها، لكن تبقى الهجرة ربما تتبوأ هذه المصادر في تناولها بالدراسة خاصة المؤقتة منها بحكم أننا نتحدث عن اتصال الريف بالمدينة وعن المهاجرين الريفيين إلى المدن للعمل أو التعليم أو غيرها من الأسباب بصفة مؤقتة ثم العودة إلى ديارهم الأصلية في الريف وانعكاسات تلك الفترة التي عايشوا فيها سكان الحضر وأثرت في أسلوب حياتهم فيما بعد.

فالمدينة تختلف عن الريف من حيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال التطور الذي عرفته في مجال فرص العمل والخدمات الصحية والتربوية والإدارية الشيء الذي شكل دافعا لنزوح كثير من العائلات لقراها وأريافها والدخول في معترك الحياة الحضرية الذي نجم عنه تفاعل بين هذه الجماعات المهاجرة والأخرى الحضرية في أسلوب الحياة الذي يتحدد من خلال مظاهر متعددة مثل الملابس، وطريقة التزيين والنظافة والكلام أو اللهجة، وأثاث المنزل وطرق

¹ - غيات بوفلجة. المرجع السابق، ص. 41.

² - أطلس الجزائر والعالم. المرجع السابق، ص. 10.

الأكل وآداب التحية... وغيرها، وهي في الأخير تبقى عناصر ثقافية هامة يحاول الإنسان اكتسابها ومحاولة التكيف معها كضرورة تقتضيها الحياة العصرية الحالية وكنتيجة طبيعية لهذا الاتصال.

3- تكنولوجيا الاتصال

أ- النقل

عاش الإنسان الريفي قديما منغلقا على نفسه في قريته وقبيلته حيث أن غالبية الأفراد لم يبتعدوا إلا نادرا عن محيطهم الذي عاشوا فيه وتزوجوا وأنجبوا وتوفوا فيه لكن وسائل النقل المريحة والحديثة والمتوافرة استطاعت كسر الحواجز التي كانت سابقا سببا في عزل الريف عن المدينة، مضافا إليها مد شبكة الطرقات البرية والسكك الحديدية بين الأرياف والمدن، ففي الجزائر بلغ طول الطرق البرية سنة 2002 " نحو 104.72 ألف كلم، منها 6700 كلم أي 25% من الطول الإجمالي طرق وطنية مرصوفة جيدا، و 38100 كلم أي 37% طرق ترابية صالحة للسير والحركة، والباقي ذو نوعية متوسطة".¹

أما طول السكة الحديدية فهو "يبلغ نحو 4200 كلم كلها ذات اتجاه وحيد منها 2.5 كلم مكهرب وتغطي هذه الشبكة نحو 17% من حركة النقل البري وبمعدل 45 مليون مسافر سنويا".² كل هذه الطرق والوسائل تساهم وبقسط كبير في ربط الإنسان الريفي بالعالم الخارجي والانفتاح على حياتهم وخلق نوع من التواصل بينهما وهو ما أحدث تغييرات وتطورات في المجتمع الريفي وجعلته يعيش ما يحدث في العالم وليس في مجتمعه الأصلي فقط، ويعي ويكون أنماطا جديدة من التفكير " وشرع في تغييره بطريقة أو بأخرى من مفاهيمه وأنماطه السلوكية اتجاه الموضوعات التي كانت قبلا تشكل إطلالته على العالم أو تصوره للعالم فبتغيير الصورة يتغير معها بالتأكيد النسق العائلي والنظرة للتعليم والحياة العصرية " ³.

وهو ما دفع مثلا الإنسان الريفي إلى المطالبة بالمساواة في المستوى المعيشي بينه وبين الحضري " وولد لديه روح المغامرة والاندفاع وحث أبنائه على التعلم والدخول إلى التكنولوجيا والصناعة"⁴. وأصبح يفكر في مستقبلهم، وهو الذي كان في القديم يعيش لأجل اليوم نفسه ونادرا ما يتطلع إلى الأفق البعيد.

ب- وسائل الإعلام

للإعلام وظيفة اتصالية هامة في المجتمع بعد تعدد المخترعات الحديثة وتعدد أساليب الحياة وسبلها " فالفرد أصبح لا يستطيع مزاوله أدواره المتعددة في المجتمع إلا إذا كان مزودا بالمعلومات الفردية والاجتماعية عن أوجه النشاط المختلفة في جميع ميادين الحياة فالخبرات الزراعية

¹ و² -أطلس الجزائر والعالم. المرجع السابق، ص.28.

³ و⁴ - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص.177.

⁵ - سلوى عثمان الصديقي، هنا حافظ بدوي. أبعاد العملية الاتصالية (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999) ص.272.

والصناعية والثقافية والقانونية... الخ لا يمكن التوصل إليها ونقلها للأجيال القادمة دون وسائل الإعلام والاتصال⁵.

فقد ساهم انتشار وسائل الإعلام من صحافة مكتوبة ومسموعة ومرئية في المجتمعات الريفية، في عمليات الإطلاع على مختلف الأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية، خاصة بعد إدخال الكهرباء إلى الأرياف " حيث أصبح من الممكن التعرف على ما يجري في العالم، والثقافات والقيم السائدة في مختلف المناطق"¹، من هذه الوسائل نجد أجهزة التلفزيون وشبكات الانترنت، الجرائد، الكتب، المجلات، الإذاعة، السينما وغيرها كلها آليات ساهمت بدخولها إلى الأرياف تدريجياً في نشر الوعي والثقافة لدى سكانها بما في ذلك الأميين.

وهو ما أدى إلى التأثير على النسق الثقافي السائد هناك وساهم في دفع التحولات الثقافية إلى الأمام خاصة لدى فئة الشباب الريفي المتطلع إلى كل جديد والرافض لكل قديم، لكن النقطة التي يجب الانتباه إليها هي أنه وكما لهذه الوسائل دور ايجابي في دفع حركة التقدم والتطور الثقافي لدى الشعوب. لها أيضا دور سلبي أو ربما نقول هدام يلعب دورا في تفكيك الثقافة القومية لصالح الثقافات الأخرى الأجنبية.

وهو ما أكده علي ليلة في كتابه « الثقافة العربية والشباب » حين قال " أن الإعلام يعد من المتغيرات التي ضخت قيما متناقضة ومنحرفة فأشاعت الفوضى في ثقافة المجتمع"² ودعم فكرته هذه بأمثلة جريئة لكنها واقعية حين قال " إن شبكة الانترنت واستخدام الشباب لها، قد تكون في جوانب نافعة وقد تكون لها أيضا جوانب منحرفة، حيث تؤكد شهادات شجاعة لبعض الشباب أنهم يتبادلون مع الأصدقاء مشاعر الحب ومواعيد اللقاء على الشبكة، في حضور الآباء الذين لا يعرفون شيئا عن هذه التكنولوجيا"³

كذلك فيما يخص التلفزة خاصة بعد انتشار الفضائيات والتي تبث بعضها بعض المظاهر والأفلام الخليعة والتي تخدش الحياء وبعض البرامج التي لا تتوافق مع القيم والثقافة العربية الإسلامية فمثلا يقول ليلة " نشاهد مثلا عروض الأزياء التي يذيعها التلفزيون المصري كدولة عربية وإسلامية، حيث الصدور والسيقان العارية، ويكاد يكون الجسم كله، ألا يتناقض ذلك مع قيم عربية، تحض على النقاء والطهارة"⁴. وهو ما أوجب على بعض الآباء والأمهات سواء في الريف أو المدينة على مراقبة ما يشاهده ويقراه أبنائهم خاصة المراهقين والشباب منهم لوقايتهم من هذه الصناعة الإعلامية والثقافة الهابطة.

ج- وسائل الاتصال

¹ - غيات بوفلجة. المرجع سابق، ص.49.

² - علي ليلة. الثقافة العربية والشباب (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003) ص.35.

³ و⁴ - المرجع نفسه، ص.37.

إن وسائل الاتصال ساهمت بقسط وافر في نشر الثقافة الجماهيرية التي عملت على تقريب أو تضيق الهوة بين الريف والحضر ووسعت في شبكة العلاقات بينهما " فأصبح ينظر إليها على أنها وسائل متضمنة لعمليات ثقافية واجتماعية سيكولوجية والتي تكسب السكان الثقافة المادية وغير المادية ومتضمنات الأنماط السلوكية وأشكال التنظيم والأفكار الموجودة والسائدة في المدينة وغيرها من الخصائص التي تميز المدينة عن الريف"¹.

من أبرز هذه الوسائل نجد الهاتف والانترنت التي أدى انتشارها في الريف الجزائري خاصة الهاتف إلى تغيير عادات الكلام لديهم والعلاقات الإجتماعية السائدة عندهم فبينما كانت تطبعها العلاقات الأولية وعلاقات الوجه للوجه وظاهرة اللقاءات والحوار والنقاش أصبحت الآن تتم بطريقة غير مباشرة وأدت إلى عدم الحاجة إلى اللقاءات الاجتماعية المباشرة وأصبح بالإمكان الاتصال والتحدث عن بعد وهو ما قلل من الجانب العاطفي والشعوري الذي كان يميز نمط الاتصال التقليدي في الريف.

هذا وإن كان ينظر إلى وسائل الاتصال الحديثة على أنها مصدر المعرفة والقيم التي تزود الإنسان بالمعلومة فإن هناك من المفكرين من يرى " أن هذه الوسائل أفقدت الإنسان الاختيار الحر وأصبحت هي التي تختار له، لأنها موجهة لمصلحة المصادر الاقتصادية السياسية وبالتالي هي تعمل على تشكيل ونشر ثقافة معينة للجميع فتقضي على التباين في الذوق والاتجاهات فيتحول الأفراد إلى أعضاء في قطيع جمعي"².

وهو ما يتجسد ربما في إتباع كثير من الشباب سواء في الريف أو الحضر للموضة التي تعرضها بعض وسائل الإعلام، فينقادون وراءها حتى وإن كانت لا تناسبهم.

خامسا: الصراع الثقافي في الريف الجزائري

يشير مفهوم الصراع الثقافي إلى " ذلك الصراع العقلي عند الفرد أو مجموعة أفراد تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين تكونان موضع اتفاق جزئي، ولكنهما تزودان الأشخاص ببعض المعايير السلوكية المتناقضة و المتعارضة، مثال ذلك: القروي الذي يعيش ثقافة المدينة وهو لا يزال يحمل رواسب ثقافته من المجتمع القروي"³.

لكن سنخص هنا بالدراسة ما نسميه بصراع الأجيال داخل العائلة الريفية والذي نقصد من خلاله الخلاف المستمر بين جيلين متميزين داخل العائلة الواحدة، جيل الآباء وجيل الأبناء، فقد أكدت الدراسات أنه " إذا طغى في المجتمع نسبة الشيوخ على الشباب، فيكون محافظا قليل التغيير"⁴

¹ - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص. 177.

² - إبراهيم عثمان. مقدمة في علم الاجتماع (الأردن: دار الشروق، 1999) ص. 176.

³ - سناء قلمامي. " صراع الأجيال حول القيم الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية"، رسالة ماجستير غير منشورة في تخصص علم الاجتماع العائلي، جامعة باتنة، 2003. ص. 94.

⁴ - حسين عبد الحميد رشوان. السكان من منظور علم الاجتماع (الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2001) ص. 131.

ولكبار السن في بعض المجتمعات مكانة مرموقة ويحضون بنوع من الاحترام والوقار نتيجة معرفتهم الإنسانية والخبرات العملية في الحياة، لكن تغيرت أخيراً قيمة العمر الكبير، وأصبح الشباب ليسوا على استعداد لقبول أوامر وتصورات كبار السن¹ وهو ما يخلق نوعاً من التضارب في الآراء نتيجة الفروق الفردية إضافة إلى انتمائهم إلى حقب تاريخية مختلفة لكن هذه الاختلافات والتضارب في الآراء كثيراً ما تتطور إلى نقاشات أكثر حدة ينتج عنها نوع من التشقق والتصدع والانقسام داخل البيت الواحد ومرد ذلك هي التغيرات والتحويلات التي مست الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعائلة الريفية الجزائرية والاتجاه نحو العائلة العصرية.

فمثلاً عندما يحاول الشاب أن يتزوج فإنه لا يرغب في العيش مع أبويه ويفضل أن يبني حياة مستقلة وهو مالا يتوافق مع المبادئ الثقافية لأبويه اللذين يرون في انفصاله عنهم مخالفة للمبادئ العامة التي تحكم حياتهم والتي سار عليها أجداده من قبل وهي مثلاً العيش في إطار العائلة الكبيرة لحفظ الثروة والنسب وهو ما ينتهي إلى الخصام بينهما إلى حد العداوة والمقاطعة وهو نفس الشيء الذي يحدث إذا أراد الارتباط بامرأة خارج دائرته القرابية مثلاً وهو ما يؤدي إلى خروج هؤلاء الشباب عن العائلة الشائعة التي تهيم على كل حياتهم من أجل تأسيس عائلة أخرى². كما يقول هنري مندراس (Henry Mandras) في كتابه «مبادئ علم الاجتماع».

فالشباب الجزائري في الريف أصبح يعيش في بيئة ثقافية تختلف عن بيئة الآباء بسبب توسع القرى والأرياف واختلاط أفرادها مع الحضريين ودور وسائل الإعلام والاتصال في نشر الثقافة الجماهيرية، "مهدت السبيل لظهور أنماط سلوكية جديدة وتناقض واضح بين الجيل القديم والجيل الجديد"³. فالأولياء دائماً يرغبون في احترام أبنائهم لقيمهم وتقاليدهم، في حين يرى الأبناء أن آباءهم ينتمون إلى ثقافة عفا عليها الزمن⁴ وهم يعيشون في زمن آخر ويفضلون عيش حياتهم الخاصة بالطريقة التي يفضلونها وهو ما يؤدي بهم إلى الوقوع في الانحراف في بعض الأحيان خاصة لدى فئة المراهقين لأن هذه المرحلة من حياة الشباب "تتصف بالميل إلى الاستقلالية في الأمر، وفي الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية كما أنها مرحلة يشرع فيها الشباب في تكوين فلسفة معينة في الحياة يريد أن تكون له مكانة في جماعته وأن يتحقق له الاستقلال العاطفي عن الوالدين"⁵.

وهو ما يولد نوعاً من انعدام التواصل بين الكبار والصغار، بل وفي بعض الأحيان ينعدم الحوار والمناقشة العادية تماماً بخصوص القيم الثقافية، ومعايير التصرف، والسلوك لذلك يجب

¹ - حسين عبد الحميد رشوان. المرجع السابق، ص. 131.

² - هنري مندراس. مبادئ علم الاجتماع، ترجمة ملحم حسن (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، بدون سنة نشر) ص. 238.

³ - إلياس فرح. مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، طه (بيروت: دار الطليعة، بدون سنة نشر) ص. 228.

⁴ - محمود حسن. الأسرة ومشكلاتها (بيروت: دار النهضة العربية، 1981) ص. 385.

⁵ - علي بوعنافة. "وجهة نظر سوسيولوجية لرعاية الشباب"، في مجلة الثقافة عدد 82، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984)

العمل على تدعيم هذا التواصل حتى لا تتعزل الأجيال الصغيرة عن الأجيال الكبيرة، ويشكل كل منهما ثقافته المستقلة والمتضاربة والمتصارعة مع الآخرين.

هناك نقطة أو ملاحظة أخيرة يجب أن نشير إليها فيما يخص صفة المحافظة، التي يميل الناس إلى إلصاقها أو إلحاقها بالمسنين وصفة الانفتاح التي ينسبوننها إلى الشباب كما أنهم يلحقون صفة المحافظة كذلك بالشخصية الريفية والتقدم للمتضرر أو ساكن المدينة.

لكن هذا التمييز القائم على التعارف فيه نوع من المغالطة كما يقول بوتفوشت الذي يرى أن "شخصية المحافظ نجدها لدى جميع فئات الأعمار من المراهق، إلى الشيخ المسن، كما أن شخصية التقدمي تتوزعها نفس الفئات والجماعات أيضا"¹. وهنا يجب مراعاة نمط التربية التي تلقاها الجزائري وخصائص المحيط الاجتماعي الذي ترعرع فيه والتجربة الشخصية أو الجماعية التي عاشها الشخص المعني بالذات.

¹ - مصطفى بوتفوشت. "من صور وأنماط الألفة الاجتماعية في المجتمع الجزائري"، المرجع السابق، ص.58.

— خلاصة

من خلال المعطيات التي عالجناها في هذا الفصل والمستقاة من الواقع واستنادا لبعض الإحصائيات التي قدمناها حول هذا الواقع الريفي نصل إلى رصد الحقائق التالية.

1- المجتمع الريفي الجزائري عانى كثيرا من ويلات الاستعمار سابقا الذي عاث فيه فسادا، ومن سياسة الإهمال بعد الاستقلال والتي نتج عنها نزوح كثيف نحو المدن، وهو ما تفتنت له السلطات مؤخرا، وحاولت إعادة بعث التوازن بين الأرياف والمدن من خلال البرامج التنموية المسطرة لهذا الهدف.

2- التركيبة العمرية للريف الجزائري تغطي عليها الفئات الشبانية المتطلعة إلى التجديد وهو ما يعني أن المجتمع الريفي الجزائري سيكون هو الآخر متجددا في مبناه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، مع التزامنا بالتحفظ فيما يخص صفة المحافظة والتجديد اللتان تتوزعان على جميع الفئات العمرية، ولا يمكن أن نخص بهما فئة معينة دون الأخرى، كما وضحناه في العنصر السابق للخلاصة.

3- إن آليات نقل التيارات الثقافية الحديثة إلى سكان الريف الجزائري نلمس لديها جانبان أحدهما إيجابي يساهم في انفتاح السكان على الثقافات الأخرى والخروج من دائرة التخلف والعزلة والآخر سلبي قد يكون هداما للقيم والمبادئ التي ترعرع عليها أبناء الريف ويدفع بهم نحو الجنوح والانحراف.

4- إن التغيرات العامة التي عرفها المجتمع الجزائري، من خلال نموه الثقافي والاقتصادي والاجتماعي خاصة بعد الاستقلال، لها آثار هامة على أسلوب حياة العائلة الريفية ونمط معيشتها التي عملت على تكييفهما لمواكبة التطورات والتحولات التي تجري في المجتمع ككل.

5- الصراع الثقافي في المجتمع الريفي الجزائري يتمحور أساسا في صراع الأجيال بين الآباء والأبناء حول مجموعة من القيم والمبادئ العامة للحياة سواء كانت مادية أو معنوية وهو ما يؤدي في النهاية إلى نتيجتين حتميتين: الأولى هي عدم الإتفاق وبالتالي الشقاق والانفصال والانهيار والتفكك الأسري أما الثانية فهي مجازاة أحد طرفي الصراع للطرف الآخر حتى وإن لم يقتنع بآرائه للحفاظ على الوحدة والانسجام العائليين.

الفصل الثالث

مؤشرات تطور النسق الثقافي الريفي

- تمهيد.

أولاً: المؤشرات المرتبطة بالجانب الصحي لسكان الريف.

ثانياً: المؤشرات المتعلقة بالنشاط الاتصالي لسكان الريف.

ثالثاً: المؤشرات الخاصة بالقيم العائلية لسكان الريف.

رابعاً: المؤشرات المتعلقة باتجاهات سلوك الريفيين.

خامساً: المؤشرات المتعلقة بالمعتقدات الشعبية لسكان الريف.

سادساً: المؤشرات الخاصة بالمجال المادي للثقافة الريفية

- خلاصة

- تمهيد

إن المعالجة العلمية للنسق الثقافي الرفيقي يجب أن تكون شاملة وتكاملية إلى أبعد حد ممكن، حتى يمكن الكشف عن كل أبعاد هذا النسق ومكوناته، وبذلك لا يمكن الاعتماد على مؤشر واحد لقياس مدى تطوره بل ينبغي استخدام العديد من المؤشرات التي تمكننا من الحكم على هذه الثقافة بالتطور أو التخلف والتعبير عنها بشكل صادق.

مع أن هناك اختلاف في طبيعة هذه المؤشرات لدى الباحثين فقد تكون: السلوك أو الاتجاهات أو المعايير أو المثل والمعتقدات أو الاهتمامات والحاجات والغايات المرغوب فيها الصريحة أو الضمنية، والتي في مجملها تعبر عن عناصر ثقافية هامة مكونة لهذا النسق ولكل باحث مبرره في استخدام المؤشر الذي يعتمد عليه.

أولاً- المؤشرات المرتبطة بالجانب الصحي لسكان الريف

1- مفهوم الصحة

إن مفهوم الصحة لا يعني مجرد الخلوّ من الأمراض والضعف بل يتعدى ذلك وربما يعتبر التعريف الذي قدمته منظمة الصحة العالمية الأشمل والأوسع حينما تطرق إلى الناحية البدنية والنفسية والاجتماعية للإنسان فقد وصفت الصحة بأنها " حالة من الكفاية والسلامة الكاملة الجسمية والعقلية والاجتماعية وليست مجرد الخلو من المرض، والضعف".¹

يقصد بالناحية البدنية، قدرة الأعضاء الجسمية على أداء وظائفها بصورة طبيعية ومنسجمة مع الأعضاء الأخرى، و لا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأعضاء سليمة وخالية من المرض.

أما الناحية العقلية، " فيقصد بها الاستقرار الداخلي للإنسان وقدرته على التوفيق بين رغباته وأهدافه وإمكانياته".²

بينما يقصد بالناحية الاجتماعية قدرة الإنسان على تكوين علاقات إجتماعية مع الناس وأن يكون له دخل مناسب لتحقيق الحياة الصحية السليمة " فصحة الناس يمكن أن تعكس الأسلوب الذي يختارونه للحياة"³ أو بالأحرى يعكس نمط المعيشة الذي يتبعونه والنماذج الثقافية السائدة لديهم فمثلا نلاحظ أنه في معظم المجتمعات التي تعاني الفقر وتدني مستوى المعيشة يظهر لدى سكانها بعض الأمراض الخاصة بنقص التغذية كفقر الدم مثلا والاختلالات في النمو وغيرها وهو ما نلاحظه لدى بعض شعوب إفريقيا مثل الصومال وإثيوبيا وغيرهما.

هذا من ناحية، من ناحية أخرى نجد أن القيم الثقافية السائدة في بعض المجتمعات خاصة منها الريفية تتسبب في عديد من المخاطر الصحية، كتكريس بعض المعتقدات الطبية الشعبية في معالجة الأمراض والتي قد تزيد الأمر تعقيدا بدل الشفاء، فالثقافة إذن هي التي تحدد معالم وطرق العلاج، وفي نظري كلما كانت هذه الثقافة أكثر تطورا كلما إتجه الناس نحو الأساليب الحديثة للعلاج أو الطب الحديث، وكلما كانت أكثر تخلفا كلما زاد العزوف عن العلاج بالطرق الحديثة وزاد الاتجاه نحو الطرق التقليدية وتكريس بعض المعتقدات الطبية الشعبية في معالجة الأمراض.

¹- أيمن مزاهرة وآخرون. علم اجتماع الصحة (الأردن: دار البازوري، 2002)ص.41.

² - المرجع نفسه، ص.42.

³ - محمد علي محمد وآخرون. دراسات في علم الاجتماع الطبي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989)ص.67.

2- مؤثر استخدام الطرق الحديثة في معالجة الأمراض بدل الطرق الغيبية والشعبية

إن الطرق الغيبية والشعبية لا تعتمد في أغلب الأحيان على أسس طبية علمية بل تستند على معتقدات خاطئة متوارثة تسبب في كثير من الأحيان بعض الأمراض ونتائج غير محمودة و من الأمثلة على هذه الطرق ما يلي:

أ- الطب الشعبي

يوجد الطب الشعبي بمستويات متفاوتة في مختلف البيئات الريفية حيث يتم اللجوء إليه في العديد من الأحوال، فقد يكون مثلاً " ملاذا لبعض الأمراض المستعصية أو المزمنة كالسرطان أو الأمراض التي لم يتم تشخيصها أو ملجأً ابتدائياً للتهدة حتى التصرف النهائي للمرض".¹

ويشمل الطب الشعبي: العلاج بالأعشاب، الكي بالنار، الحجامه والتجبير الشعبي وغيرها من الممارسات الشعبية في العلاج.

- العلاج بالأعشاب

تمثل هذه الطريقة استخدام الأعشاب الطبية مثل البابونج، الشيح، الكمون، اليانسون، إكليل الجبل ... الخ وضمن أكثر من طريقة وأكثر من عشب لعلاج المرض الواحد.

- الكي بالنار

" هي عادة منتشرة في الريف يقوم فيها السكان بعلاج بعض الأمراض كالروماتيزم أو الأورام المزمنة بالكي بالنار فوقها".² وفي الريف الجزائري يستخدم فيها المعالجون الشعبيون " قطعة أو سلكاً من الحديد بعد تسخينها في الجمر، توضع فوق أحد أجزاء الجسم للتخلص من الألم".³

وهذا الكي قد يؤدي إلى تلوث الجروح الناتجة عنه وقد يؤدي إلى مضاعفات خطيرة تزيد الأمر سوءاً نتيجة قلة الوعي الصحي.

¹ - أيمن مزاهرة وآخرون. المرجع سابق، ص.160.

² - حسين عبد الحميد أحمد رشوان. دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999)ص.285.

³ - محمد حسن غامري. دليل البحث الأنثروبولوجي في المجتمع البدوي (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1989)ص.53.

- العلاج بالحجامة

" وتعني تخليص الجسم من بعض الدم وخاصة من منطقة خلف الرأس حيث تتجمع الأعصاب اللاشعورية، ويستخدم لعلاج أمراض ضغط الدم أو الصداع".¹

ويرجع المعالجون الشعبيون استخدامهم لهذه الطريقة في العلاج إلى الطب النبوي الذي أصبح حجة دامغة لتبرير أسلوبهم العلاجي بهذه الكيفية، فأصبح عامة الناس يقومون بهذه العملية خاصة بهدف الربح المادي متناسين بذلك أن هذه العملية يجب أن يقوم بها أخصائيون متعلمون وتتم بأدوات نظيفة ومعقمة وفي أماكن نقية ونظيفة وهي قد تصلح فعلا لعلاج بعض المرضى ولا تصلح للبعض الآخر.

- الألبسة الحمراء لمعالجة مرض الحصبة

يعتقد بعض الناس قديما وخاصة في أريافنا الجزائرية بأن الطفل المصاب بالحصبة يتم علاجه بارتدائه ملابس ذات لون أحمر، رغم أنه لم يثبت علميا نجاعة هذا اللون للعلاج لكن نجد أن الأسر الريفية استخدمته وبكثرة وربما لا تزال رغم أن هذا المرض قد تناقص حاليا ولم يعد متفشيا كما كان في الماضي، بينما نجد بدو الطوارق في الصحراء الجزائرية يعالجون كذلك هذا المرض " بأكل لحم الأرانب والغزال والضأن".²

ب- الممارسات السحرية والطقسية للعلاج

تمارس بعض الأعمال السحرية لعلاج بعض الأمراض المستعصية أو المزمنة "مثل حالات الصرع، أو العقم أو الإجهاض المتكرر أو وفاة الأطفال الرضع أو لإنجاب الإناث دون الذكور مثلا، أو الصداع المزمن"³، والوقاية من الحسد وغيرها، تكثر هذه الممارسات في بعض المجتمعات البدوية والريفية منها الأرياف الجزائرية، ومن أمثلة هذه الممارسات نجد الأحجية والنشرات، وكتابة الأوراق ونقعها في الماء ثم شربها أو الاستحمام بها وما إلى ذلك من الممارسات.

- الوقاية من العين الحاسدة

" يشيع بين كثير من الناس وبشكل خاص في بعض المجتمعات التي ينخفض فيها الوعي الصحي والتعليمي والثقافي، الاعتقاد بالحسد كأحد المسببات للأمراض".⁴ فمثلا، يعتقد أن الطفل

¹ - أيمن مزاهرة وآخرون. المرجع السابق، ص.159.

² - محمد السويدي. 1986، المرجع السابق، ص.228.

³ - أيمن مزاهرة وآخرون. المرجع السابق، ص.161.

⁴ - المرجع نفسه، ص.157.

الجميل أو الفتاة الحسنة لديهما استعدادا كبيرا للحسد ولذلك لتحسينهم من هذا الخطر نجد أن أهلهم يلبسونهم بعض الخرز التي في اعتقادهم تدرأ عنهم خطر العين الشريرة ويلبسونهم ثيابا رثة وقديمة خاصة بالنسبة للأطفال الصغار لكي لا يجلبوا الأنظار إليهم غير مدركين ما قد تشكله هذه الثياب خاصة إذا كانت غير نظيفة على صحة أطفالهم، وبمجرد أن يمرض أحد من هؤلاء الريفيين حتى ولو كان مرضا عضويا فإنهم يرجعون إلى العين الحاسدة دون الأسباب العلمية الأخرى التي يمكن أن تفسر هذا المرض أكثر من هذا السبب الغيبي الذي لا صحة له من الأساس.

- العلاج بالأحجية

هي عبارة عن قصاصات ورقية صغيرة على شكل مثلث أو مربع أو مستطيل تكتب فيها بعض الآيات القرآنية ولدى بعض المشعوذين يوجد فيها كتابات مبهمه لا يفهمها غير كاتبها، يقوم بتجهيزها بعض الشيوخ بهدف الوقاية والعلاج من الأمراض، البعض منها ينقع في الماء ويشرب والآخر منها يستحم بها، بينما يضعها البعض في جيوبهم ويلقونها في صدورهم، ظنا منهم أنها هي التي ستجلب لهم الشفاء، رغم أنه لا شافي إلا الله.

- النشرات والزرادات

هي مشتقة من فعل نشر، أي أشاع، أذاع، وهي عبارة عن ممارسة طقسية تنحصر وظيفتها مبدئيا في كونها طبية، سحرية، معدة لشفاء الأمراض المتنوعة مثل العقم أو العجز الجنسي، كما تشمل المعالجة الوقائية بواسطة السحر كالوقاية من العين الشريرة التي تتربص بالغني ورفع الرقى المؤذية التي تعيق مشاريع الزواج عند الفتاة وتأمين نجاح الشاب في الامتحانات التي أخفق فيها مرات عدة.¹

تكثر ممارستها في الأرياف الجزائرية " وخاصة في قسنطينة".² حيث يقوم الشخص أو الأشخاص المكلفون بهذه العملية بإقامة حوار مع العالم غير المرئي بهدف ترويض قواه المؤذية وإرضائها بذبح أي حيوان من طائفة الطير (ديك أو دجاجة) وتصل في بعض الأحيان إلى ذبح الأغنام لإتمام الفعل السحري ثم تليها الابتهالات المبهمه الموجهة لمقدس غير مرئي والتوسلات له لتحقيق مطالبهم.

¹ - نور الدين طوالي. الدين والطقوس والتغيرات (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بالتعاون مع منشورات عويدات ببيروت، 1988)ص.128.

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وتختلف هذه الممارسات من ريف لأخر وتدل كلها عن التخلف الثقافي الذي كان يعيشه سكان الريف وربما لازالوا، بينما يؤكد إقلاهم عن مثل هذه الممارسات عن تطور ثقافتهم الصحية، وزيادة وعيهم، لأن الشفاء لا يطلب إلا من الله عز وجل وهو القادر الوحيد على ذلك.

هذا من جانب، من جانب آخر نجد في بعض المناطق الريفية الأخرى يلجأ بعض المرضى فيها إلى إقامة حفلات تستخدم فيها الطبول والمزامير لاستحضار الجن وإساعده للتخفيف عن المرضى المصابين بالأمراض العصبية خاصة وهذا " اعتقادا منهم على وجود جن على صورة زوج أو زوجة للمريض هو مسبب هذا المرض"¹ وتسمى هذه الحفلات لدينا في الجزائر بالزردة.

- الاستشفاء بالأولياء

يلجأ بعض الناس إلى الأولياء للاستشفاء، حيث يقومون بزيارة أضرحتهم والطواف حولها وتضاء الشموع وتقدم النذور طلبا للشفاء وتقام ولائم على شرف هؤلاء الأولياء الصالحين توزع فيها الصدقات على الفقراء والمساكين وتدم هذه الزيارة في بعض مناطقنا الجزائرية لمدة أسبوع أو أكثر في بعض الأحيان، إكراما للولي وطلباً لبركته التي يعتقدون أنها سوف تصلهم " عن طريق الانبثا"².

ج- تفضيل القابلة في الريف عن الذهاب للولادة في المستشفى

كان سكان الريف في القديم يفضلون ولادة المرأة في منزلها عن ذهابها للمستشفى وذلك خوفا من كشف عورات المرأة من قبل الأطباء الرجال منهم، لأن ذلك يشكل لديهم وفي تصورهم عارا كبيرا لا يستطيع تحمله أو القبول به، وهو ما أدى إلى زيادة وفيات الرضع لديهم وكذلك تدهور صحة الأمهات، ووفاتهن في بعض الأحيان.

لكن مع التقدم العلمي، ودخول النساء في مجال الطب النسائي وزيادة الوعي والثقافة الصحية لدى سكان الريف، وانطلاقا من الواقع المعاش نلحظ اتجاه القرويين والريفيين إلى أخذ نسائهم للولادة في المستشفى أين تتوفر الرعاية الصحية للأم وطفلها، وهو ما يعكس تطور ثقافتهم في المجال الصحي.

وإذا أردنا الكشف عن الأسباب التي وقفت وراء توجه سكان الريف للأخذ بالأساليب العلاجية التقليدية دون الاتجاه إلى الطب الحديث، قديما نجد ما يلي:

¹ - أيمن مزاهرة وآخرون. المرجع السابق، ص.158.

² - نور الدين طوالي. المرجع السابق، ص.133.

- ساهمت العزلة الاجتماعية والمكانية في بقاء واستمرار الملامح الثقافية التقليدية في مجال العلاج وعملت على بقاء واستمرار أسلوب العلاج التقليدي بكل تفرعاته المختلفة.

- " تلعب العائلة والجماعة الريفيتين دورا هاما في توجيه الفرد نحو العلاج التقليدي أو الحديث، آخذين في الاعتبار التفسير المسبق لنوعية المرض والمرتبطة بثقافة الفرد وجماعته المرجعية فكلما كان التفسير واقعا كان الاتجاه إلى العلاج الحديث وكلما كان غيبيا كان الاتجاه إلى العلاج التقليدي وبالذات الطقوسي منه".¹

- إنتشار الأمية وعدم وجود قطاع تعليمي حديث ساهم في إرساء قواعد التخلف الثقافي الصحي وتكريس المعتقدات الطبية الشعبية بدل الطب الحديث.

- انتشر العلاج التقليدي في الريف الجزائري قديما بشكل واسع نظرا لعدم وجود البديل العلاجي آنذاك بالإضافة إلى تركيز وانتشار الخدمات العلاجية الحديثة في المدن وانخفاضها أو انعدامها في بعض الأرياف الأخرى.

- ملاحظة

إن عرضنا لهذه الأساليب العلاجية الغيبية والشعبية في مواجهة الأمراض ليس الغرض منها هذه الأساليب بحد ذاتها، وإنما القصد من ورائها الكشف عن الأبعاد الثقافية التي تتضمنها وتفصح عنها الأساليب، ونستفيد من خلالها بالحكم على أنه كلما كان هناك اتجاه نحو الطب الحديث بدل تكريس العلاج التقليدي والمعتقدات الطبية الشعبية في معالجة الأمراض كلما عكس لنا مدى تطور الثقافة الصحية لسكان الريف.

¹ - نجلاء عاطف خليل. المرجع السابق، ص.91.

ثانياً: المؤشرات المتعلقة بالنشاط الاتصالي لسكان الريف

1- مفهوم الاتصال

" الاتصال كعملية يعني نقل المعلومات وتبادلها وإذاعتها ، والإعلام بها بحيث يمكن الإحاطة بأمور وأخبار ومعلومات جديدة أو التأثير في سلوك الأفراد والجماعات أو التعديل في هذا السلوك أو توجيهه وجهة معينة"¹ ويعني أيضا "تبادل الأحوال الذاتية ونشرها بين الأفراد مثل الأفكار والعواطف والمعتقدات".²

فالإتصال إذن " عامل أساسي في وجود الثقافة والأفراد والمجموعات"³ يتصلون بعضهم ببعض بطرق مختلفة وآليات متعددة تختلف من مجموعة إلى أخرى ومن مجتمع لأخر.

أما الاتصال كمجال فهو يشمل العملية وآلياتها وأطرافها، فيطلق على الإتصال كذلك جملة الأدوات الناقلة للكلام والأفكار بين الأفراد، كالبريد والهاتف والإذاعة المسموعة والمرئية حيث أصبح الإتصال في الجماعات البشرية العامل الرئيسي في تكوين وحدتها واستمرارها والأداة المنشئة لثقافتها ووسيلة بالغة الأهمية في تكوين اتجاهات جديدة للرأي العام من خلال "التأثير على مدركاتهم العقلية التي تتحكم في سلوكياتهم"⁴. ومن ثم الرفض أو القبول لهذه البرامج التي تحتوي عليها هذه الوسائل الإتصالية.

هذا، ويتعدى الاتصال كمجال الوسائل المسموعة والمكتوبة والمرئية ليشمل المكان أيضا من خلال وسائل النقل التقليدية والحديثة التي تساهم في فك العزلة خاصة على المناطق الريفية، كما يتجلى أيضا في الزيارات واللقاءات وغيرها من الأوجه المتعددة لهذا المجال.

فالإتصال يعمل على انفتاح المجتمعات المغلقة والمنعزلة نوعا ما على العالم الخارجي وخاصة على التيارات الثقافية الحديثة كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الريفية التي أصبح سكانها تدريجيا على دارية بما يحدث من حولهم خاصة مع إلغاء الحواجز بين الأرياف والمدن.

2- مؤشر الانفتاح على العالم الخارجي

عند الحديث عن العالم الخارج عن إطار الريف فإنه مباشرة نتجه نحو عالم الحضر أو الحياة المدنية بالدرجة الأولى ثم العالم ككل في الدرجة الثانية، هذا لأن السكان الريفيين يسعون

¹ - غريب عبد السميع غريب. الإتصال والعلاقات العامة في المجتمع المعاصر (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2003)ص.12.

² - معجم العلوم الاجتماعية. المرجع السابق، ص.08.

³ - مجموعة من المؤلفين. التعايش بين الثقافات علي كوكنا الأرض، ترجمة فؤاد اسكندر (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1972)ص.64.

⁴ - نخبة من أساتذة الجامعات. دراسات في علم الاجتماع الريفي، ط2 (الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2000)ص.193.

دائماً إلى مواكبة الحياة الحضرية ومعايشة ما يحدث في العالم أيضاً من خلال التعرض لوسائل الاتصال المختلفة كمشاهدة التلفاز وقراءة الجرائد وسماع الإذاعة أو الراديو واستخدام الهاتف النقال مؤخراً.

هذه الوسائل كانت قديماً تعتبر حكراً على سكان المدن، و كانت في المقابل منبوذة لدى سكان الريف و ينظرون إليها، كخطر حقيقي قادر على أن يهز كيانهم الاجتماعي خاصة بالنسبة للأرياف الأكثر محافظة وخوفاً على اهتزاز عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

لكن مع مرور الزمن، وجدت هذه الوسائل طريقها إلى الأرياف ومهدت لسياسة الانفتاح التي تتجلى أساساً في " خروج المجموعات البشرية الريفية من الانقطاع المكاني والنفسي الذي كانت تعيش فيه"¹ من خلال الحركية والتنقل الدائمين للإنسان الريفي إلى الحواضر سواء للعمل أو التمدن أو قضاء حاجاته المختلفة هناك.

وهو ما خلق نوعاً من التواصل بينهم أدى تدريجياً إلى حدوث بعض التغيرات والتطورات في المجتمع الريفي وكون أنماطاً جديدة من التفكير والسلوك وساهم في تغيير بعض التصورات والمفاهيم لدى الإنسان الريفي حول موضوعات كانت قبلاً تشكل إطلالته أو تصوره للعالم كتغيير اتجاهه نحو التعليم، فأصبح يحث أبناءه على الخروج للتعليم ودخول ميادين العمل الأخرى غير الزراعة كالصناعة والخدمات والتجارة وغيرها وأصبح يطمح في مستقبل أبنائه ويطالب بالمساواة بينه وبين الحضري ويتطلع إلى الحياة العصرية وهو الذي كان في القديم يعيش لأجل اليوم نفسه ونادراً ما يتطلع إلى الأفق البعيد.

هذه الوسائل عملت إذن على فتح المجتمعين على بعضها وتضييق الهوة والشغرة وتلاقي الآراء والأذواق ووسعت شبكة العلاقات بينهما وكما سهلت هذه الوسائل أيضاً عملية الاتصال بين سكان الريف خاصة الحديثة منها كالانترنت والهاتف النقال، هذا الأخير الذي عمل على تغيير عادات الكلام والعلاقات الاجتماعية بينهم، فيما كانت سابقاً تتسم بالأولية والوجه للوجه، أصبحت الآن تتم عن بعد وبطريقة غير مباشرة وقلصت بذلك من ظاهرة اللقاءات والتجمعات بين السكان وبذلك تكون قد قللت من الجانب الشعوري والعاطفي بينهم والذي كان يميز نمط الاتصال التقليدي في الأرياف، لكن في المقابل أصبح بالإمكان التحدث والاتصال عن بعد في أي وقت وفي أي مكان ممكنين.

¹ - فهيمة شرف الدين. الثقافة والايديولوجيا في العالم العربي (بيروت: دار الآداب، 1993)ص.44.

وبهذا يمكن القول أن لوسائل الاتصال وظيفه مهمة في الحياة التي يحياها كل مجتمع وإحداث التغيير في المواقف والاتجاهات وأنماط التعامل، " فكلما كان الناس أكثر تعرضا لوسائل الاتصال الجماهيري كلما كان لهم اتجاهات حديثة أكثر من غيرهم".¹ وزادت كمية الوعي لديهم وتطورت بعض التصورات والمفاهيم الثقافية لديهم.

مما يعكس حتما تطورا على مستوى كافة الأنساق ومنها النسق الثقافي الذي يتمثله سكان الريف طبعا، الذي يتجلى أساسا في بروز أنماط جديدة من التفكير والتعامل لدى الإنسان الريفي "بصورة تجعله يتحدى في أكثر من اتجاه ليس نحو نفسه فحسب بل ونحو ما يدور حوله في عالم الحضر وما يحدث فيها من مجريات على كل المستويات".² بما فيها المستوى العالمي.

ثالثا: المؤشرات الخاصة بالقيم العائلية لسكان الريف

1- مفهوم القيم

لمفهوم القيم معان وتفسيرات متعددة يعكس كل منها اتجاها أو إطارا تصوريا فرعيا، قد تتفق هذه الاتجاهات في بعض الجوانب وتختلف في البعض الآخر، أو قد تتباين تماما " لكن تبقى معظم التعريفات المقترحة تتفق على وجود عنصر واحد مشترك بينهما، هو ذلك العنصر القائم في كل قيمة كتعبير عن الغايات والأهداف النهائية، أو كتحقيق لكل أغراض الفعل الاجتماعي".³

أما علماء الاجتماع فقد اعتبروها محددًا هامًا من محددات السلوك الإنساني ومفتاح فهم الثقافة الإنسانية، فالقيم بمفهومها الواسع تعبر:

عن التصورات والمفاهيم الدينامية، الصريحة أو الضمنية تميز الفرد أو الجماعة، وتحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعيا وتؤثر في اختيار الأهداف والطرق والأساليب والوسائل الخاصة بالفعل، وتتجسد مظاهرها في اتجاهات الأفراد والجماعات وأنماطهم السلوكية ومثلهم ومعتقداتهم ومعاييرهم الاجتماعية وكذا رموزهم الاجتماعية، وترتبط ببقية مكونات البناء الاجتماعي تؤثر فيها وتتأثر بها.⁴

من الأمور المشار إليها في هذا التعريف هو ربط القيم بكل من الفرد والمجتمع فالفرد لا يستطيع أن يعيش وينمو بدون القيم التي تربطه بالأفراد الآخرين في المجتمع، هذا من ناحية، من

¹ - سناء الخولي. المرجع السابق، ص.331.

² - عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص.177.

³ - غريب سيد أحمد. المرجع السابق، ص.271.

⁴ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.50.

ناحية أخرى، المجتمع لا يمكن أن يوجد ويحدد نفسه بدون أن يخلق قيما، " فالمجتمع نفسه كما قال إميل دور كايم مجموعة من القيم والأفكار"¹.

تختلف هذه القيم من مجتمع لآخر، فالمجتمع الريفي مثلا له منظومة قيمية مبني عليها تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى من بينها القيم العائلية والقرابية التي تلعب دورا هاما في تشكيل طابع الحياة الريفية وسلوك الفرد الريفي وشخصيته، إضافة إلى أن المجتمع الريفي قائم أساسا على مبدأ القرابة في استغلال الأرض.

ويتجسد النسق القرابي في العديد من الظواهر والنظم والعلاقات القرابية مثل الزواج والطلاق والمصاهرة وغيرها، التي تتسم بالخصوصية في مثل هذا النمط من المجتمعات ولهذا ركزنا على القيم العائلية التي تأخذ مكانة رئيسية وهامة في البناء الاجتماعي والثقافي التقليدي للمجتمع الريفي، بينما نعتبر بعض التغيرات التي طالت جانبا من هذه القيم كمؤشرات يمكن من خلالها تحديد مدى تطور النسق الثقافي الريفي .

2- مؤشر التغير في القيم العائلية

أ- قيم تنشئه الأبناء

إن التربية بمفهومها الواسع " تشمل حياة الفرد من الطفولة وحتى الرشد سواء في نطاق الأسرة أو الوسائط التربوية الأخرى، مثل وسائل الاتصال وغيرها من الهيآت التي تعنى بتربية النشء مثل المدرسة، والمؤسسات الدينية والتي تسهم جميعها في عملية تربية الأجيال وتزويدهم بقيم المجتمع ومعاييره واتجاهاته وأنماط سلوكه"².

لكن تبقى العائلة عامة وفي المجتمع الريفي خاصة هي النواة الأولى التي تساهم وبقسط أوفر في عملية غرس القيم والتقاليد الريفية في نفوس أبنائها، " خاصة في السنين الأولى من حياة الطفل ... لأنه كلما كبر الطفل في السن ازداد أفقه اتساعا، وظهرت أهمية الأفراد والبالغين في إكمال دور العائلة في تنشئته"³.

ولهذا سنركز في هذا المجال على عملية تنشئة الأبناء داخل العائلة الريفية، هذه الأخيرة التي كانت تتمسك بالقيم التقليدية في تنشئة الأبناء كالعامل على تبصيرهم بضرورة التصرف في حدود القواعد والمعايير والنماذج التي تضعها لهم، والقيام بكافة المهام والأعمال التي يكلفون بها

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.33.

² - فادية عمر الجولاني. علم الاجتماع التربوي، المرجع السابق، ص.322.

³ - جلال عبد الوهاب. العلاقات الإنسانية والإعلام (الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1984) ص.110.

من قبل رئيس العائلة والخضوع المطلق لها، كما لم يكن للأبناء الحق في مناقشة الآباء أو رب العائلة، وذلك انطلاقاً من " الاعتقاد بأن هذه المناقشة تعد مظهراً من مظاهر سوء الخلق".¹

إضافة إلى تكريس بعض القيم السلبية في طرق معاملة الأبناء كقيم تفضيل الذكر على الأنثى، وتنشئة البنات وإعدادها على أساس ملازمتها لبيت أهلها وعدم الخروج منه إلا في حالة الزواج، وبذلك منعها من حق التعلم والتدريس والعمل .

وقيم أخرى إيجابية، كالتركيز على ضرورة احترام الأبناء للآباء والأخ الأصغر للأخ الأكبر، ذلك لأن طاعة الوالدين واحترامهما تعد من الأمور التي يحث عليها الدين الإسلامي ومن مميزات التربية الإسلامية التي " تبقى وسيلة مهذبة راقية لدعم العقيدة، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة ... ليكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن الأجداد مع الصلاحية الكافية للنهوض والتطور والتقدم".²

هذا، و يجدر بنا أن ندرك قابلية هذه الطرق والأساليب التربوية للتغير تبعاً لعدة عوامل خاصة منها وسائل الاتصال الحديثة التي عملت على نشر أفكار ومفاهيم جديدة متعلقة بأساليب التنشئة الاجتماعية " وبلورة وتشكيل العقلية المتفتحة التي تقبل مبدأ التغير والثبات لتلبية احتياجات وتوقعات اجتماعية جديدة بين أفراد المجتمع".³

وانطلاقاً من هذا المبدأ يتضح لنا أن عملية تنشئة الأبناء بقيمتها المختلفة هي الأخرى ليست بمنأى عن هذا التغير في المجتمعات الريفية أو الحضرية وهذا ما يقودنا إلى اعتبار التغير الذي يمس هذه القيم داخل المجتمع الريفي بمثابة مؤشر حقيقي يعكس مدى تطور النسق الثقافي الريفي في هذا الجانب ، فقد لوحظ في بعض الأسر الريفية " اتجاه الآباء نحو تنمية الاستقلال في نفوس الأبناء وتدريبهم على الاعتماد على النفس والإخلاص في العمل، كما أصبح معظم القرويين لا يوافقون على قيمة خضوع الأبناء المطلق للآباء والإيمان بحق الأبناء في مناقشة الآباء في مختلف المسائل وأمور حياتهم".⁴

وأصبح هناك طموح كبير للآباء في مستقبل أبنائهم، بعدما كان محصوراً في العمل الزراعي وتربية الحيوانات وبعض الحرف التقليدية فقط.

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.250.

² - محمد ناصر بوحجار. " مميزات التربية الإسلامية"، في مجلة الأصالة، العدد 89 (قسنطينة: مطبعة البعث، 1981)ص.73.

³ - عيد الله بن عايض سالم الثبيتي. علم الاجتماع التربوية، ط1 (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002)ص.252.

⁴ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.250.

أصبحوا الآن يشجعون أبناءهم على التعليم والحصول على المراكز المرموقة في الأعمال الخارجية عن إطار الزراعة ولواحقها.

ب- قيمة تفضيل الذكر على الأنثى

هذه القيمة كانت سائدة في معظم المجتمعات الريفية التقليدية بما فيها الأرياف الجزائرية حيث " كان ينظر إلى المرأة على أنها أقل من الرجل بالطبيعة"¹ وكانوا يفضلون إنجاب الأطفال الذكور على الإناث وذلك انطلاقاً من أن أهمية الذكر تفوق أهمية الأنثى، فظهرت هناك نوع من المحاباة والتفرقة في معاملة الأبناء فأصبح الولد يلقي كل رعاية وتبجيل لأنه هو من سوف يستلم مقاليد السلطة بعد أبيه، هو الذي سوف يتحمل مسؤولية البيت، هو الذي سوف يحمل اسم العائلة ويخلدها ويحفظ نسبها.

وكانت العائلات الريفية وربما لا زالت تتباهى بعدد الذكور التي لديها ويتجسد ذلك أكثر في الأمثال الشعبية المتداولة لديهم ومن أمثلة ذلك المثل الشعبي السائد في أريافنا الجزائرية وباللغة العامية: « بيت الرجال خير من بيت المال » والذي يضرب عند التباهي بكثرة الرجال في البيت الواحد وليس النساء وتفضيلهم على المال باعتبارهم مصدر كسب الرزق .

بينما لا تعامل الأنثى بنفس الطريقة ويحكم عليها بأن تكون قابضة في المنزل ولا يكون لها رأي في مختلف أمور الحياة ولا تختلط بأحد غير مكثرئين بمشاعرها، الأمر الذي يؤدي بها كما يؤكد بعض علماء النفس إلى الإصابة ببعض الظواهر والعلل النفسية السيئة " كالتوتر والشعور بأنها غير مرغوب فيها والميل إلى الحقد والكراهية والشعور بالعجز وعدم الثقة بنفسها".² ومظاهر أخرى لا نستطيع ذكرها كلها في هذا المجال الضيق.

لكن بتغير الحياة الاقتصادية والاجتماعية سرعان ما تغيرت نظرة القرويين إلى قيمة تفضيل الذكر عن الأنثى في بعض المجتمعات الريفية وليس كلها وتحت تأثير برامج ومشروعات التنمية الريفية، حيث أصبح الريفيون ينظرون إلى أبنائهم نظرة عادلة ولا يفرقون في معاملتهم بين ذكر وأنثى، وأصبحت الفتاة الآن في الريف تتمتع بنفس الفرص التي يحظى بها الذكر فيما يخص التعليم والعمل والمشاركة في إبداء الرأي واتخاذ القرارات التي تخص العائلة، وتختار شريك حياتها بنفسها ولم تعد ظلاً لنفسها أو نسخة من أمها القابضة في المنزل المستسلمة لقدرها.

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.137.

² - وفيق صفوت مختار. الأسرة وأساليب تربية الطفل (القاهرة: دار العلم والثقافة، 2004)، ص.251.

بل أصبحت تحظى بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الابن الذكر، وأبعد من ذلك وفي بعض الأسر واستنادا إلى واقعنا المعاش نجد تفوق الإناث على الذكور في مجال المعاملة والتقدير والاهتمام خاصة إذا كانت تتكفل بمصروف البيت وترعى والديها ماديا ومعنويا.

إذن كل هذه المظاهر إن دلت على شيء فإنما تدل على تغير نظرة الريفيين إلى قيمة تفضيل الذكر عن الأنثى والتي تعكس تطور وعيهم الثقافي في مجال تنشئة الأبناء دون التفرقة والتي جسدتها المظاهر السابقة.

ج- قيمة العائلية والجمعية

كانت العائلة الممتدة ولفترة طويلة هي النمط السائد في المجتمعات الريفية بما فيها الأرياف الجزائرية حيث تتألف من الأجداد والآباء والأبناء والإخوة والأعمام والخالات وأولاد العم والخال والأصهار مشكلين بذلك هرما يترأسه الجد أو الأب وعموما يكون للأكبر سنا، وبقاعدة مفتوحة غير محدودة النهاية، حيث يعيش جمعهم تحت سقف واحد فالأبناء وزوجاتهم وأولادهم يعيشون في ظل هذا الإطار العائلي خاضعين للقواعد والتوجيهات التي يسطرها رب العائلة الذي يرجعون إليه خاصة في مسائل الزواج والأرض والعمل، وفض النزاعات، ويعمل الفرد في ظل هذا النظام ليس لنفسه وإنما للجميع وهو " ما يشكل نوعا من المضايقة لديه ولدى زوجة الابن خاصة التي ترغب في الاستقلال مع زوجها بمالهما وأولادهما " ¹ للشعور بنوع من الحرية في تسيير أمور بيتهما .

لكن أكدت الدراسات أنه " غالبا ما يؤدي خروج أو تمرد الأفراد عن سلطة رب العائلة إلى التعرض لأقصى أنواع العقاب كالطرد من العائلة " ² أو الحرمان من الميراث، إلا أن هذه السمة قد تغيرت إلى حد كبير في ضوء التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها المجتمع الريفي في الآونة الأخيرة.

والتي أدت إلى ظهور نوع من الاستقلال العائلي يتجسد أساسا في انفصال الأبناء المتزوجين عن أسرهم الكبيرة سواء بحصولهم على حجر داخل المنزل الكبير مع مال خاص بهم فقط، " ويحدث هذا الشكل من الاستقلال بالنسبة للعائلات التي يعمل أفرادها بشكل جماعي في الزراعة والتي يرغب أبناؤها في الاستقلال بالرغم من ارتباطهم بالعمل الجماعي في المزرعة " ³، أو الانفصال نهائيا عن العائلة الكبيرة واتخاذهم لسكنات مستقلة، معتمدين في حياتهم على دخولهم

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.234.

² - محمد الجوهري، علياء شكري. المرجع السابق، ص.201.

³ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.235.

المستقلة وعائد عملهم في المشروعات المختلفة، متحررين بذلك من سلطة رب العائلة مشكلين بذلك أسرا صغيرة، وهذا لا ينفي وجود العائلات الممتدة والكبيرة موازاة مع هذه الأسر الصغيرة.

د - قيمة الاختيار في الزواج

تعتبر هذه القيمة على النمط الثقافي السائد لدى الريفيين فيما يخص تحديد سن الزواج وطرفيه والعائلة المناسبة للنسب سواء تعلق الأمر بالبنت أو الرجل على السواء كما أنها تحدد العادات والطقوس المختصة بهذه العملية داخل الأرياف عموما.

ونبدأ بمسألة السن التي تبقى ولحد كبير يفضل فيها الزواج المبكر خاصة بالنسبة للفتاة التي يحدد سن زواجها غالبا ما بين الثالثة عشر والرابعة عشر وللذكر من السادسة عشر إلى الثامن عشر سنة وذلك لإنتاج أكبر عدد من الأولاد لاستغلالهم في العمل الزراعي.

أما مسألة الاختيار فهي تعود غالبا إلى رب العائلة الذي يقوم بتحديد الأبناء المعنيين بالزواج ويختار الفتيات اللواتي يرتبطون بهم دون مراعاة آرائهم في ذلك سواء للذكر أو الأنثى، ففي بعض الأرياف الجزائرية تعتبر مسألة اختيار الفتاة لزواج المستقبل بمثابة التمرد على قوانين الأسرة وهيبتهما ولحد ما يعتبر كالعار، خاصة إذا كان من خارج الدائرة القرابية ولهذا نجد معظم الزيجات في الأرياف تتم في الإطار الداخلي للعائلة قصد المحافظة على الأرض الزراعية وحفظ أموال العائلة واستمرار العلاقات القرابية وتدعيمها وهو ما يتجسد في بعض الأمثال الشعبية المتداولة عندنا في الجزائر مثلا وباللغة العامية « دهاننا في ديقنا » أو « زيتنا في ديقنا » للتعبير به على أن الزواج من الأقارب يحفظ المال والنسب والميراث والأسرار، ويصبح كل شيء متداول في هذه الدائرة القرابية لا يخرج عنها للاستفادة منها.

وأیضا « خبز الدار ياكلوا مول الدار » للإشارة إلى استحسان زواج الفتاة من قريبها وليس من الغريب الذي لا تربطه صلة الدم بهذه العائلة.

وفضلا عن هذا نجد أن الريفيين في عملية الخطبة " يستخدمون الأم أو الخاطبة"¹ ولا يسمح للعريس برؤية العروس إلا يوم الزفاف طبقا للقوانين العرفية التي ترعى هذا الزواج المرتب، والتي لا تمت بصلة إلى تعاليم الدين الإسلامي الذي يسمح للرجل بالنظر إلى خطيبته والالتقاء بها في جلسة مع حضور وليها قبل الزواج.

لكن مع مرور الزمن وتدرجيا تغيرت نظرة الريفيين إلى قيمة الاختيار في الزواج وتصوراتهم حوله خاصة مع انتشار التعليم واتصالهم مع المجتمعات المدنية وانفتاحهم على العالم

¹ - محمد قطب. معركة التقاليد (بيروت: دار الشروق، 1982) ص.91.

الخارجي سواء بتعرضهم لوسائل الإعلام والاتصال المختلفة أو نتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي ألمت بالقرى والأرياف والتي دفعت مثلا المرأة إلى الخروج للعمل ومساعدة أهلها أو زوجها ماديا وأدت إلى تبني سكان الريف لقيم جديدة خاصة بالزواج تعكس تصوراتهم الثقافية الحديثة الخاصة بهذا الموضوع كالإيمان بضرورة أن يكون للأبناء (الذكور أو الإناث) الحرية في اختيار شريك حياتهم.

والإتجاه نحو الزواج الخارجي إلى جانب الزواج الداخلي، مع التأخير النسبي في سن الزواج والذي يكون غالبا ناتج عن الظروف الاقتصادية القاهرة بالنسبة للرجال، وتفرغ الفتيات للدراسة لسنوات طوال ثم العمل لدى بعضهن، الأمر الذي يؤخر نوعا ما سن الزواج لديهن.

- ملاحظة

هذه التغيرات نسبية وليست مطلقة فقد تكون مست بعض الأرياف دون أن تنفذ إلى أخرى، وهذا يعود إلى درجة التقبل الثقافي لدى سكان هذه الأرياف لهذه العناصر الدخيلة والجديدة على ثقافتهم التقليدية والتي تختلف من ريف إلى آخر.

هـ- قيمة الإنجاب

تعتبر هذه القيمة من القيم الثقافية المحورية التي تركز عليها العائلات الريفية في الماضي وربما حتى في الحاضر لأنها الوظيفة الأساسية التي تستأثر بها هذه العائلات للمحافظة على قوتها وهبتها ودعامتها الاقتصادية بين العائلات الأخرى خاصة أن الريفيين يؤمنون بضرورة إنجاب أكبر عدد ممكن من الأولاد لاستغلالهم كأيدي عاملة " وقدرة إنتاجية في العمل الزراعي".¹

دون الاهتمام برعايتهم وتربيتهم والتخطيط لمستقبلهم وسعادتهم، وهذا نتيجة للظروف الاقتصادية التي فرضت نفسها على مثل هذه المجتمعات، كاعتماد الاقتصاد الريفي في الماضي على الزراعة وخدمة الأرض بالدرجة الأولى وتخلف وسائل الإنتاج مما يحتم ضرورة مشاركة الأبناء في العمل الزراعي، وكذلك التخلف العلمي الذي طال هذه المجتمعات في مسألة تنظيم النسل حيث كانوا لا يعرفون الوسائل المستخدمة لهذا الغرض بالإضافة إلى نقص وسائل الترفيه والتسلية كالتلفاز ودور السينما والمقاهي وغيرها.

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص. 243.

فقد " أكدت الدراسات العلمية التي أجريت في هذا المجال، عن وجود علاقة عكسية بين وفرة وسائل الترفيه والتسلية والإنارة ومسألة الإنجاب في الريف، فكلما توفرت هذه الوسائل أكثر، كلما قلت معدلات الإنجاب في الأسر الريفية والعكس صحيح".¹

لكن في الآونة الأخيرة تغيرت النظرة حول قيمة الإنجاب خاصة مع دخول القطاعات الاقتصادية الأخرى إلى الريف كالتجارة والصناعة والخدمات والبناء والأشغال العمومية، وبداية اتجاه الريفيين إلى الاشتغال في إطارها وبداية العزوف عن العمل الزراعي تدريجيا " وأصبح إنجاب العدد الكبير من الأبناء يشكل عبء اقتصاديا كبيرا يتحمله كثير من الآباء".²

ومع التطور العلمي أصبح سكان الريف في بعض المجتمعات يتجهون أكثر إلى تنظيم نسلهم سواء لاعتبارات صحية تتعلق خاصة بصحة الأم والطفل واقتصادية واجتماعية تتعلق أساسا بتحمل مسؤولية كاملة في رعاية الأطفال وتربيتهم في ظروف مناسبة وملائمة، ونحن لدينا في الجزائر، وكما أشرنا إليه في الفصل السابق أن متوسط حجم الأسرة أصبح الآن لا يتعدى 6.5 فرد وبذلك فهو تقلص نسبيا فيما كانت العائلات في الريف الجزائري سابقا كما أوضحه بوتفوشت في كتاب «العائلة الجزائرية» « تضم قرابة العشرين شخص في العائلة الواحدة »³.

وهو ما يؤكد دخول أفكار وتصورات جديدة حول قيمة الإنجاب والتي تعكس مدى تطور قيمهم الثقافية فيما يخص هذه الوظيفة الأساسية في العائلة عموما والريفية خصوصا حتى وإن كان هناك إنجاب عدد كبير من الأطفال فلا يجب النظر إليهم كقيمة اقتصادية كبرى أو الاتجاه نحو الكم وإنجاب الأعداد الكبيرة دون أي تخطيط أو تنظيم لتوفير فرص الحياة والرعاية المناسبة والحماية والغذاء والاهتمام اللازم.

¹ - أحمد بوزراع. " خصائص المجتمع الريفي". محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

² - سلوى عثمان الصديقي. قضايا الأسرة والسكان من منظور الخدمة الاجتماعية (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001) ص.61.

³ - مصطفى بوتفوشت. المرجع السابق، ص.37.

رابعاً: المؤشرات المتعلقة باتجاهات سلوك الريفيين

1- مفهوم الاتجاه

لقي مصطلح الاتجاهات العديد من التعاريف لدى علماء النفس والاجتماع، من أشهرها تعريف عالم النفس جوردون ألبورت (Gordon Allport) الذي يعتبر فيها الاتجاهات " حالة استعدادات عقلية ونفسية وعصبية تتكون لدى الفرد من خلال الخبرة والتجربة التي تؤثر على استجاباته وسلوكه إزاء جميع الموضوعات والمواقف التي تتعلق بهذه الحالة".¹

انطلاقاً من هذا التعريف نستنتج أن الاتجاه يكمن وراء السلوك أو الاستجابة الملاحظين، كما انه ليس من الضروري أن تكون جميع الاتجاهات نتيجة للخبرة الشخصية فقد يكون الفرد اتجاهاً ما لأنه هو الاتجاه السائد في المجتمع الذي يعيش فيه، وهو ما أكده علماء الاجتماع ومنهم ميرتون (R.K. Merton) الذي يرى " أن الاتجاهات السائدة في المجتمع تؤثر في سلوك الناس حتى وإن كانوا لا يؤمنون إيماناً شخصياً بها".²

ففي بعض الأحيان لا يدل السلوك الظاهري على اتجاه الفرد الحقيقي فبعض العوامل الاجتماعية قد تجعل الفرد يحجم عن التعبير الصريح عن اتجاهه الحقيقي إزاء الموضوعات الشائكة " فرجل السياسة مثلاً عندما يخاطب مجموعة من النساء يحجم عن الكشف عن اتجاهاته الحقيقية نحو حقوق المرأة السياسية".³

كما يجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التفرقة بين الاتجاه والرأي وكما رأينا سابقاً فالالاتجاه يعني " الاستعداد العقلي للاستجابة أو الميل العام نحو الاقتراب أو الابتعاد عن موضوع ما، أي يشير إلى ما نحن على استعداد لعمله، أما الآراء فإنها تشير إلى ما نعتقد انه الصواب وعلى ذلك فالالاتجاهات أكثر عمومية من الآراء التي هي وسيلة التعبير اللفظي عن الاتجاهات".⁴

وبذلك نجد أن للاتجاهات أهمية كبيرة في توجيه سلوك الأفراد والجماعات وهي قد تكون إيجابية كالاتجاه نحو التفكير العلمي وتعليم الفتاة مثلاً أو تكون سلبية كالاتجاه نحو منع الفتاة من التعليم خاصة في المجتمعات الريفية، هذه الأخيرة التي نحاول فيما يلي التعرض لبعض الاتجاهات التي برزت مؤخراً فيها والمؤثرة في سلوك السكان الريفيين حتى يتبين لنا كيفية تفكير الإنسان الريفي وما مدى تطور ثقافته موازاة مع ذلك والذي يمكن أن يعكسه تغير بعض الاتجاهات نحو

¹ - عبد الرحمن محمد العيسوي. تفاعل الجماعات البشرية (الإسكندرية: الدار الجامعية، 2006)ص.239.

² - المرجع نفسه، ص.193.

³ - المرجع نفسه، ص.241.

⁴ - المرجع نفسه، ص.242.

قضايا وموضوعات مختلفة في المجتمع الريفي وإحلال اتجاهات أخرى جديدة هي في نظرنا إيجابية لم تكن موجودة من قبل في المجتمعات الريفية وبخاصة في الريف الجزائري.

2- مؤشر التغير في الاتجاهات التقليدية

أ- الاتجاه نحو خروج المرأة للعمل

كانت المرأة الريفية قديما و لازال بعضهم يلزم من البيت وتعتبر كل امرأة خرجت من البيت سواء للتعليم أو العمل أو التسوق تصنف ضمن خانة العار وإن خرجت يرافقها أحد من أهلها أو زوجها ولا يمكن أن تمشي في الشارع لوحدها.

وانطلاقا من هذا الوضع " كانت تقوم ببعض الأعمال التي تتفق وطبيعتها وإمكانياتها في الزراعة، فتساعد زوجها مثلا في الحقل، وتقوم بتربية الأبناء ورعايتهم إلى جانب رعاية شؤون بيتها"¹.

لكن سرعان ما تغيرت هذه النظرة والاتجاه نحو عمل المرأة نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعيشها معظم الأرياف العربية ومنها بالأخص الجزائرية حيث أصبح الريفيون ينظرون إلى ضرورة عمل المرأة بقصد تحقيق مزيد من الدخل ومواجهة تكاليف ومتطلبات الحياة، إضافة إلى أن التعليم ساهم هو الآخر في تغيير هذه النظرة وذلك انطلاقا من الإيمان بضرورة مشاركة المرأة للرجل في مختلف ميادين العمل، كالمدارس والمستشفيات والمصانع وغيرها وهذا الأمر سيساعدها حتما في أن تحتل مكانا بارزا في المجتمع وتساهم في بنائه.

لكن في المقابل قد نجد في بعض الأرياف الأخرى " مازال هناك قرويون يعيشون في صومعة القيم والتقاليد القديمة التي تصور عمل المرأة خارج المنزل والحقل على أنه غير مرغوب فيه اجتماعيا"². وهو ما يدفع بنا إلى ضرورة التأكيد على أن مثل هذه التغيرات في الاتجاهات تبقى مسألة نسبية تختلف من مجتمع لآخر، هذه الاتجاهات تتجسد أكثر في سلوكيات الأفراد والجماعات والتي تعكس بدورها ثقافة تلك الجماعة وبذلك يمكن قياس أو معرفة ما مدى تطور أو تأخر ثقافة معينة قياسا باتجاهات وسلوك أفرادها.

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.257.

² - المرجع نفسه ، ص.258..

ب- الاتجاه نحو التعليم ومحو الأمية

كان سكان الريف عموما ينظرون إلى التعليم " على انه خسارة ومضيعة للوقت"¹. لا يفيدهم ماديا كما هو الحال بالنسبة للعمل الزراعي، فالتعليم تتحقق نتائجه خلال فترة طويلة من الزمن عكس العمل الزراعي الذي يقدم نتائج ملموسة وواضحة أمام الريفيين في فترة وجيزة وهو ما انعكس في اتجاهاتهم وسلوكهم نحو التعليم حيث عزفوا عن إرسال أبنائهم إلى المدارس كما هو الحال في الجزائر قديما خاصة في الفترة الاستعمارية والسنوات الأولى بعد الاستقلال حيث اقتصر التعليم في بعض الكاتيب والزوايا و تركز حول حفظ القرآن الكريم.

وكانت آنذاك الظروف القاهرة التي كان يعيشها الجزائريون هي التي أدت إلى تدني مستويات التعليم، هذا من جانب، لكن من جانب آخر نجد أن الفئة المتعلمة آنذاك كانت هي الأخرى تتركز فقط لدى الذكور وهو ما يعكس أن سكان الريف الجزائري كانوا لا يؤيدون تعليم الإناث وهو ما تؤكدته البيانات الإحصائية فمثلا سنة 1954 كان " كل ولد من خمسة أولاد يجد طريقه إلى المدرسة بينما كانت في المقابل لدى الإناث في المدن كل بنت واحدة من بين 16 أخرى تذهب إلى المدرسة وفي الريف النسبة الحقيقية للدارسين هي 1 من 50 أو 70 في بعض الجهات"².

كما تشير الإحصاءات نفسها على أن حصيلة التعليم في تلك السنة (1954) بلغت الأرقام التالية:

" 302.000 تلميذ في الابتدائي و 6260 تلميذ في الثانوي و589 طالب في الجامعة ... بينما كان هناك حوالي مليون ونصف المليون طفل جزائري ممن بلغوا سن الدراسة في ذلك الوقت خارج المدارس"³.

هي إذن أعداد تترجم حقيقة نسبة الأمية الكبيرة التي سجلت غداة الاستقلال والتي بلغت آنذاك 80% من مجموع سكان الجزائر كما أشرنا إليه سابقا، والتي تعزى أساسا إلى سياسة التجهيل المتعمدة من طرف المستعمر، لكن بعد الاستقلال عرفت نظم التعليم اتساعا وانتشارا بين أوساط الشعب الجزائري سواء في المدن أو الأرياف فقد كشفت الإحصائيات الأخيرة للديوان الوطني للإحصاء عن أعداد التلاميذ المسجلين في مختلف أطوار التعليم في الفترة الممتدة ما بين سنة 2000 و 2005 وهي كما يلي:

¹ - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.265.

² - أحمد مهساس. المرجع السابق، ص.73.

³ - المرجع نفسه. ص.ص.66-73.

" 4.361.744 تلميذ في الطور الابتدائي، 2.256.232 تلميذ في الطور المتوسط، و1.123.123 تلميذ في الطور الثانوي".¹

والملاحظ على هذه الإحصائيات أنها تزيد عن تلك المسجلة مثلا في سنة 1954 وتعكس اتجاه الدولة في هذا المجال كما تعكس أيضا الرغبة الملحة والحاجة الكبيرة لدى السكان للتعليم وطلب العلم والمعرفة خاصة لدى سكان الريف اللذين أصبحوا يدركون ضرورة التعليم ودوره في تنوير وزيادة الوعي لديهم، إضافة إلى إدراكهم أنه السبيل الوحيد للولوج إلى بعض المهن والظفر ببعض المناصب خاصة المرموقة منها.

هذا، ولم يصبح التعليم حكرا على الأطفال والشباب بل اتسع ليشمل كبار السن في إطار برنامج ما يسمى بمحو الأمية الذي استقطب العديد منهم فيما كانوا في السابق يرددون بأن قطار التعليم قد فاتهم ويستحون من الذهاب للمدارس باعتباره أمرا اجتماعيا غير محبب وغير مرغوب فيه، لكن نجد البعض الآخر منهم قد غير من هذه النظرة، وأصبح يرى أن تعليم الكبار ضرورة لا بد منها حتى يتسنى لهم على الأقل معرفة كتابة أسمائهم ومعرفة العمليات الحسابية التي يحتاجونها يوميا.

ج- الاتجاه نحو أوجه جديدة للادخار والاستثمار

" يعد العمل الزراعي والاشتغال بالفلاحة أساس الحياة الاقتصادية في معظم المجتمعات الريفية".² ولذلك احتلت الأرض الزراعية مكانة مرموقة وهامة لدى سكان الأرياف بما فيه الريف الجزائري الذي كان ينظر فيه السكان إلى عملية شراء مزيد من الأراضي بالعمل العظيم كما ينظر إلى كل من يفرط في أرضه نظرة احتقار باعتبار التفريط في الأرض كالتفريط في العرض.

وبذلك كانوا يدخرون أموالهم في أوعية ادخارية تقليدية كشراء الأراضي أو الماشية بقصد تسمينها وبيعها وتحقيق الربح أو الاتجاه نحو حفظ هذه الأموال في أماكن آمنة سواء داخل المنزل أو خارجه ولم يعرفوا التعامل مع البنوك أو المكاتب البريدية بالشكل السائد حاليا نتيجة ربما لجهلهم أو ضيق أفق تفكيرهم أو حتى خوفهم على ضياع أموالهم لأن الريفيين بطبعهم لا يتقنون بالغباء.

لكن مع مرور الوقت، وتجسد برامج التنمية الريفية على أرض الواقع واتصال الريفيين بالعالم الخارجي، اتضحت لديهم معالم أخرى حول عمليتي الادخار والاستثمار وبرزت لديهم أوعية أخرى جديدة لاستثمار أموالهم كمجالات التجارة ومجال النقل مثلا أو البناء أو إنشاء مزارع

¹ - WWW.ons.dz . statique sociale/ Education/ élèves et étudiants inscrits entre 2000-2005.

² - كمال التابعي. المرجع السابق، ص.228.

للدواجن إلى جانب المجالات الاستثمارية الأخرى سواء التقليدية منها أو الحديثة، بينما أصبح يفضل البعض الآخر إيداع أموالهم في البنوك والمكاتب البريدية.

إن تجسد هذه الاتجاهات في سلوكيات الريفيين على أرض الواقع يعتبر بمثابة بداية حقيقية لامتلاك سكان الريف لثقافة اقتصادية متطورة تسمح لهم بتوسيع مجالاتهم الاستثمارية والادخارية والتي تحقق عائداً أو دخلاً يفوق عائد الأوعية الادخارية والاستثمارية التقليدية وهو ما يعكس حتماً أن الإنسان الريفي سوف لن يعود ذلك الإنسان الذي يعيش لأجل اليوم نفسه بل سيصبح يمتلك تلك النظرة المستقبلية لحياته ويتطلع دوماً نحو الأفضل.

د - الاتجاه نحو التنظيمات والمؤسسات الرسمية في حل النزاعات بدل سلطة كبار السن

إن لجوء الريفيين إلى المحاكم والمؤسسات الرسمية لحل مشاكلهم اليومية أو الطارئة عليهم من شأنه أن يضعف ويقلل من تأثير سلطة كبار السن التي كانت تطبع الحياة الاجتماعية الريفية ويخضع لها الجميع، فمثلاً سكان الريف الجزائري عندما تتنازع فيه عائلتان عن أمر ما، فإنه مباشرة يتجه أحد طرفي المشكلة إلى إقامة ما يسمى بـ « الجماعة » على الطرف الآخر.

وتتكون هذه الجماعة من كبار السن والذين يتصفون برجاحة العقل والحكمة ويحاولون إقناع الطرفين بفض المنازعات وحسم الخلافات بطريقة تكون إلى حد ما ترضي جميع أطراف المشكلة ويلتزم الكل بما صدر عن هذه الجماعة التي لا يمكن أن تكون على دراية كاملة بالأمور القانونية، وهو ما أدى إلى ضعف وتقلص سلطتها تدريجياً إلى جانب زيادة وعي الريفيين حول الهيئات الرسمية التي وجدت أساساً لخدمة مصالح المواطنين والتكفل بحل مشكلاتهم وإعطاء كل ذي حق حقه دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الجهات والأطراف التي يمكن أن ترجع إليهم حقهم.

ويمكن أن نعتبر انطلاقاً من هذا التوجه أن اعتماد القرويين والريفيين على الهيئات الرسمية في حل مشكلاتهم يعكس تطور ثقافتهم فيما يخص هذا المجال من حياتهم الاجتماعية.

خامساً: المؤشرات المتعلقة بالمعتقدات الشعبية لسكان الريف

1- مفهوم المعتقد الشعبي

كان الفيلسوف الإنكليزي دافيد هيوم " يعتبر المعتقد إحدى عمليات الفكر الأشد غموضاً"¹ لأنها قد تعبر عن طريقة الإيمان، وهو بصيغة الجمع « معتقدات » غالباً ما تقتصر موضوعاتها على " الآلهة، الأرواح، الأجداد، العفاريت، الأقنعة، السحر و الحسد... الخ، وهي تعبر عن الموقف

¹ - بيار بونت، ميشال إيزار. معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد (الجزائر: المعهد العالي العربي للترجمة بالتعاون مع مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت، 2006)ص.861.

العقلي الذي يبين درجة اليقين التي يرحب فيها الناس بفكرة، أو ينظرون إلى شيء كأنه صحيح أو حقيقي¹، أو خير وشر.

هذا و يقول إيفانز بريتشارد "لا يمكن مشاهدة المعتقدات"² لأنها صعبة الإدراك بالمشاهدة، ويمكن استخلاصها من الطقوس أو التقاليد التي تتواجد في كافة المجتمعات.

أما عن طبيعة المعتقدات فهي تنقسم إلى قسمين أساسيين هما المقدس والمدنس.

" المقدس: هو الذي يوجب على مقدسية الاحترام والتقدير.

المدنس: هو الذي يعتقد فيه الناس مثل السيئة ومثل ذلك الشيطان"³.

هذا وقد انتشرت بعض المعتقدات المغايرة للعقيدة الإسلامية في مجتمعات العالم الإسلامي بشكل كبير " ولا تزال موجودة وهي قوية في الريف"⁴، وأصبحت تشكل رواسب يصعب إنتزاعها أو تغييرها و ارتبطت بالسلوك الاجتماعي للأفراد بمعنى " أن السلوك متصل في بعض حدوده بالاعتقاد، ما يجعله سلوكا انقياديا أي موظفا في منظومة اعتقادات"⁵.

كما عملت على جعل المعرفة لدى سكان الريف تنسم بالمعيارية المستمدة من طبيعة المقدس والمدنس، فمثلا سكان بعض الأرياف الجزائرية ينعنون شجرة الدفلة السامة بشجرة الشيطان لأن من يتناول ثمارها أو يستعمل أوراقها يتسم ويمكن حتى أن يموت، لذا سميت بهذا الاسم، بينما يعتبرون شجرة الزيتون شجرة مباركة وذلك لذكرها في القرآن الكريم.

وهذه كلها معارف دينية وليست دراسة إيكولوجية أو طبيعية، وبذلك أصبح الريفيون يعتمدون بدرجة أكبر على التفسير الغيبي للحوادث والظواهر التي تطرأ عليهم دون البحث عن الأسباب العلمية والحقيقية التي تقف وراء الحادثة أو الظاهرة سواء كان مرضا أو فشلا دراسيا أو فشلا مهنيا، تأخر في الزواج، العقم وعدم الإنجاب وغيرها من الأمور الأخرى.

ولهذا يمكن أن نخلص إلى القول بأن ابتعاد سكان الريف عن التفسير الغيبي للحوادث والظواهر التي تطرأ عليهم تعتبر مؤشرا حقيقيا لتطور الجانب الفكري من ثقافتهم.

¹ - بيار بونت، ميشال إيزار. المرجع السابق، ص. 862.

² - المرجع نفسه، ص. 863.

³ - العربي بن الشيخ. " البنية الدينية للريف" محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير فرع علم الاجتماع الريفي، مقياس أنثروبولوجيا الأرياف، جامعة باتنة، 2008.

⁴ - محمود شاكر. سكان العالم الإسلامي (الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989) ص. 74.

⁵ - خليل أحمد خليل. المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع (بيروت: دار الحداثة، 1984) ص. 195.

2- مؤثر الابتعاد عن التفسير الغيبي للحوادث والظواهر الطارئة على سكان الريف

أ- المعتقدات الشعبية المرتبطة بالحسد

" ينتشر الاعتقاد في الحسد بين أغلب الشعوب، وبخاصة مجتمعات الشرق الوسط وشمال إفريقيا والهند واليونان وإيطاليا في أوروبا وعلى الرغم من اختلاف الممارسات والشعائر المستخدمة تبعاً لتنوع البيئات والثقافات ... إلا أن جميعها تهدف إلى درء العين الحاسدة بوصفها سبباً لسوء الحظ أو إلحاق الضرر بالآخرين " ¹.

" يتضمن مفهوم الحسد القدرة على الإيذاء نتيجة الرغبة في امتلاك ما يمتلكه الغير والحظوة بامتيازات تماثل ما يتمتع به، وقد يصحبه تمنى زوال النعمة التي يتمتع بها الغير" ²

والى جانب هذا، نجد أن الحسد قد ذكر في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي أصبحت فيما بعد مرجعاً حقيقياً لدى بعض الناس لتفسير حقيقة الحسد وجعلها حجة يتحجج بها كلما تعرض لحادث أو مرض طارئ، حتى ولو كان السبب غير ذلك.

ومن هذه الآيات والأحاديث نجد سورة الفلق التي تعتبر من أكثر الآيات التي تستخدم لدرء الحسد خاصة في عملية الرقية والمعلقات في المنازل والمحلات والمركبات، وكذلك كتابتها على المصوغات التي تنزين بها النساء هناك أيضاً قوله تعالى: في الآية مائة وتسعة من سورة البقرة « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ³.

كذلك قوله تعالى في الآية أربعة وخمسون من سورة النساء: « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا » ⁴.

وأيضاً قوله تبارك وتعالى في الآية الخامسة عشر من سورة الفتح: « سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا » ⁵.

كما أنه وردت أحاديث كثيرة في ذم الحسد والوقاية منه كقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ⁶

¹ و2- فانتن محمد شريف، محمد أحمد غنيم. السحر والحسد في المجتمعات الريفية ج2 (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1998) ص.01

3- الآية 109 من سورة البقرة

4- الآية 54 من سورة النساء.

5- الآية 15 من سورة الفتح

6 - الحديث رواه أبو داود من حديث أبو هريرة، وابن ماجه من حديث أنس.

" وقوله عليه الصلاة والسلام: « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا و لا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا »¹.

وبهذا نجد أن الحسد قد ارتبط كثيرا بالمعتقدات الدينية وأصبح الإنسان يلجأ إلى بعض القوى الغيبية للاستعانة بها لدرء مخاطره وهو ما نهى عنه الإسلام خاصة بما يتعلق باستخدام الأحجية والتعاويذ وبعض المقتنيات لدرء الحسد لأنها معتقدات غيبية والاعتقاد بها دون الاستعانة بالله عز وجل يعتبر نوعا من الشرك.

وينتشر الاعتقاد بالحسد في المجتمعات الريفية أكثر من غيرها من المجتمعات الأخرى كما أكدته بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال نتيجة غلبة التفكير الغيبي عن التفكير العلمي لدى هؤلاء الريفيين ربما نتيجة غياب التعليم لديهم قديما وليس حديثا أو نتيجة لتوارثهم وتناقلهم لهذه المعتقدات جيلا عن جيل، بحيث يمكن أن نجد أكثر الأفراد عقلانية وموضوعية لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن هذا النوع من التفكير لصلته الوثيقة بوسطه الاجتماعي الذي نشأ فيه.

وإذا أردنا أن نعدّ المجالات التي يعتقد سكان الأرياف أنها أكثر تعرضا للحسد سوف نحصرها في ما يلي:

- **الأطفال:** حيث يخشى سكان الريف كثيرا على الأطفال حديثي الولادة وخاصة منهم الذكور ولذلك استخدمت طرق ووسائل عديدة لدرء الحسد منها " أن يرتدي الأطفال الذكور الملابس المغايرة لجنسهم... بالإضافة إلى الرقى والبخور ووضع الحجاب تحت وسادتهم وفي ملابسهم والتحلي بالتمائم التي يعتقد أنها تدرأ الحسد كالكف والعين والخزرة الزرقاء"².

- الممتلكات

تعتبر من المجالات التي يخشى عليها من الحسد كالمنازل مثلا حيث يحرص الريفيون على تعليق بعض التمائم على الأبواب أو السطوح كالكف أو عجلات السيارات في بعض الأرياف الجزائرية وغيرها.

كما تعتبر المواشي كذلك من أكثر الممتلكات لدى الفلاحين التي يعتقدون أنها تتعرض للحسد، حيث يعزون " جفاف لبن البقرة أو العنزة إلى إصابتها بالعين الحاسدة "³

¹ - حديث متفق عليه

² - فاتن محمد شريف. الثقافة والفولكلور (الإسكندرية: دار الوفاء، 2008)ص.272.

³ - محمد السويدي. 1984، المرجع السابق ، ص.147.

- المركبات

تعد هي أيضا من المجالات التي تؤذيها النظرة الحاسدة خاصة منها السيارات، حيث أصبحنا نعيش ظاهرة رقية السيارات في واقعنا المعاش بالإضافة إلى تعليق بعض التمايم كالقف وعبارات الحفظ المكتوبة والعين الزرقاء وغيرها.

- الأفراح

تعد مناسبات الزواج والختان من أكثر المجالات التي يخشى أصحابها من عين الحسود التي تفسد أفراحهم وتصيب خاصة العروسان ولذا نجد في أريافنا بعض الممارسات التي يعتقد أصحابها أنها تحمي العرسان من خطر العين كضرورة حمل العروس للمرأة مثلا لتنعكس على وجوه الحاسدين، وترقى شقة العريسين قبل دخولهما لها بالإضافة إلى نثر الملح والسكر وغيرها من الأمور التي يعتقد أنها تقي من شر العين الحاسدة.

- النجاح الدراسي

إن رسوب أحد الأبناء أو رفضه استكمال دراسته، وخموله وكسله كلها أعراض غالبا ما تعزى إلى الإصابة بالعين الحاسدة، دون التفكير في الأسباب الأخرى التي قد تكون الانحراف أو الفشل الدراسي أو عدم اهتمامه بالدراسة وانشغاله بأمر أخرى.

من جانب آخر فقد استخدم سكان الأرياف ومنهم الجزائريون العديد من الأمثال الشعبية ليبينوا قوة تأثير عين الحاسد على صحة الإنسان فيقال «العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر» ، والمقصود أن عين الحسود التي تصيب الرجل تؤدي إلى وفاته، وتصيب الجمل فتعجل بذبحه وطبخه.

بالإضافة إلى بعض الأمثال المرتبطة ببعض الروايات الدينية المتداولة بين الناس مثل «العين فلقت الحجر»، " ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم خشي على أحفاده الحسن والحسين من الحسد فوضع مكانهما حجرا، أصابته عين الحسود، فشطرته إلى نصفين " ¹ كما يقال أيضا «عين الحسود لا تسود».

وهناك أيضا بعض الأمثال الشعبية التي تتناول بعض أساليب اتقاء الحسد منها «عين الحسود فيها عود» ويقصد منه الدعاء على العين الحاسدة وصاحبها الذي ينظر إلى الأشخاص وممتلكاتهم ومكاسبهم بنية حاقدة وغير حسنة بأن تصاب بالعمى فلا ترى مرة أخرى وتؤدي

¹ - فانتن محمد الشريف، محمد أحمد غنيم. المرجع السابق، ص.30.

الآخرين، بالإضافة إلى عبارة « خمسة في عينيك » مع رفع اليد في وجه الحاسد التي يعتقد بمجرد قولها أنها سوف تكف شر هذا الحاسد.

ب- المعتقدات الشعبية المرتبطة بالسحر

" يعرف السحر بأنه قوى خفية كامنة في بعض الأفراد تمكنهم من السيطرة على الطبيعة والتحكم فيها، من يملك هذه القوى الخفية يصبح ساحرا".¹ كما يعرف أيضا بأنه " مجموعة أساليب تستخدم للتأثير على القوى الطبيعية أو الخارقة للطبيعة عن طريق أداء بعض الممارسات الشعائرية التي يعتقد أنها تؤدي إلى النتائج المرغوبة".²

"وللسحر طقوس مختلفة، كالرقص، تقديم القرابين وجلب الأضاحي وأداء الصلوات وكتابة الأحجبة وترديد التراتيل، وتختلف هذه الطقوس من بيئة اجتماعية إلى أخرى".³

أما بالنسبة لدوافعه فهي كثيرة منها ما هو اجتماعي كالبحث عن الحب والزواج والإنجاب أو فك السحر و الوقاية من الحسد، أو البحث عن المسروقات وأداء بعض الشرور، إضافة إلى أغراض علاجية وتشمل علاج التلبس بالجن أو أمراض أخرى خاصة تلك التي استعصى شفاؤها على الطب، وأغراض أخرى اقتصادية، تتمثل في الحصول على وظيفة معينة، أو توسيع الرزق... الخ.

وكما هو الشأن بالنسبة للحسد فإن السحر أيضا ورد فيه العديد من الآيات القرآنية منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة يونس، الآيات 79 و 80 و 81 « وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ {79} فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ {80} فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ {81} ». «

والآية الثامنة والخمسون من سورة طه، في قوله تعالى « فَلِنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى. ».

ينتشر السحر شأنه شأن الحسد في المجتمعات الريفية أكثر للأسباب التي سبق ذكرها مع الحسد ومن أمثلة هذه المعتقدات في المجتمع الريفي الجزائري نجد مثلا " أن البئر المهجورة مسكونة لا يمكن الاقتراب منها أو الاستفادة من مائها".⁴ وهو نفس الشيء بالنسبة للمساكن التي خلت من أهلها لسنوات عدة، إضافة إلى تأخر في الزواج بالنسبة للفتاة أو الفتى على السواء ترد مباشرة

¹ - فاتن محمد شريف. المرجع السابق، ص.ص. 7-8.

² - المرجع نفسه، ص. 08.

³ - محمد الجوهري. الفولكلور العربي بحوث ودراسات، ط1 (القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2000) ص. 272.

⁴ - محمد السويدي. 1984، المرجع السابق، ص. 145.

إلى عملية الربط السحري، كما أن المريض الذي استعصى شفاؤه فيعتقد أنه قد مسّ من طرف الجن أو أن عملا سحريا قد طاله.

وهكذا يتم تفسير باقي الظواهر التي يتعرض لها في ظل هذا التفكير الغيبي الذي يقوى كلما زاد سوء الحظ وعدم التكيف مع المواقف التي يتعرض لها الإنسان بالإضافة إلى حالات المرض وبعض حالات الفشل في الحياة عامة، وفي المقابل نجد أن هذا التفكير يضعف كلما سيطر وطغى التفسير والتفكير العلمي لدى السكان الريفيين وازدادت نسبة التعليم لديهم بالرغم من أنه ليس عاملا أساسيا في الابتعاد عن مثل هذه المعتقدات، فقد أكدت بعض الدراسات أن هناك بعض المتعلمين وذوي المستويات العلمية العالية من بين المترددين على السحرة لكن تقل عن نسبة الأميين.

بالإضافة إلى " أن معظم المترددين على ممارسي مهنة السحر نجد النساء أكثر من الرجال لأن المرأة بحكم طبيعتها مخلوق ضعيف والضعفاء يلجأون إلى الغيبات لأن لا حلية لهن وخاصة في المجتمعات الريفية"¹.

أما عن النتيجة الأخيرة التي نصبوا إلى إبرازها من خلال هذا العرض الوجيز عن هذه المعتقدات هو أن نبين أنه كلما اتجه سكان الريف إلى التفسير العلمي للظواهر والحوادث التي تطرأ عليهم كلما زاد تطور ثقافتهم، وكلما اتجهوا إلى التفكير الغيبي والتمسك بهذه المعتقدات كلما عكس ذلك مدى تخلفهم الثقافي وتأخرهم عن الركب الحضاري.

سادسا: المؤشرات الخاصة بالمجال المادي للثقافة الريفية

1- مفهوم المجال المادي للثقافة

نقصد بالمجال المادي للثقافة " كل ما تعلق بطرق المعيشة والأدوات التي يستخدمها الأفراد في قضاء حوائجهم والأساليب التي يتبعونها في استخدام هذه الأدوات"²، فمثلا أدوات الصيد والزراعة والقتال كلها أدوات ثقافية، كذلك الأزياء وأساليب الطهي والترفيه والسكن والتكنولوجيا كلها عناصر ثقافية مادية، وهي عناصر يمكن ملاحظتها بالعين المجردة ويمكن كذلك قياسها عكس العناصر المعنوية التي تميل إلى التجريد ويصعب قياسها أو ملاحظتها كالعادات والتقاليد والأعراف والقيم والاتجاهات والمعتقدات والفكر المتناقل والفلسفة والأفكار والأنظمة، وكافة الأنساق المرتبطة بالتفكير والمعرفة.

¹ - فانتن محمد الشريف، أحمد غنيم. المرجع السابق، ص.51.

² - سامية جابر وآخرون. المرجع السابق، ص.193.

2- مؤشر التحديث في المجال المادي للثقافة الريفية

سنقتصر في هذا المجال على عرض بعض العناصر الثقافية التي سندرسها في الجانب الميداني لهذه الدراسة وهي المسكن والزي وطرق تناول الطعام وأدوات الزراعة والأثاث المنزلي بالإضافة إلى بعض التقنيات التكنولوجية المستخدمة في المنزل.

أ- المسكن والزي

كان سكان الأرياف قديما يشيّدون بيوتاً على أساس الجماعة ففيها غرف ومن ثم مخازن وحظائر للحيوانات، فالهيكلية العمرانية تلبي حاجة النشاط الذي يقوم به الشخص، والذي كان يعتمد أساساً على الزراعة وتربية المواشي والدواجن وغيرها.

وفي بناء هذه البيوت كان الريفيون " يعتمدون اعتماداً تاماً على البيئة المحلية فالغالبية العظمى من المساكن تبنى بالطوب اللبن الذي يصنع من الطمي المخلوط بالتبن وبعض الأخشاب".¹ أما في الأرياف الجزائرية، فقد كانت المنازل تبنى بالحجارة والطين، مع أسقف خشبية أو بالقرميد وكان مظهرها الخارجي يشكّل شبه منحرف أو أشكال منحنية عموماً كما هو موضح في الملحق رقم 3 ص 255 أما من ناحية الحجم فهو مرتبط بحجم العائلة وبمساحة الأرض التي يملكها.

أما إذا انتقلنا للتحديث عن الملابس التقليدية التي يرتديها السكان الريفيون عموماً فهي تتميز بالبساطة والشكل الفضفاض ففي الريف الجزائري كان الرجال يرتدون « القشايبة»* و«البرنوس» في الشتاء وهي منسوجة ومصنوعة من الصوف، وفي الصيف رداءات بيضاء إلى جانب السراويل الفضفاضة كما يغطون شعر رأسهم بعمامات تسمى عندنا بـ « الشاش» أما فيما يخص النساء فهن يرتدين عموماً ملابس طويلة تغطي كافة الجسم تسمى عندنا « القندورة» ويضعن على رؤوسهن أعطية تسمى « المحرمة» هذا في البيت، أما عند خروجهن من المنزل فهن يلبسن حجاباً ساتراً يسمى عندنا باللغّة العامية بـ « العجار» كما يفضل بعضهن ارتداء النقاب أيضاً كما يتحلين بالذهب حول الرقبة والأذنين ويلبسن « الخلخال» خاصة المتزوجات منهن.

وبما أن الريفي يقضي معظم وقته في العمل الزراعي " فهو بذلك لا يفكر كثيراً في مظهره ويصب اهتمامه الأكبر على العمل فالملبس لديه شيء يستر الجسم ويقيه حر الصيف وبرد الشتاء فقط".² ومن هنا تأتي فكرة البساطة في الملابس وعدم العناية بالمظهر الخارجي.

¹ - محمد عاطف غيث. المرجع السابق، ص. 289.

* للتعرف أكثر على هذا اللباس أنظر - الملحق رقم 3 ص. 255

² - محمد عاطف غيث. المرجع السابق، ص. 294.

لكن مع مرور الوقت، أصبح الإنسان الريفي عموماً يهتم بهندامه وخاصة الشباب منهم، اللذين أصبحوا يسايرون الموضات الحديثة الخاصة بالأزياء نتيجة الاتصال مع السكان الحضريين خاصة في العمل والدراسة إلى جانب التعرض الدائم لوسائل الإعلام كالتلفاز وما يعرضه من برامج خاصة بهذه الأزياء الحديثة، ولذلك أصبحت ملابس السكان الريفيين تشبه إلى حد كبير ملابس السكان الحضريين وفي معظم الأحيان تتطابق معها.

والأمر ذاته حدث مع المساكن حيث أصبحت تشبه مساكن الحضريين فالمظهر الخارجي للمنزل يشكل متوازي المستطيلات ومكعبات مع وجود مساكن أخرى على النمط القديم، أما وظيفة المنزل فقد تغيرت لدى بعض الريفيين وأصبحت للإيواء فقط، وإذا وجدت هناك حظائر أو مخازن للمحاصيل فهي منفصلة وبعيدة نسبياً عن غرف الإيواء.

بينما لم تتغير لدى البعض الآخر وما زال مكان الإيواء يضم البشر والحيوان والأدوات والمحاصيل، في حين نجد أن المواد المستخدمة في البناء هي التي تستخدم في المدينة والموجود في الأسواق حالياً كالقضبان الحديدية والإسمنت واللبن الأحمر والأبيض والبلاط بمختلف أنواعه، وتختلف درجة استخدام هذه المواد باختلاف المستوى الاقتصادي ومستوى الدخل عموماً لدى الأسر والعائلات.

ب- أدوات الزراعة والأثاث المنزلي

تتميز الأدوات الزراعية التقليدية التي كان يستخدمها الريفيون بالبساطة ولا تحتاج إلى مهارات خاصة في استخدامها، لكنها في المقابل كانت تتطلب بذل جهد كبير من قبل الفلاحين وتستغرق وقتاً طويلاً في العمل مع مشاركة الحيوانات للإنسان في العمل الزراعي ومن هذه الأدوات التقليدية نجد المحراث الخشبي* على شكل خط مستقيم، يجره حيوان أو حيوانين، ويقودهما فلاح واحد ينثر البذور، كما تستخدم الحيوانات أيضاً وغالباً ما تكون الأحمرة في عملية الدرس، وعملية نقل المحاصيل.

أما عملية الحصاد فيستخدم فيها المنجل* ويتعاون في هذه العملية عدة رجال في شكل جماعي، وهو مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي الذي كان سائداً في أرياف الجزائر وربما لا زال إلى حد الآن والمعروف باسم «التويزة» أما بقية الأدوات الأخرى فهي تستخدم استخداماً جمعياً، إذ يتناوب عليها أعضاء العائلة دون تمييز كالفأس مثلاً التي "تستخدم في حفر القنوات وإعداد

* للتعرف أكثر على هذه الأدوات التقليدية، أنظر الملحق رقم 3 ص. 255

الأرض للزراعة وإزالة الأتربة وروث الماشية من الحظائر وتنقية المزروعات من النباتات الطفيلية وتقطيع الأخشاب الصغيرة وفروع الأشجار"¹.

أما الأثاث فهو كذلك يمتاز بالبساطة والقلّة وعدم التنوع ويحصر في بعض الأوتاد الخشبية التي تعلق عليها الملابس والصناديق الحديدية والخشبية لحفظ الأشياء، بينما تستخدم الحصير والأغطية الصوفية في النوم والأواني الفخارية والأطباق الخشبية في الأكل والفوانيس التقليدية المعبأة بالغاز أو المازوت في الإضاءة.

بينما في المقابل نجد لدى بعض العائلات الأخرى الغنية، التلفاز والثلاجة والأواني النحاسية، وتختلف العائلات الأخرى في استخدام هذه الأنواع من الأثاث حسب قدرتها الاقتصادية ودخلها العام، وبهذا نجد الأثاث التقليدي في الريف يستمد من البيئة المحلية كالأخشاب والحجر وصوف المواشي وغيرها، وبساطته مرتبطة بمجموع القيم والنظرة إلى الحياة التي لا تتعدى سوى تحقيق الحاجات الضرورية وصرف النظر عن الكماليات بما فيها تأثيث المنزل بالأنواع الحديثة.

لكن مع مرور الزمن أصبح أثاث المساكن الريفية يميل إلى التنوع والتعقيد حتى بالنسبة للأسر والعائلات الفقيرة " وأصبح التشبه بسكان المدينة في أثاثهم ونمط معيشتهم أمرا يحاول بلوغه كل ريفي سمحت له أحواله الاقتصادية بذلك "² فتتوزع أثاثه بين الأواني الزجاجية والآلات الكهرومنزلية والأفرشة والزرابي الحديثة والأفران والثلاجات والمصابيح والأسرة والتلفزيونات الملونة والهوائيات المقعرة وغيرها.

أما فيما يخص الأدوات الزراعية فقد عرفت هي الأخرى نوعا من التطور فقد أصبح السكان الريفيون يستخدمون الجرارات في حرث الأراضي والحاصدات في جني المحاصيل وتم الاستغناء تقريبا على الحيوانات في هاتين العمليتين، بينما لا تزال الأدوات الأخرى الدائمة الاستعمال موجودة كالفأس والدلو في استخراج المياه من الآبار، والبعض الآخر يستخدم المضخات، ومما يحسب لهذه الآلات الحديثة هو اختصارها للوقت والجهد، بعدما كان الفلاحون يستغلون وقت طويلا ويبدلون جهدا كبيرا في الحرث والحصاد.

ج- أساليب طهي وتناول الطعام

كان الطعام قديما وخاصة في الأرياف الجزائرية يطهى على الأخشاب أو ما يسمى «بالكانون»* حيث توضع ثلاثة صخور متوسطة الحجم بجانب بعضها البعض مشكلة بذلك مثلث

¹ - محمد عاطف غيث. المرجع السابق، ص. 296.

² - المرجع نفسه، ص. 311.

* للتعرف أكثر على هذه الطريقة في الطهي أنظر الملحق رقم 3 ص. 255

وأحيانا تضاف صخرة أخرى لتشكل مربع ويوضع في الوسط الحطب وتشتعل النار فيها و يتم الطهي عليها، وعندما يجهز يقدم الطعام أولا للذكور (الرجال كبار ومتوسطي السن) ثم تأكل النساء بعد التأكد أولا من اكتفاء الرجال منه (الطعام)، أو يتم الفصل بين الكبار والصغار عند تقديم الأكل، وهذا يرجع إلى شكل الدهون الريفية التي ترى أن الرجال أولى بالطعام من النساء والأطفال لأنهم مصدر الرزق والمال والأقدر بدنيا على العمل من النساء والأطفال.

لكن ما يلاحظ في الوقت الحاضر هو تغير هذه الطرق والأساليب حيث نجد من خلال الواقع المعاش، سكان الريف يطهون طعامهم على الأفران ومواقد النار الحديثة، ومع تقلص حجم العائلات تدريجيا أصبح الآباء يجتمعون مع زوجاتهم وأولادهم على مائدة واحدة عند تناول الطعام ولا يفرق بين الأنثى والذكر أو صغير السن وكبير السن في هذا المجال.

د - التكنولوجيا الحديثة

من المتعارف عليه أن سكان الريف يحظون بقدر ضئيل من المعرفة التكنولوجية وتوارثوا هذه المعرفة وإن كانت بسيطة عن الأجداد لكن مع مرور الوقت ونتيجة احتكاكهم الثقافي بالسكان الحضريين اكتسبوا خبرات فنية خاصة بالأساليب التكنولوجية الحديثة في الحياة، منهم من استخدم هذه التكنولوجيا ومنهم من عزف عنها، ومن أمثلة ذلك استخدام الحاسوب والانترنت في المنزل والهاتف النقال وما إلى ذلك.

في الأخير نخلص إلى القول أنه كلما اتجه السكان إلى تحديث العناصر المادية لثقافتهم كلما تطور نسقهم الثقافي الكلي والعكس صحيح لأن هذه العناصر تشكل جزءا أو جانبا من هذا النسق وتتكامل مع العناصر الأخرى غير المادية وترتبط معها وتؤثر وتتأثر بها.

ملاحظة: إن الوصف الذي قدمته لبعض العناصر والمظاهر المادية للثقافة الريفية وكيف كانت في الماضي تم بناء على بعض المعلومات التي جمعتها من بعض كبار السن الذين يعيشون في الريف الذي أظن فيه بالإضافة إلى أن بعض العناصر مازالت متواجدة وأصبحت تشكل إرثا ثقافيا ماديا قمت بالتقاط الصور لبعض منها وجلبت الآخر من صفحات الانترنت بالإضافة إلى معاشتي للبعض الآخر منها.

خلاصة:

إن المؤشرات التي قمنا بعرضها ودراستها وتحليلها جعلتنا نصل إلى:

1- يرتبط توجه الفرد الريفي نحو استخدام الطرق الحديثة أو التقليدية في علاج الأمراض بالتفسير المسبق لنوعية المرض، فكلما كان التفسير واقعياً كان الاتجاه إلى العلاج الحديث، وكلما كان غيبياً كان الاتجاه إلى العلاج التقليدي، بالإضافة إلى ما توارثه عن آبائه وأجداده فيما يخص هذه الطرق العلاجية.

2- يتجلى الانفتاح على العالم الخارجي لدى السكان الريفيين في خروجهم من العزلة التي كانوا يعيشون فيها وذلك من خلال التعرض لوسائل الاتصال والإعلام والتقل إلى عالم الحضر، ومعرفتهم بمقومات الحياة العصرية، وتخطي تطلعاتهم المستقبلية للحاجات الضرورية والآنية إلى التطلع للأفق البعيد.

3- القيم العائلية تحتل مكانة رئيسية وهامة في البناء الاجتماعي والثقافي التقليديين للمجتمع الريفي، لكن في المقابل كانت تشكل هذه القيم عائقاً أمام طموحات بعض أفراد العائلة، ولذا وجب التغيير في البعض منها لتتناسب مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تحدث في المجتمع ككل، ويعد العامل الاقتصادي السبب الرئيسي في تغير بعض القيم الريفية كقيم الإنجاب وقيم العائلية والجمعية.

4- اتجاهات الريفيين تعكسها سلوكياتهم، كما أن الاتجاهات السائدة في المجتمع تؤثر في سلوك الناس حتى وإن كانوا لا يؤيدونها وإن غير السكان الريفيون في اتجاهاتهم التقليدية فالعوامل الكامنة وراء ذلك هي بالدرجة الأولى العوامل الاقتصادية لأن الحاجة هي التي تدفع السكان الريفيين إلى تقبل خروج بناتهم ونسائهم للعمل حتى وإن كانوا لا يؤيدون ذلك وهي نفس العوامل التي أدت بهم كذلك إلى توجيه أبنائهم للعمل خارج نطاق الزراعة قصد الربح أكثر.

5- تشكل المعتقدات الشعبية موروثاً ثقافياً لدى سكان الريف يتوارثونها جيلاً عن جيل وهي عموماً تنزع للبقاء والاستمرار أكثر من التلاشي والتبدد في القديم وربما لا تزال إلى حد الآن.

يعتبر التعليم أحد أكثر العوامل قدرة على تغيير البعض من هذه المعتقدات خاصة تلك المغايرة للعقيدة الإسلامية والمزاحمة لها وعموماً كلما أخذ السكان الريفيون بالأسباب العلمية والواقعية في تفسير الظواهر والحوادث التي تطرأ عليهم كلما قل انتشار هذه المعتقدات بين السكان وزاد وعيهم وتطورت ثقافتهم خاصة في جانبها الفكري.

6- إن تحديث الجانب المادي من الثقافة الريفية قد يكون سريعا أو متدرجا، كما أنه قد يكون شاملا أو جزئيا لارتباطه بالمركز الاقتصادي ونوع المهنة للسكان الريفيين وبدرجة اتصالهم بالمدينة، ولذلك يمكن أن نجد القديم يعيش جنبا إلى جنب الجديد، كما يمكن أن نجد الجديد لوحده أو القديم فقط، نظرا للأسباب التي أشرنا إليها سابقا، بالإضافة إلى ضرورة التكيف مع متطلبات الحياة العصرية، ومن أمثلة العناصر المادية للثقافة نجد: المسكن، الزي، أدوات الزراعة والصيد والطهي، التكنولوجيا، أساليب تقديم وتناول الطعام وغيرها.

الجانب الميداني للدراسة

الفصل الرابع

الإجراءات المنهجية للدراسة

- تمهيد.

أولاً: المنهج المطبق في الدراسة.

ثانياً: مجالات الدراسة.

ثالثاً: أدوات جمع البيانات.

- خلاصة

- تمهيد

إن طبيعة الموضوع وخصوصيته وطبيعة التساؤلات والفروض التي يطرحها الباحث والبيانات المراد الحصول عليها، كل ذلك يفرض على الباحث التقيد بمنهج أو عدة مناهج علمية محددة وملائمة ترتبط بكل خطوات البحث.

كما يفرض عليه انتقاء أدوات أو تقنيات تسهل من مهمة جمع المعلومات التي تخص بحثه.

وتتوفر الساحة العلمية على عدد هائل من الأساليب والأدوات التي لا يمكن حصرها، والاعتماد على أكثر من أداة يعتبر أمرا مستحبا ومرغوبا فيه " لأنه يحقق نوعا من الدقة العلمية، ويجنب الوقوع في العديد من الأخطاء، كالتحيز والذاتية وغيرهما"¹.

وهو الأمر الذي تقيدنا به في بحثنا هذا باستخدامنا لمجموعة من الأدوات وتقنيات البحث السوسبيولوجي والتي تخدم أغراض موضوع دراستنا الحالية.

¹ - فضيل دليو، علي غربي. أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية (قسنطينة: دار البعث، 1999) ص.185.

أولاً: المنهج المطبق في الدراسة

أكد أن الدراسة الحالية، والقائمة حول معالجة موضوع النسق الثقافي، في المجتمع الريفي تستدعي توظيف المنهج المناسب باعتباره يمثل " مجموع المبادئ أو الخطوات المنظمة التي نتبعها من أجل الوصول إلى النتيجة العلمية أو البرهنة عليها"¹

بمعنى أن الباحث يسير وفق مجموعة من القواعد والخطوات المحددة لا يجب أن يخرج عن إطارها للوصول إلى فهم وكشف بعض الحقائق العلمية وإعطاء تفسيرات صادقة ومعبرة عن الواقع.

وفي نفس السياق عرفه عبد الرحمان بدوي " بأنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"². وكذلك للحصول على معلومات دقيقة قدر الإمكان تصور الواقع الاجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره.

وبما أن اختيار المنهج المناسب يتوقف على طبيعة الموضوع المدروس من قبل الباحث وعلى الأهداف التي يرغب في الوصول إليها وتحققها ، جعلت عامل الاختيار لديه غير موجود، فطبيعة الدراسة هي التي توجه الباحث إلى استخدام منهج معين دون غيره.

وبما أن توجهنا في البحث نهدف من ورائه في المقام الأول، إلى إبراز أهم مظاهر التطور الذي مس النسق الثقافي الخاص بسكان الريف الجزائري، اتجهنا إلى استخدام المنهج الوصفي الذي يعبر عن " الطريقة التي يعتمدها الباحث للحصول على معلومات دقيقة تصور الواقع الاجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره"³.

كما أنه لا يقف عند وصف الظاهرة فقط بل يتعدى ذلك، وهو ما أشار إليه رابح تركي حينما قال " المنهج الوصفي لا يقف عند حدود وصف الظاهرة موضوع البحث ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيحلل ويفسر ويقارن، ويُلاحظ أن وظيفة البحث الوصفي تتمثل في وصف ما هو كائن وتفسيره وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطريقتها في النمو والتطور "⁴.

¹ - خالد حامد. منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية (الجزائر: جسر للنشر والتوزيع، 2008) ص. 29.

² - محمد التوجي الشيباني عمر، مناهج البحث الاجتماعي (بيروت: دار الثقافة، 1971) ص. 53.

³ - راضية لبرش. المرجع السابق، ص. 124.

⁴ - سناء قلمامي. المرجع السابق، ص. 12-13.

وهو ما يتفق مع طبيعة دراستنا حيث قمنا بتطبيق هذا المنهج من خلال رصدنا لبعض الاتجاهات الجديدة لدى سكان الريف المدروس وآرائهم حول قضايا ومواضيع مختلفة، بالإضافة إلى الوقوف على بعض السلوكيات والممارسات لديهم وتحليلها وتفسيرها وهو ما أوصلنا إلى فهم طبيعة بعض القيم والمعتقدات السائدة لدى هؤلاء السكان والتعرف على نمط الاتصال والعلاج لديهم للوصول إلى الكشف عن الأبعاد الثقافية التي تنطوي عليها هذه الأنماط، كما قمنا بوصف بعض المظاهر المادية لثقافتهم كأنماط المساكن والزي وأدوات الفلاحة التي يستخدمها في الريف وهو ما يعني في الأخير محاولة رسم صورة عامة عن النسق الثقافي السائد لديهم من خلال المؤشرات السابقة الذكر التي تعتبر معيارا يكشف عن واقع الثقافة الريفية.

ثانيا: مجالات الدراسة:

يرتبط الموضوع الذي قمنا بدراسته بثلاث مجالات أساسية، سوف نوضح الكيفية التي تعاملنا معها على النحو الآتي:

1- المجال المكاني: بما أن دراستنا تستهدف سكان الريف لأجل معرفة طبيعة النسق الثقافي الخاص بهم، فقد كانت وجهتنا نحو المناطق الريفية، وبالضبط إلى ريف الشعرة التابع لبلدية بومقر* بولاية باتنة، يبلغ عدد سكانه حوالي 1009 نسمة مشكلين بذلك حوالي 150 أسرة.

ويحتوي هذا الريف على 145 بناية بها 177 مسكنا منها 150 مشغولا و 27 مسكنا شاغرا به إكمالية وحيدة تم إنجازها مؤخرا فقط وبدأت باستقبال تلاميذ المنطقة ابتداء من سنة 2007، وعلى مسافة قريبة منه توجد ابتدائية، كما يشهد الريف نقصا في المرافق العمومية والخدمية الأخرى كالمستوصف أو المساجد أو الثانويات، وحتى محلات المواد الغذائية.

أما عن موقعه فهو يتوسط بلدية بومقر، هذه الأخيرة التي يحدها شرقا بلديتي أولاد عوف وأولاد سي سليمان، وغربا تحدها بلديتي الجزائر وبريكة، أما شمالا فتحدها نقاوس والقصبات، وجنوبا بلدية سفيان.

والسكان فيه أصولهم من أصول سكان بومقر ككل، إذ ينحدرون من قبيلة أولاد سلطان، وهي قبيلة ذات جذور بربرية، ويسمون أولاد طالب وسكان ريف الشعرة يشكلون 4 ألقاب عائلية،

* - لقد جاء في آخر الإحصائيات التي قدمتها مديرية التخطيط والتنمية العمرانية لولاية باتنة والتي تخص مونوغرافية ولاية باتنة، المعلومات التالية عن بلدية بومقر:

- هي بلدية ريفية، عدد سكانها الإجمالي في آخر احصاء سنة 2008 قدر بـ 8557 نسمة، تتربع على مساحة تقدر بـ 11169 كم²، نسبة الربط بشبكة الصرف الصحي بلغت 78%، نسبة التزود بالمياه الصالحة للشرب 100%، تبلغ بها المساحة الزراعية الكلية 4858 هكتار، المسقية منها يقدر بـ 400 هكتار فقط، بها 1629 حظيرة سكنية، معدل شغل المسكن يقدر بـ 5.25 وبها 35 سكن هش، 7 مؤسسات تربية (غياب مؤسسات التعليم الثانوي)، عيادة واحدة فقط متعددة الخدمات وقاعتين للعلاج، 3 مساجد و2 في طور الإنجاز، نسبة الربط بالكهرباء 90.4% وبالغاز 54.3% غياب الأسواق اليومية والأسبوعية.

يشكل كل لقب شبه تجمع ويعرف السكان فيها بعضهم البعض جيدا بحكم العامل الزمني الكبير لتواجدهم مع بعض، وهي من سمات المجتمع الريفي بحيث يشكلون وحدة متجانسة.

أما عن سبب اختياري لهذا الريف دون غيره هو توفره على بعض السمات الخاصة بالمجتمع الريفي كانتشار حظائر الحيوانات والإسطبلات بالإضافة إلى وجود مساحات زراعية معتبرة به و هو حقيقة لا يعكس النشاط الفعلي لسكانه بحيث إلى جانب الزراعة هم يمارسون وظائف تشكل المصدر الحقيقي لدخولهم، أما الزراعة فقد أصبحت تشكل مصدرا ثانويا، بالإضافة إلى أن هذا الريف على درجة من الاتصال الحضاري بالمناطق الأخرى خاصة الحضرية منها (مدينتي بركة ونقاوس).

وهو ما يعني احتكاك سكان الشعرة بالسكان الحضريين الأمر الذي قد يدفعهم إلى اكتساب أنماط التفكير والسلوك لديهم، كما يعني أنه ليس بريف منعزل خاصة وأنه يقع في الشريط المحاذي للطريق الوطني رقم 78.

2- المجال البشري

غالبا ما يجد الباحث نفسه غير قادر على دراسة جميع مفردات البحث خاصة عندما يكون مجتمع البحث كبير نسبيا، بحيث يصبح يقتضي تجنيد العديد من الوسائل البشرية والمادية ويستغرق وقتا طويلا ويتطلب جهدا كبيرا، في حين انه يمكن الاكتفاء باختيار عينة ممثلة للمجتمع المدروس، يحمل أفرادها نفس خصائص المجتمع الكلي، وبالتالي الحصول على معلومات ونتائج يمكن تعميمها فيما بعد على المجتمع كله دون أن يؤدي ذلك إلى الابتعاد عن الواقع المراد معرفته، وهو الأسلوب الذي اعتمدنا عليه في دراستنا هذه كما يلي:

- عينة الدراسة وخصائصها

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على الأسرة كوحدة للدراسة، وقمنا باختيار عينة عشوائية بسيطة مقدرة بـ 40% من مجموع أسر ريف الشعرة (مجال دراستنا) البالغ عددها الإجمالي حسب إحصاء 2008 بـ 150 أسرة، فتحصلنا بعد إجراء العملية الحسابية على 60 أسرة يمثلها إما الزوج أو الزوجة بمعنى أن عينتنا تصبح مكونة من 60 مبحوث من كلى الجنسين.

- كيفية تحديد العينة:

في تحديد عينتنا قمنا بإعداد قائمة تضم 150 اسما عائليا وكل اسم عائلي يعطى له رقم فكونا بذلك 150قصاصا، أجرينا عليها ما يشبه عملية القرعة حيث نسحب في كل مرة ورقة بها

رقم معين، وعند الانتهاء من تسجيل الرقم المسحوب تعاد الورقة المسحوبة إلى الأوراق الأخرى الغير المسحوبة ليعطى لكل فرد حظوظ الظهور وإذا تكرر الرقم، يعاد مجددا السحب حتى نتحصل على رقم جديد، وهكذا حتى نتحصل على العدد المطلوب أي 60 مفردة، قمنا بقصد الأسر التي تحمل هذه الأسماء العائلية وأجرينا مع ممثلها المقابلة، بمساعدة قريب لي، يعيش في الريف المدروس (الشعرة) ورافقتي طيلة الدراسة الميدانية بحيث دلني على منازل الأسر المعنية بالدراسة وهو ما أكسب المبحوثين نوعا من الثقة عندما يرونه معي لأنه ابن منطقتهم.

- خصائص أفراد العينة

عند مقابلتنا للمبحوثين وتسجيلنا للبيانات المتعلقة بحالتهم الشخصية وجدنا أن معظمهم من فئة الذكور، وذلك لرغبتهم الذاتية في تمثيل أسرهم.

كما أن الوقت الذي خصصناه لزيارة الأسر المعنية بالدراسة كان في أيام العطل الجمعة والسبت، بالإضافة إلى وقت منتصف النهار، وهو ما سمح بتواجد الأزواج والآباء داخل المنزل إلى جانب تواجد الزوجات أيضا، لكن غالبا ما يفضل الزوج الإجابة عن الأسئلة المطروحة من قبلنا.

والملاحظ كذلك على أفراد عينتنا أنه تغلب عليهم الفئات العمرية الكبيرة نوعا ما، حيث تتركز أعمارهم في الأربعينيات والخمسينيات، كما أن معظمهم متعلمين لكن المستوى التعليمي لهم منخفض نوعا ما يتمحور أساسا في التعليم الابتدائي والمتوسط، مع تسجيل نسبة متوسطة من الأميين هي أكبر لدى الإناث عن الذكور.

قطاع الخدمات يستحوذ على النسبة الأكبر من نشاطات المبحوثين، ونسبة البطالة هي لدى النساء أكثر من الرجال.

معظم المبحوثين مستوى دخولهم متوسطة وحجم أسرهم كبيرة نسبيا يستخدمون اللهجة الشاوية في التواصل بينهم داخل الوسط العائلي، ويتميزون بالاستقرار بحيث لا توجد هناك هجرة، وأغلبهم يملكون أراضي زراعية متباينة المساحة.

3- المجال الزمني

استغرقت الدراسة الميدانية بمنطقة الشعرة 25 يوما، بدءا بالدراسة الاستطلاعية التي جريت فيها تطبيق استمارة المقابلة مع 10 مبحوثين، مما سمح لي بتعديل بعض الأسئلة في الاستمارة وحذف البعض الآخر منها، كما سمحت لي هذه الدراسة بالإلمام بالوضع العام للريف ودامت 5 أيام بدءا من 24 أبريل 2010 إلى 28 من نفس الشهر.

أما تطبيق الاستمارة النهائية مع المبحوثين فكان ابتداء من الفاتح ماي إلى غاية 19 ماي 2010.

أما دراستنا في مجملها بشقيها النظري والميداني فقد استغرقت ما يقارب العامين.

ثالثا: أدوات جمع البيانات

تستخدم في البحوث الاجتماعية الكثير من الوسائل والتقنيات التي تمكن الباحث من الوصول إلى البيانات المستهدفة وذلك حسب طبيعة موضوعه وأهداف بحثه ونوعية المبحوثين المستهدفين بالدراسة.

وبحكم أننا نبحت عن جمع المعلومات المتعلقة بآراء ومواقف واتجاهات سكان الريف نحو مواضيع وقضايا مختلفة والمعلومات التي تتصل بسلوكهم ومعاينة بعض المظاهر المادية المشكلة لثقافتهم، استوجب بحثنا هذا استخدام الأدوات التالية:

1- الملاحظة

تعتبر من أهم وأقدم الأدوات في جمع البيانات، بحيث تستمد أهميتها من خلال ما أكده العلماء الاجتماعيون على أن العلم يبدأ بالملاحظة وينتهي بالملاحظة وتتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة، وهي أنواع، ملاحظة بسيطة، منظمة وملاحظة بالمشاركة.

استخدمنا فيها الملاحظة البسيطة ويطلق عليها أيضا " الملاحظة من غير المشاركة"¹ بحيث قمنا برصد بعض السلوكيات المتصلة بأسلوب الضيافة لديهم، حيث ما زالوا يتمسكون بميزة الكرم والضيافة وهي من السمات التي تميز سكان الريف عن غيرهم، بالإضافة إلى وقوفنا على بعض الظروف المادية التي يعيشون فيها، إلى جانب تسجيلنا لبعض المظاهر المادية الخاصة بثقافتهم كنمط المسكن وأزيائهم، وأدواتهم الزراعية.

هذا وقد لاحظنا أن المبحوثين عند سؤالهم مثلا عن المواد المصنوعة منها منازلهم وكيفية تصميمه ونوعية الأثاث الموجود بداخله، واستعمالهم للتمائم من عدمه يجيبونني مباشرة " لاحظني بنفسك" وهو ما يعكس نوعا من المصادقية في المعلومات المستقاة منهم خاصة فيما يتعلق بهذه الجوانب المادية من ثقافتهم، كما يعني ملائمة هذه الأداة في جمع مثل هذه المعلومات، وقد استشهدنا بهذه الأداة أكثر في تحليل المعطيات الميدانية خاصة في تعاليق بعض الجداول.

¹ - خالد حامد. المرجع السابق، ص.127.

2- استمارة المقابلة

" هي عبارة عن قائمة من الأسئلة يتم التعرض لها وجها لوجه بين الباحث والمبحوث"¹، من أجل الحصول على المعلومات حول الموضوع المدروس ووفقا لإجابات المبحوث يتم ملء هذه الاستمارة من طرف الباحث، وقد اتجهنا إلى استخدام هذه الأداة بسبب تواجد بعض الأيمن في عينة دراستنا، بالإضافة إلى أنه أثناء المقابلة وكما يقول عمار بوحوش " يمكن تغيير أسلوب الأسئلة إذا كان هناك غموض"²، وترجمة الأسئلة لبعض المبحوثين باللغة الدراجة والشاوية حتى يتسنى لهم الفهم أكثر، ونزولا عند رغبات المبحوثين الذين طلبوا منا أن نسألهم وهم يجيبون شفاهيا.

إضافة إلى أن الاستمارة تسهل معالجة بياناتها إحصائيا، وقد احتوت استمارتنا على 55 سؤالاً مقسم حسب مؤشرات الدراسة إلى سبعة محاور

- **المحور الأول:** خاص بالبيانات المتعلقة بالحالة الشخصية للمبحوثين وتضمن 10 أسئلة.

- **المحور الثاني:** خاص بالبيانات المتعلقة بالجانب الصحي لدى سكان الريف ركزنا فيه على بعض الأساليب العلاجية لدى الريفيين، ومدى تقيدهم بالشروط الصحية في منازلهم ومحيطهم المعيشي وتضمن هذا المحور 6 أسئلة.

- **المحور الثالث:** خاص بالنشاط الاتصالي لسكان الريف، تطرقنا فيه إلى الأسئلة التي تحاول الكشف عن مدى التواصل الاجتماعي بين السكان الريفيين والسكان الآخرين بما فيهم الحضريين وسبل هذا التواصل، بالإضافة إلى محاولة معرفة مدى تعرض السكان لوسائل الاتصال و الإعلام المختلفة واحتوى على 9 أسئلة.

- **المحور الرابع:** خاص بأهم القيم العائلية السائدة عند الريفيين، وركزنا فيه على إبراز كيفية تعامل المبحوثين مع بعض القضايا العائلية، كقضية التفضيل بين الذكر والأنثى و مسألة الاختيار في الزواج وميراث المرأة، وقيم تنشئة الأبناء وقيم الإنجاب وغيرها وتضمن 9 أسئلة.

- **المحور الخامس:** خاص باتجاهات السلوك لدى الريفيين وسلطنا فيها الضوء على اتجاهات المبحوثين حول قضايا معينة، كمحاولة معرفة اتجاهاتهم نحو خروج المرأة للعمل ونحو كثرة الأبناء في العائلة ونحو العمل الزراعي ونحو تنظيم النسل وغيرها وتضمن 8 أسئلة.

¹ - فضيل دليو. المرجع السابق، ص.192.

² عمار بوحوش. دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية (الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2002) ص.49.

- **المحور السادس:** خاص بالمعتقدات الشعبية السائدة لدى سكان الريف، وركزنا فيه على المعتقدات المرتبطة بالحسد والسحر وتضمن 5 أسئلة.

- **المحور السابع:** خاص بالمجال المادي للثقافة الريفية وركزنا فيه على نمط المساكن، الزي، أدوات الزراعة، الأثاث، أساليب تقديم وتناول الطعام، إدخال بعض التكنولوجيات الحديثة إلى المنازل (الحاسوب + الانترنت) وضم هذا المحور 8 أسئلة.

وقد تم تغطية كل هذه المحاور في أسئلة تنوعت ما بين المغلقة كالتالي تحتل الاجابة بنعم أو لا وأسئلة تحتوي على خيارات بالإضافة إلى أسئلة مغلقة مفتوحة، وأخرى مفتوحة تترك فيها حرية الإجابة للمبحوث.

3- الوثائق والسجلات:

تشكل الوثائق والسجلات مصادر للمعلومات والبيانات التي يسعى الباحث إلى الحصول عليها خاصة أنها تحفظ الوقائع و الأحداث والإحصاءات على مستوى بعض الهيآت والمؤسسات.

ولذلك قمنا بالاستعانة ببعض من الوثائق أهمها تلك المتعلقة بتاريخ بلدية بومقر وبعض الإحصاءات الخاصة بالمنطقة المستهدفة بالدراسة (الشعرة) والتي تحصلنا عليها من البلدية، وأفادتنا بشكل رئيسي في تحديد العينة والتعريف بالمجال المكاني لدراستنا.

كما أنه إستعنا ببعض الإحصاءات المنشورة في التقارير الرسمية لمديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة، حيث جمعت هذه التقارير في كتاب حمل عنوان مونوغرافية ولاية باتنة وأفادنا أيضا في التعريف أكثر ببلدية بومقر وواقع السكان فيها ومختلف المرافق الخدمية المتواجدة بها.

إضافة إلى بعض الصور المأخوذة من احتفال شعبي أقيم بمناسبة عيد يناير (رأس السنة عند الأمازيغ والمصادف ليوم 12 جانفي) في مدينة نقاوس، وكانت فيه عروض تجسد طرق الطهي واللباس والإنارة التقليدية ونمط المساكن الريفية التقليدية وهو ما جعلنا نستشهد بها عند عرضنا لهذه العناصر من الثقافة المادية لسكان الريف الجزائري ومنهم سكان ريف الشعرة الذي أجرينا فيه الدراسة الميدانية.

- خلاصة

إن البحث العلمي مهما كان مجال تخصصه يعرف على " أنه نشاط علمي منظم وطريقة في التفكير وأسلوب للنظر في الظواهر والكشف عن الحقائق معتمدا على مناهج موضوعية من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق ثم استخلاص المبادئ والقوانين التفسيرية"¹.

وانطلاقا من هذا التعريف نجد أن للبحث العلمي شروط يجب توفرها فيه حتى يثبت علميته من بين هذه الشروط معالجته لموضوع محدد وله هدف مسطر يسعى إلى تحقيقه والوصول إليه ويكون هذا البحث ضمن مجال تخصصي معين ويسير وفق منهجية محددة ومسطرة، هذا الشرط الأخير يعتبر من الركائز الأساسية التي يجب توفرها في البحوث العلمية بصفة عامة ومنها البحث الاجتماعي، فالإجراءات المنهجية في أي بحث هي التي تنظم عملية تناول الظاهرة المدروسة وتحدد أساليب وأدوات هذا التناول.

وبناء على ما سبق يمكن تحديد أهم الإجراءات المنهجية التي سرنا وفقها في هذا البحث كما يلي :

- 1- استخدام المنهج الوصفي في البحث لأنه الأنسب لموضوع دراستنا.
- 2- استخدام أدوات الملاحظة واستمارة المقابلة في جمع البيانات الميدانية بالإضافة إلى المعلومات المستقاة من الوثائق والسجلات.
- 3- الاعتماد في تحديد مجتمع البحث على أسلوب العينة العشوائية البسيطة والاعتماد على الأسرة كوحدة للدراسة ممثلة من قبل الزوج أو الزوجة.

¹- خالد حامد. المرجع السابق، ص.78.

الفصل الخامس

تحليل وتفسير بيانات الدراسة

- تمهيد.

أولاً: تحليل وتفسير البيانات الميدانية

ثانياً: النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

- خلاصة عامة للدراسة

تمهيد:

تعد الجدولة الإحصائية إحدى التقنيات المنهجية التي يستخدمها الباحث، للتعبير عن البيانات الكمية والكيفية المستقاة من إجابات المبحوثين وترجمتها على شكل أعداد ونسب تسهل عملية تحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية بحيث تصبح الأرقام والنسب لها دلالات ومعاني توصل الباحث إلى بناء استنتاجات مهمة، تساهم في الإجابة عن التساؤلات التي طرحها في إشكالية بحثه أو يقارنها مع الفروض و الدراسات المشابهة التي وضعها عندما يصل إلى النتائج النهائية للدراسة ككل.

أولاً: تحليل وتفسير البيانات الميدانية

أ- البيانات المتعلقة بالحالة الشخصية للمبحوثين:

- جدول رقم 8- يوضح العلاقة بين جنس المبحوثين ووضعهم التعليمي

المجموع		إناث		ذكور		الجنس
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	الوضع التعليمي
26.7	16	16.7	10	10	6	أمي
13.3	8	5	3	8.3	5	يقرأ ويكتب
18.3	11	6.7	4	11.7	7	ابتدائي
25	15	5	3	20	12	متوسط
11.7	7	3.3	2	8.3	5	ثانوي
5	3	3.3	2	1.7	1	جامعي
100	60	40	24	60	36	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه أن أغلبية المبحوثين هم من فئة المتعلمين حتى وإن كانت مستوياتهم التعليمية ليست بالمرتفعة حيث تتركز أساساً في المستوى الابتدائي والمتوسط، والسبب في ذلك يعود أساساً إلى تفضيل هؤلاء المبحوثين وخاصة الذكور منهم للعمل عن مواصلة الدراسة، إلى جانب بعد أماكن التعليم عن الريف الذي يسكنون فيه آنذاك.

أما عن نسبة الأمية لدى الجنسين فهي تقدر بـ **26.7%** وهي مرتفعة لدى الإناث أكثر من الذكور والسبب في ذلك كما صرحت به بعض المبحوثات هو عدم وعي وإدراك الريفيين لضرورة تعليم الفتاة، فحرموهن من حق التعليم وفضلوا تزويجهن عن تعليمهن، خاصة وأن مراكز التعليم في زمانهم كانت بعيدة وتتركز في المدن، فلم يسمحوا لهن بمزاولة دراستهن بعيداً عن أنظارهم خوفاً من الفضيحة والعار الذي قد يلحق بهم.

بينما في المقابل نجد أن بعض المبحوثات استطعن إكمال دراستهن والتحقن بالثانويات والجامعات حتى وإن كانت نسبتهن منخفضة وتشكل **6.6%** فقط من مجموع العينة ككل كمؤشر عن بداية إدراك الريفيين لضرورة تعليم المرأة وهذا سيتجلى أكثر عندما نستعرض الجدول رقم **43** الخاص بمدى إرسال الريفيين لأبنائهم للتعليم دون تفرقة.

- جدول رقم 9- يوضح فئات السن للمبحوثين

النسبة %	التكرار	فئات السن
5	3	من 23 سنة إلى 29 سنة
10	6	من 30 سنة إلى 36 سنة
16.7	10	من 37 سنة إلى 43 سنة
16.7	10	من 44 سنة إلى 50 سنة
20	12	من 51 سنة إلى 57 سنة
20	12	من 58 سنة إلى 64 سنة
10	6	من 65 سنة إلى 71 سنة
1.6	1	من 72 سنة إلى 78 سنة
100	60	المجموع

اتضح لنا من خلال النسب الواردة في هذا الجدول توزع أعمار المبحوثين في ثلاث فئات عمرية رئيسية:

- الأولى هي فئة 51 سنة إلى 57 سنة وفئة 58 سنة إلى 64 سنة بحيث في المجموع نجد مانسبته 40% من المبحوثين أعمارهم تنتمي إلى هاتين الفئتين.

- الثانية هي فئة 37 سنة إلى 43 سنة مع فئة 44 إلى 50 سنة، بحيث تشكلان في المجموع ما نسبته 33.4% من المبحوثين الذين تنتمي أعمارهم إلى هاتين الفئتين.

- الثالثة هي من 23 إلى 36 سنة حيث تشكل ما نسبته 15% من المبحوثين والتي تمثل الفئة الشبابية ممن تزوجوا وأسسوا أسرا جديدة.

وعموما أفراد عينتنا اتسمت أعمارهم بالكبر نوعا ما وهذا جاء نتيجة توجهننا إلى أرباب الأسرة كمثلين للعائلة الريفية.

هذا، ويعتبر العمر متغيرا هاما جدا في الدراسات الاجتماعية بصفة عامة وفي هذه الدراسة بصفة خاصة لأن آراء كبار السن وطرق التفكير والسلوك لديهم تختلف عن آراء تفكير فئة الشباب، كما أنه يقال إذا طغى في المجتمع نسبة الشيوخ على الشباب، يكون محافظا، قليل التغير والعكس صحيح مع أن صفة المحافظة أو التجديد تتوزعان على جميع الفئات العمرية، ولا يمكن أن نخص بهما فئة معينة دون الأخرى.

- الجدول رقم 10- يوضح الحالة العائلية للمبحوثين

النسبة%	التكرار	الحالة العائلية
95	57	متزوج (ة)
1.7	1	مطلق (ة)
3.3	2	أرمل(ة)
100	60	المجموع

يتضح من خلال هذا الجدول أن أغلبية المبحوثين هم من فئة المتزوجين وذلك بنسبة 95% بينما وجدنا مطلقا واحدا وأرملتين، والملاحظ هنا انه لم ندرج فئة العزاب لأن دراستنا تستهدف أرباب الأسر ولذلك استثنينا هذه الفئة من البحث.

كما نجد أيضا أن نسبة الطلاق هنا في هذا المجتمع المدروس منخفضة جدا، وهو ما يعكس التماسك والترابط الأسري الذي يميز الريف عن باقي المجتمعات الأخرى الحضرية التي تزيد فيها نسب الطلاق والتفكك الأسري وذلك لأنهم يعتبرون الزواج رابطة مقدسة بين الرجل والمرأة ويجب المحافظة عليها للحفاظ على الاستقرار العائلي.

- الجدول رقم -11- يبين عدد أفراد العائلة الريفية

عدد الأفراد	التكرار	النسبة %
فردان	7	11.7
من 3 إلى 5 أفراد	11	18.3
من 6 إلى 8 أفراد	16	26.7
من 9 إلى 11 فردا	23	38.3
من 12 إلى 14 فردا	3	5
المجموع	60	100

تشير الأرقام والنسب المحتواة في الجدول أعلاه إلى حقيقة مفادها أن حجم العائلة في الريف المدروس (الشعرة) يمتاز بالكبر النسبي والدليل على ذلك هو **38.3%** عائلات عدد أفرادها يتراوح ما بين 9 إلى 11 فردا وبدرجة أقل تشكل العائلات التي يتراوح عدد أفرادها ما بين 6 إلى 8 أفراد نسبة **26.7%**.

وهذا ما يؤدي بنا إلى القول بأن ميزة كثرة الإنجاب مازالت تطبع عددا معتبرا من العائلات المدروسة وهي الميزة التي كانت متواجدة قديما لدى أغلب العائلات الجزائرية، لكن بحجم أكبر، والذي حدده بوتفوشيت من 20 إلى 60 فردا في العائلة الواحدة.

وهي أرقام حقيقة يبدو أنها مبالغ فيها نوعا ما، حتى وإن كانت العائلات آنذاك تركز على وظيفة الإنجاب للمحافظة على قوتها وهيبتها ودعمتها الاقتصادية (استغلال الأبناء كأيدي عاملة في الزراعة).

لكن في المقابل نجد أن نسبة أخرى لا بأس بها من العائلات الريفية تقدر بـ **30%** من المجموع الكلي للعائلات يتراوح عدد أفرادها من 2 إلى 5 أفراد وهو ما يعكس اتجاه الريفيين إلى تنظيم نسلهم للتحكم أكثر في رعاية أبنائهم وتربيتهم في ظروف مناسبة وملئمة بالإضافة إلى اعتبارات أخرى صحية تتعلق أساسا بصحة الأم والابن معا.

- جدول رقم 12- يبين العلاقة بين جنس المبحوثين ونشاطاتهم المهنية

المجموع		إناث		ذكور		الجنس
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النشاط المهني
5	3	0	0	5	3	العاملون بقطاع الزراعة
6.7	4	0	0	6.7	4	العاملون بقطاع الصناعة
28.3	17	5	3	23.3	14	العاملون بقطاع الخدمات
5	3	0	0	5	3	العاملون بقطاع التجارة
3.3	2	0	0	3.3	2	العاملون بقطاع البناء والأشغال العمومية
13.4	8	0	0	13.4	8	المتقاعدون
38.3	23	35	21	3.3	2	العاطلون عن العمل
100	60	40	24	60	36	المجموع

الملاحظة المسجلة من أرقام ومعطيات هذا الجدول هي أن الزراعة لم تعد النشاط الرئيسي والمصدر الوحيد لدخل الريفيين والدليل على ذلك هو توزيع المبحوثين على عدة قطاعات نشاط مختلفة وبنسب متفاوتة، لكن بشكل بارز في قطاع الخدمات الذي يحتل المرتبة الأولى في تشغيل الريفيين ثم يليه بعد ذلك قطاع الصناعة ثم التجارة والزراعة فالبناء والأشغال العمومية.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن بعض المبحوثين يملكون أراضي زراعية يزرعونها موسميا خاصة بما يتعلق بزراعة الحبوب (القمح والشعير بالخصوص) أو بعض الزراعات الموجهة للاستهلاك العائلي كالخضر و الفواكه (أشجار الزيتون وأشجار المشمش) لكن هذا العمل الزراعي لم يعد يعتمد عليه كأساس لقيام الحياة لديهم كما كان في السابق لأنه لم يعد يلبي حاجياتهم المتعددة فاتجهوا نحو الأعمال الأخرى الأكثر مردودا والأوفر ربحا.

أما الريفيون العاطلون عن العمل فنجد أن نسبتهم لدى النساء أعلى من الرجال وهذا نتيجة اتجاه المرأة الريفية قديما للمكوث في البيت وعدم الخروج للعمل أو حتى للتعلم بسبب الذهنيات الريفية التي كانت لا تؤيد هذا الأمر.

- الجدول رقم 13- يوضح مستوى دخل العائلة الريفية

النسبة%	التكرار	مستوى الدخل
16.7	10	منخفض
73.3	44	متوسط
10	6	مرتفع
100	60	المجموع

تشير البيانات المتواجدة في الجدول أعلاه إلى أن أغلب العائلات الريفية الممثلة من قبل المبحوثين ذات مستوى دخل متوسط وهو ما يتماشى مع مستوى دخل الأسر الجزائرية عموما وذلك بسبب عدم تنوع مصادر الدخل لدى العائلات الريفية والتي تتمحور غالبا في أجرة رب العائلة شهريا.

أما فيما يخص باقي العائلات، نجد ما نسبته 10% ذات دخل مرتفع نتيجة تنوع مصادر الدخل لديهم كامتلاك مجموعة من المحلات أو نتيجة تواجد بعض أرباب الأسر وعملهم سابقا في الدول الأوروبية مما أكسبهم دخلا بالعملة الصعبة.

- الجدول رقم -14- يبين اللهجة المستخدمة في الوسط العائلي

النسبة%	التكرار	اللهجة
78.3	47	الشاوية
16.5	10	العربية الدارجة
5	3	مزيج بين الشاوية والعربية
100	60	المجموع

تعتبر اللغة من العناصر الثقافية الأساسية لأنها ضرورية لنقل المعرفة والمهارات من جيل لآخر وتعتبر وسيلة تعبير واتصال اجتماعي وشرطا ضروريا لقيام المجتمعات والثقافات، كما أنها تعتبر عنصرا مميزا تتباين على أساسه المجتمعات، وقد نجد داخل المجتمع الواحد العديد من اللهجات كما هو الحال في الجزائر حيث نجد الشاوية والقبائلية والتارقية وغيرها.

أما بالنسبة للمبوحثين الذين قمنا باستجوابهم فقد أبان معظمهم عن استخدام اللهجة الشاوية في التواصل مع بعضهم البعض داخل الوسط العائلي وحتى خارجه.

أما باقي المبوحثين والممثلين بنسبة 21.7% فيستخدمون إما العربية الدارجة أو المزيج بين الشاوية والعربية وهذا نتيجة للزواج من خارج دائرة النسق القرابي.

- الجدول رقم 15- يبين ملكية المبحوثين للأرض الزراعية

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
75	45	تملك
25	15	لا تملك
100	60	المجموع

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن معظم المبحوثين يملكون أراضي زراعية بعضها شاسع المساحة يخصص لزراعة الحبوب كالقمح والشعير أو عبارة عن بساتين من أشجار المشمش والزيتون بالخصوص، وبعضها صغير المساحة يستغل في بعض الزراعات البسيطة الموجهة أساسا للاستهلاك العائلي كالخضروات.

والملاحظ عن هذه الأراضي أنها كلها غير مسقية تعتمد بالدرجة الأولى على تساقط الأمطار، أما المزروعات الأخرى كالخضر والفواكه فتسقى من المياه المخصصة للشرب لدى المبحوثين.

هذا ويعد الإنتاج الزراعي لدى المبحوثين مصدر دخل تكميلي أي ثانوي لا يعتمد عليه كلية في حياتهم كما كان في السابق لأسباب عدة سوف نأتي على ذكرها في الجداول المقبلة كشقاوة العمل الزراعي، وضعف مردوده، بالإضافة إلى العوامل المناخية التي تقف عائقا أمام الفلاحين، خاصة عامل الجفاف.

- الجدول رقم -16- يبين نوع الإقامة بالريف للمبحوثين

النسبة%	التكرار	نوع الإقامة
90	54	دائمة
10	6	مؤقتة
100	60	المجموع

90% من المبحوثين هم من المقيمين الدائمين بالريف، الذين يتميزون بالاستقرار، ونقصد هنا بالإقامة الدائمة هو عدم تغيير مقر السكن بمعنى الهجرة النهائية، أما الحركة اليومية لسكان الريف والتي تعني الانتقال من الريف وإليه والتنقل إلى مواقع أخرى كالعمل والدراسة والتسوق، يصنف ضمن إطار النشاط اليومي والمعتاد للسكان.

في حين نجد أن 10% من المبحوثين هم من المقيمين المؤقتين بالريف ويتعلق الأمر بأولئك المهاجرين إلى فرنسا وتصنف هجرتهم ضمن الحركة الفصلية المؤقتة، بحيث يستقرون مدة زمنية معينة بالريف ثم يقضون مدة أخرى خارج الريف (فرنسا بالنسبة لجميع المبحوثين الذين صادفناهم) لأهداف عملية أو تعليمية وتحقيق حاجات خدمية أخرى، فتكون الإقامة في الريف وخارجه تتسم بالتناوب عندهم.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الحركة المكانية لها أبعاد اجتماعية عدة تتمحور خاصة في إقامة السكان لعلاقات مختلفة مع السكان الآخرين في مراكز عمرانية، خاصة تلك الواقعة خارج المحيط الريفي، ومن نتائج هذه الحركة اليومية أو الفصلية، التمهيد للهجرة النهائية.

ب- البيانات المتعلقة بالجانب الصحي لسكان الريف

الجدول رقم -17- يوضح المكان الذي تلد فيه المرأة الريفية عادة

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
3.3	2	في البيت
96.7	58	في المستشفى
100	60	المجموع

يتضح لنا من هذا الجدول أن أغلبية النساء في الريف يتجهن للولادة في المستشفى حالياً بعدما كان سكان الريف في القديم يفضلون ولادة المرأة في منزلها عن ذهابها للمستشفى خوفاً من كشف عورات المرأة من قبل الأطباء فيحضرون لهن قابلة من حيهم، هي في الغالب تكون غير متعلمة وقد تستخدم أدوات غير معقمة.

وهو ما ساهم في زيادة نسبة وفيات الرضع في القديم وتدهور صحة الأمهات ووفاة البعض منهن، إضافة إلى بعد المستشفيات ونقص عيادات التوليد آنذاك وقلة وسائل المواصلات، وهي عوامل كلها ساهمت في تفضيل الولادة في البيت عن المستشفى.

لكن ما نشهده حالياً هو العكس تماماً، حيث يتجه السكان الريفيون إلى أخذ نسائهم إلى المستشفى أين تتوفر الرعاية الصحية للأم وطفلها وهو ما أكدته النسب المتواجدة في الجدول أعلاه وهذا نتيجة زيادة الوعي والثقافة الصحية لدى السكان.

أما عن نسبة 3.3% من المبحوثين الذين قالوا بأن المرأة لديهم عادة ما تلد في المنزل فبرروا ذلك ببعد المستشفى عنهم وهو التبرير الذي يبدو لي غير كافي مع توفر الكم الهائل من المواصلات حالياً وزيادة مد الطرق بين الأرياف والمدن، الشيء الذي ساهم وبشكل كبير في فك العزلة عن الريف.

الجدول رقم -18- يبين زيارة الريفيين لأضرحة الأولياء الصالحين للاستشفاء

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
3.3	2	نعم
96.7	58	لا
100	60	المجموع

يتبين من خلال هذا الجدول أن الريفيين الذين استجوبناهم لا يقومون بزيارة أضرحة الأولياء للاستشفاء كما هو الحال في بعض الأرياف الجزائرية الأخرى أين تقدم النذور طلبا للشفاء وتقام الولائم على شرف الأولياء الصالحين لأن هذه الأضرحة عددها قليل في منطقتهم والمناطق الأخرى المجاورة، كما أنهم لا يكلفون أنفسهم عناء السفر إلى المناطق التي تكثر فيها هذه المزارات لأنه وكما جاء على لسانهم، الشفاء يطلب من الله وحده فقط ، ولا يعتقدون بهذا الأمر.

أما المبحوثان اللذان يزوران هذه الأضرحة وهم من فئة النساء فقد اعتبرتا هذه الزيارة تدخل ضمن العادات الاجتماعية المتبعة في المنطقة التي تتحدران منها (الغرب الجزائري)

الجدول -19- يوضح اتجاه الريفيين في حالة المرض

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
75	45	الذهاب إلى الطبيب
8.3	5	الذهاب إلى الراقي
16.7	10	استخدام الطب الشعبي
100	60	المجموع

تشير البيانات الواردة في الجدول أعلاه إلى أن الريفيين في حالة مرضهم يتوجهون أولاً لزيارة الطبيب لتشخيص مرضهم وعلاجه وجاء ذلك على لسان 75% من المبحوثين.

بينما صرح 16.7% منهم باستخدام الطب الشعبي، و8.3% صرحوا أنهم يفضلون الذهاب إلى الراقي عن الذهاب إلى الطبيب أو استخدام الطب الشعبي، وترتبط هذه التوجهات نحو العلاج التقليدي أو الحديث بالتفسير المسبق لنوعية المرض لدى المبحوثين والمرتبطة بثقافتهم أيضاً.

فكلما كان التفسير واقعياً كان الاتجاه إلى العلاج الحديث وكلما كان غيبياً كان الاتجاه إلى العلاج التقليدي، وهو التفسير الوحيد الذي يمكن أن نبرر به النسب الواردة في الجدول حالياً، لأنه قديماً انتشر العلاج التقليدي بشكل واسع بين أوساط الريفيين وذلك لعدم وجود بديل علاجي آنذاك إلى جانب انتشار الأمية والتي ساهمت بشكل فعال في إرساء قواعد التخلف الثقافي الصحي لديهم.

الجدول رقم -20- يبين استخدام الطرق الشعبية في التداوي لدى المبحوثين.

استخدام الطرق الشعبية في التداوي			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	الاحتمالات			
21.7	13	لأننا تناقلناها عن أجدادنا	55	33	نعم
33.3	20	لأنها أثبتت نجاعتها في بعض الحالات المرضية لمن قام بتجربتها			
55	33	المجموع	45	27	لا
			100	60	المجموع

إن الطب الشعبي يوجد في البيئات الريفية بنسب متفاوتة حيث يتم اللجوء إليه للعديد من الأسباب، فقد يكون ملاذا لبعض الأمراض المستعصية أو كملجأ ابتدائي للتخفيف من حدة المرض حتى يتم التصرف النهائي فيه.

أما المبحوثين الذين استجوبناهم فقد كانت تفسيراتهم لاستخدام الطرق الشعبية في التداوي هو توارثها عن أجدادهم بنسبة 21.7%، بينما صرح 33.3% منهم على أنها أثبتت نجاعتها في بعض الحالات المرضية لمن قام بتجربتها.

ومن أهم الأمراض التي تعالج بهذه الطرق والتي أخبرنا بها المبحوثون ما يلي:

جدول رقم -21- يبين أهم الأمراض التي تعالج بالطرق الشعبية في ريف الشعرة

الطريقة الشعبية لعلاج	الاسم الشعبي للمرض
بالأعشاب (نبته الحرمل + الملفوف) + الكي بالنار	الروماتيزم
بالحجامة أو الكي بالنار	الخلعة (مرض نفسي)
بالكي	عرق النسا
بالأعشاب	الشقيقة (صداع نصفي)
بالأعشاب (قشور الرمان + العرعار)	أمراض المعدة
بالأعشاب (أوراق شجرة الزيتون)	التهاب الحلق
خلطة من الحليب والثوم + حساء الدجاج البري	الزكام

أما باقي المبحوثين والممثلين بنسبة **45%** فهم لا يستخدمون هذه الطرق الشعبية لعدم معرفتهم بها وتفضيلهم للطب الحديث عن الطب التقليدي لما قد يسببه هذا الأخير من مضاعفات خطيرة على المريض قد تزيد من شدة مرضه بدل شفائه.

الجدول رقم -22- يوضح كيفية تعامل الريفيين مع حالة الأمراض العصبية

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
68.4	41	استشارة طبيب مختص
18.3	11	عرضه على الراقي
13.3	8	إجراءات أخرى
100	60	المجموع

تؤكد المعلومات الواردة في الجدول أعلاه ما تمت الإشارة إليه في الجدول رقم 19 أي فيما يخص اتجاه الريفيين إلى استشارة الأطباء في حالات المرض التي تعترضهم أكثر من الاتجاه إلى الرقاة واستخدام بعض الأساليب الطقوسية في العلاج، حتى فيما يخص بعض الأمراض العصبية فإن سكان الريف المدروس يفضلون عرض مرضاهم على أطباء مختصين عن عرضهم على الرقاة لأن أغلبهم غير شرعيين وهدفهم الوحيد هو الربح المادي

من جانب آخر نجد أن 13.3% من المبحوثين، ذكروا لنا إجراءات أخرى يتعاملون بها مع المرضى العصبيين، تتلخص هذه الإجراءات في بعض الممارسات الطقوسية أهمها «الزردات» وهي كما أشرنا إليه سابقا في الفصل الثالث عبارة عن حفلات تستخدم فيها الطبول والمزامير وتدبح فيها الأغنام أو الدجاج لغرض استحضار الجن وإسعاده للتخفيف عن المريض.

وهذا نتيجة تفسيرهم المسبق للمرض على أن السبب الرئيسي له هو وجود جن يقبع في جسد المريض وهو الذي سبب له هذه الحالة المرضية وهذا طبعا يدل على التخلف لدى بعض السكان الريفيين والذي يتمثل أساسا في عدم الأخذ بالأسباب العلمية والواقعية في تفسير المرض والاتجاه مباشرة نحو التفسيرات الغيبية وبالذات الطقوسية منها.

الجدول رقم 23- يبين أهم الشروط الصحية التي تنقص منازل الريفيين

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
0	0	المياه الصالحة للشرب
8.3	5	قنوات صرف المياه
0	0	منافذ للتهوية
15	9	بعد السكن عن حظائر الحيوانات
0	0	كلها غير متوفرة
76.7	46	كلها متوفرة
100	60	المجموع

يتضح من خلال هذا الجدول أن منازل **76.7%** من المبحوثين تتوفر على الشروط الصحية الضرورية للحياة، وهو الأمر الذي أصبح سكان الريف يولون له أهمية كبيرة ويسعون إلى توفير ما أمكن منها وذلك لزيادة وعيهم بضرورة العيش في وسط صحي نظيف وآمن وهو ما يعني أن الإنسان الريفي حالياً أصبح يشعر بالقلق نحو صحته وصحة من يعيشون معه، فيما كان في السابق لا يولي أهمية كبيرة لهذا الأمر، وكان همه الوحيد هو توفير الغذاء ومأوى لأفراد عائلته دون الاكتراث بتوفير الشروط الموجودة في الجدول أعلاه.

هذا من جانب، من جانب آخر يجب أن لا ننسى دور الدولة الجزائرية وجهودها الكبيرة التي تبذلها لتوفير معظم هذه الشروط في منازل الريفيين، كمد قنوات صرف المياه والغاز الطبيعي وإيصال المياه الصالحة للشرب إليهم، وفقاً لبرامجها الإنمائية المخصصة للمناطق الريفية.

ونلاحظ دائماً من خلال الجدول رقم **23** أن هناك **23.3%** من العائلات الريفية المدروسة تشكو من نقص بعض الشروط خاصة فيما يتعلق ببعد السكن عن حظائر المواشي، فقد شاهدنا ونحن نتنقل من مسكن لآخر في هذا الريف، قرب بعض الحظائر من منازل بعض السكان واتصالها بالمساكن في البعض الآخر وهو ما تسبب حسب رأي المبحوثين في انتشار بعض الروائح الكريهة وبعض الأمراض الجلدية لديهم، خاصة تلك التي تنتقل عبر الحشرات والديدان.

ولما سألناهم عن سبب قرب هذه الحظائر من منازلهم، كانت إجاباتهم متباينة فمنهم من أرجع ذلك إلى الخوف على مواشيه من السرقة في حالة بعدها عن مسكنه، ومنهم من برر ذلك

بضيق المساحة التي يقع فيها منزله، وبذلك لم يجد أين يبني حظيرته سوى قرب المنزل لكي لا يتعدى على ملكيات الأسر المجاورة له ومنهم من صرح بأنه لا يملك أصلاً مواشي أو حيوانات أخرى والحظائر التي هي قرب منزله تعود إلى جاره الذي لم يحترم قواعد وحقوق الجيرة.

أما الذين اشتكوا من نقص قنوات صرف المياه فالسبب في ذلك اقتصادي بالدرجة الأولى، لأن مشروع قنوات صرف المياه شمل كل المنطقة لكن انخفاض ونقص إمكانياتهم المالية هي التي أدت بهم إلى عدم الاستفادة من هذه الخدمة.

ج- البيانات المتعلقة بالنشاط الاتصالي لسكان الريف

الجدول رقم -24- يبين التواصل الاجتماعي بين سكان الريف وأقاربهم وأصدقائهم الساكنين في المدن

تبادل الزيارات بين سكان الأرياف وأقربائهم وأصدقائهم في المدن			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	الاحتمالات			
80	48	نعم نزورهم ويبادلوننا الزيارة	95	57	نعم
6.7	4	لا نزورهم ولا يبادلوننا الزيارة			
3.3	2	نزورهم ولا يبادلوننا الزيارة			
5	3	لا نزورهم ولكنهم يزوروننا			
95	57	المجموع	5	3	لا
			100	60	المجموع

نقرأ من خلال هذه النسب المسجلة أن أهل الريف خرجوا من العزلة المكانية التي كانوا يعيشون فيها سابقا من خلال ترددهم على أقربائهم وأصدقائهم الذين يسكنون في المدينة ومبادلتهم للزيارة وذلك بنسبة 80%.

هذا التنقل الدائم للإنسان الريفي إلى عالم الحواضر سوف يخلق نوعا من التواصل بينهم، ويمهد لسياسة الانفتاح على ثقافة الحضر، وبالتالي تكوين أنماط جديدة من التفكير والسلوك تتجلى أساسا في تغيير الريفيين لتصوراتهم وبعض المفاهيم لديهم حول الموضوعات المختلفة وتشابه آراء وأذواق الريفيين مع آراء وأذواق الحضريين وهو ما يعكس تطورا على مستوى كافة الأنساق ومنها النسق الثقافي الخاص بسكان الريف.

هذا ونسجل نسبة 11.7% ممن ليس لديهم أقارب وأصدقاء يسكنون في المدن بالإضافة إلى الذين لديهم أقارب وأصدقاء في المدن لكن لا يقومون بزيارتهم ويرجع ذلك في الأساس لخلافات مع بعضهم البعض، أثرت نوعا ما في العلاقات بينهم.

الجدول رقم -25- يوضح طرق اتصال الريفيين بأصدقائهم عادة

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
30	18	الالتقاء بهم وجها لوجه
70	42	الاتصال بهم عبر الهاتف
100	60	المجموع

النسب الواردة في الجدول أعلاه تفصح عن حقيقة مفادها أن طرق الاتصال لدى الريفيين قد تغيرت عما كانت عليه من قبل، أين كانت تنتم بالأولية والبساطة، حيث كان الريفيون يلتقون وجها لوجه ويجتمعون مع بعضهم البعض في لقاءات واجتماعات تتم بينهم.

لكن الآن أصبحت تتم بطريقة غير مباشرة عبر الهاتف، هذه الأداة التي سهلت كثيرا عملية الاتصال لدى سكان الريف، بحيث أصبح بالإمكان التحدث والاتصال عن بعد في أي وقت وفي أي مكان ممكنين.

ورغم إيجابيات هذه الأداة الاتصالية، إلا أنها عملت في الجانب الآخر على التقليل من ظاهرة اللقاءات بين السكان وقللت بذلك من الجانب الشعوري والعاطفي بينهم والذي كان يميز نمط الاتصال التقليدي في الأرياف.

هذا وقد سجلنا نسبة 30% من المبحوثين الذين ما زالوا يتصلون بأصدقائهم وجها لوجه ويتعلق الأمر خاصة ببعض النساء الماكثات في البيت واللواتي لا يملكن هاتفا نقالا، أو هاتفا في المنزل.

الجدول رقم 26- يوضح الأسباب الرئيسية لخروج السكان من الريف الذي يسكنون فيه ووتيرة

أسباب الخروج

المجموع	للزيارات		لقضاء احتياجات خاصة (علاج، تسوق، استخراج وثائق...إلخ)		للعمل		وتيرة الخروج	
	النسبة%	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%	التكرار		
45	27	0	0	0	0	45	27	دائما
55	33	35	21	20	12	0	0	أحيانا
0	0	0	0	0	0	0	0	لا تغادره مطلقا
100	60	35	21	20	12	45	27	المجموع

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن سكان الريف المدروس يخرجون من الريف دائما بنسبة 45% وهذا للعمل، أما الذين يخرجون أحيانا والممثلين بنسبة 55% فقد انقسمت أسباب خروجهم إلى فئتين:

الفئة الأولى تخرج لقضاء احتياجات خاصة كالعلاج أو التسوق أو استخراج الوثائق وقدرت نسبتهم بـ 20%.

أما الفئة الثانية، فهي تخرج غالبا من الريف لغرض الزيارات ويتعلق الأمر أكثر بالنساء الماكثات في البيت.

بينما لم نسجل أي مبحوث لا يغادر الريف الذي يسكن فيه، ومن هنا نستنتج أن الريفيين قد اختلطوا بسكان في مناطق وبيئات مختلفة عن بيئتهم المحلية، وهذا يعني أنهم تعرفوا على أنماط التفكير وأساليب المعيشة لديهم وبالتالي الانفتاح أكثر على ثقافتهم.

الجدول رقم 27- يوضح امتلاك المبحوثين للهاتف النقال من عدمه

امتلاك الهاتف النقال			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
43.3	26	لضرورة التواصل مع الأهل والأصدقاء	70	42	نعم
20	12	لعلاقات العمل			
6.7	4	لمجرد التقليد			
70	42	المجموع	30	18	لا
			100	60	المجموع

الأرقام والنسب المحتواة في الجدول تؤكد ما تم الإشارة إليه في الجدول رقم 25، أي فيما يخص كيفية الاتصال بالأهل والأصدقاء والتي كانت 70% يتصلون بالهاتف وهو ما تؤكد هنا حيث نجد 70% من المبحوثين يملكون هاتفا نقالا منهم 43.3% دفعتهم ضرورة التواصل مع الأهل والأصدقاء لشرائه.

بينما نجد 20% منهم كانت علاقات العمل هي السبب الحقيقي الذي دفعهم لشرائه، في حين نجد أن 6.7% منهم اشتروه لمجرد التقليد .

أما 30% فهم لا يملكون هاتفا نقالا لأنهم يرون أنه ليس من الحاجيات الضرورية التي تنقصهم حاليا والبعض الآخر برر عدم امتلاكه للهاتف النقال بعدم معرفته بطريقة استعماله.

وهنا نخلص إلى نتيجة أساسية هي أن سكان الريف أصبحوا الآن يدركون ضرورة التواصل مع الآخرين وتبادل الآراء والمعلومات، وهو ما سيعمل على تقارب سكان الأرياف الأخرى والمدن ويضيق الهوة بينهم، ومن جانب آخر عمل الهاتف النقال على تغيير عادات الكلام فأصبحت تتم عن بعد وفي أي وقت ممكن فيما كان الكلام يتم وجها لوجه في السابق.

الجدول رقم -28- يوضح امتلاك أبناء المبحوثين للهواتف النقالة من عدمه

امتلاك الأبناء للهواتف النقالة			النسبة%	التكرار	الاحتمالات
النسبة%	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
15	9	كلهم	61.7	37	نعم
46.7	28	بعضهم			
61.7	37	المجموع			
النسبة%	التكرار	احتمالات حالة السلب	38.3	23	لا
10	6	لأنه ليس لدي أولاد			
13.3	8	لأن أولادي صغار في السن			
10	6	لأن الهاتف النقال مفسد للأخلاق			
5	3	لأنه مكلف من ناحية بطاقات التعبئة			
38.3	23	المجموع			

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن معظم أبناء المبحوثين والمقدرة نسبتهم بـ 61.7% يمتلكون هواتف نقالة منهم 15% يمتلك كل أبنائه الهواتف و 46.7% يمتلك بعض أبنائه فقط، وهو ما يؤكد أن أبناء الريف أصبحوا يعون بضرورة هذه الوسيلة الاتصالية في حياتهم ودورها في خلق التفاعل والتواصل بينهم وبين السكان الآخرين.

في حين نجد أن نسبة أخرى لا يستهان بها تقدر بـ 38.3% من المبحوثين أبناؤهم لا يمتلكون الهواتف النقالة وذلك لعدة أسباب منها من ليس لديه أبناء ومنهم من له أبناء صغار السن، ومنهم من رفض شراء هذه الوسيلة لأبنائه لأنهم يرون فيها أداة مفسدة للأخلاق خاصة عندما تخرج عن إطار استعمالها الحقيقية، ومنهم من يرى أن بطاقات التعبئة الخاصة بهذه الأداة مكلفة، وبالتالي إمكانياته المالية لا تسمح بتجديدها خاصة عند كثرة الأبناء وعدم اشتغالهم لاقتناء هذه البطاقات لوحدهم.

وهنا نخلص إلى نتيجة مؤداها أن الهاتف النقال وجد طريقه إلى الأرياف وأصبح لا يمكن الاستغناء عنه عند الكثير منهم بسبب انخفاض سعره نسبياً وتنوع استعمالته وتطور تكنولوجياته وأصبح يأخذ حيزاً كبيراً من وقت الريفيين، وهو ما ساهم في إعادة تشكيل طرق التواصل الاجتماعي لديهم.

الجدول رقم -29- يبين متابعة الريفيين للإعلام المكتوب والمشاهد والمسموع

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
30	18	مطالعة الجرائد ومشاهدة التلفزيون
26.7	16	مشاهدة التلفزيون فقط
0	0	سماع الراديو فقط
43.3	26	القيام بها كلها
0	0	لا تقوم بأية واحدة منها
100	60	المجموع

الملاحظة المسجلة من أرقام ونسب هذا الجدول هي أن أهل الريف المدروس معظمهم يتابعون مختلف فضاءات الإعلام، سواء المكتوب أو المشاهد أو المسموع، حتى الأميين منهم والممثلين بنسبة **26.7%** يشاهدون التلفزيون، بينما نجد **43.3%** يتابعون الإعلام بمختلف أنواعه، أما نسبة **30%** من المبحوثين فيقتصرون فقط على مطالعة الجرائد ومشاهدة التلفزيون في حين لم نسجل أي مبحوث لا يتابع هذه الفضاءات الإعلامية المختلفة.

وهو ما ساهم - كما سنرى في الجدول الموالي - في عمليات الإطلاع على مختلف الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، وساهم أيضا في نشر الوعي والثقافة لدى السكان الريفيين وساعد على دفع التحولات الثقافية نحو الأمام خاصة لدى فئة الشباب الريفي المتطلع إلى كل جديد والرافض لكل قديم، فأصبح يغير في ملبسه، وطريقة التزيين والنظافة والكلام أو اللهجة وأثاث المنزل وطرق الأكل وآداب التحية... وغيرها.

وهي كلها عناصر ثقافية هامة يحاول الإنسان الريفي اكتسابها ومحاولة التكيف معها كضرورة تقتضيها الحياة العصرية الحالية وكنتيجة طبيعية لانتشار وسائل الاتصال والإعلام في الأرياف.

الجدول رقم 30- يبين اطلاع سكان الريف على العالم الخارجي

أهم الأخبار المتداولة حاليا			النسبة %	التكرار	إطلاع المبحوثين على العالم الخارجي من عدمه
النسبة %	التكرار	الاحتمالات			
21.7	13	إضرابات الأساتذة في الجزائر	100	60	نعم
66.7	40	انتصارات الفريق الوطني في الرياضة			
11.6	7	الزلازل والبراكين الأخيرة في هايتي وإسنادا			
100	60	المجموع	0	0	لا
			100	60	المجموع

هذه المعلومات الواردة في الجدول أعلاه جاءت لتؤكد ما سبق الإشارة إليه في الجدول السابق رقم 29، فكننتيجة لتعرض الريفيين لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها، كان كل المبحوثين الذين استجوبناهم على اطلاع على ما يجري في العالم الخارج عن إطار الريف، سواء على المستوى الوطني أو العالمي.

وللتأكد من صدق إجاباتهم، طلبنا منهم إخبارنا ببعض الأحداث البارزة وقت إجراء الدراسة الميدانية فكانت إجاباتهم كالتالي:

أولا: على المستوى الوطني

21.7% من المبحوثين حدثونا عن إضرابات الأساتذة في الجزائر والذي دام قرابة الثلاث أسابيع، وخلق نوعا من الاضطراب والقلق لدى التلاميذ وأولياءهم، وهو بالفعل قد تصدر كل صفحات الجرائد آنذاك ومختلف وسائل الإعلام الأخرى، وحل في الأخير بقرار من العدالة أمر فيه الأساتذة بالعودة للمدارس.

66.7% من المبحوثين حدثونا عن انتصارات الفريق الوطني لكرة القدم وهو الحدث الأبرز لهذه السنة كما نعلم جميعا والذي أخبرنا به معظم المبحوثين.

ثانياً: على المستوى العالمي

11.6% من المبحوثين حدثونا عن بعض الأحداث العالمية البارزة في ذلك الوقت أهمها زلزال هايتي الذي خلف قرابة 100 ألف قتيل، وبركان إسلندا الذي عطل حركة الملاحة الجوية من وإلى أوروبا.

وبهذا نجد أن سكان الريف المدروس هم فعلاً على دراية بما يجري في العالم الخارجي، والدليل على ذلك ما أفادونا به من أخبار وطنية ودولية ولم يعد الإنسان الريفي منغلقاً على نفسه، بل أصبح أكثر انفتاحاً وإطلاعاً على المجتمعات الأخرى وثقافتها والأحداث الجارية فيها.

الجدول رقم -31- يبين أهم مقومات الحياة الحديثة التي يتطلع إليها المبحوثون

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
43.3	26	المرافق العمومية
16.7	10	مناصب عمل للأبناء
23.3	14	السكن
16.7	10	السيارة
100	60	المجموع

نقرأ من خلال النسب الموجودة في هذا الجدول أن سكان الريف المدروس قد تغيرت تطلعاتهم فيما يخص مقومات الحياة العصرية، فبينما كانت في السابق تقتصر على المأكل والملبس والمأوى، أصبحت الآن تتعدى ذلك إلى المطالبة بتوفير الاحتياجات العامة للمجتمع المحلي.

وهو ما تؤكد نسبة 43.3% من المبحوثين الذين انحصرت تطلعاتهم في المرافق العمومية التي طالبوا بالمساواة فيها بينهم وبين السكان الحضريين خاصة فيما يتعلق بتوفير محلات تجارية للمواد الغذائية، لأنها بعيدة جدا عن المنطقة التي يسكنون فيها ويضطرون لقطع مسافات طويلة لاقتناء حاجياتهم.

بالإضافة إلى المطالبة بإنشاء ثانوية في ريفهم أو على الأقل تكون قريبة منه، إلى جانب التطلع إلى توفير مسجد وأسواق أسبوعية، أما فيما يخص النساء فقد لمسنا إلحاحا من قبلهن على ضرورة توفير حمام نسائي في المنطقة فهن غالبا ما ينتقلن إلى المدينة المجاورة لهن للاستحمام خاصة في فصل الشتاء.

كما سجلنا أيضا نسبة 56.7% من المبحوثين الذين كانت تتمحور تطلعاتهم حول الحاجيات المادية الشخصية والعائلية كتوفير مناصب العمل للأبناء والسكن اللائق والسيارات، حيث يُصنّف البعض من هذه الحاجيات في خانة الضروريات كالسكن ومناصب العمل للأبناء، والبعض الآخر يصنف في خانة الكماليات كالنطلع إلى امتلاك سيارة.

ومن هنا نستنتج أن الإنسان الريفي الذي تحدث عنه ابن خلدون في عرضه لخصائص سكان الريف مقابل خصائص سكان الحضر، وقال بأنه يتميز بالقناعة والاكتفاء بما هو ضروري وصرف النظر عن كل ما هو كمال، هو غير موجود حاليا لأنه أصبح الآن يتطلع ويطالب بما هو

كـمـالـي وـلا يـكـتـفـي بـمـا هـو ضـرـورـي فـقـط وـهـذا نـتـيـجـة اتـصـالـه بـعـالـم الحـضـر وـمـحـاولـة مـواكـبـتـه لـلـحـيـاة
العـصـريـة هـنـاك وـهـو الـذي كـان فـي القـديـم يـعـيـش لـأـجـل الـيـوم نـفـسـه وـنـادرـا مـا يـتـطـلـع إلـى الأـفـق البـعـيد.

د- البيانات المتعلقة بالقيم العائلية لدى سكان الريف

الجدول رقم -32- يوضح تحديد سكان الريف لسن معين لزواج أبنائهم (قيم الزواج المبكر)

تحديد سن معين لزواج الأبناء			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	الاحتمالات			
0	0	نطبقه على الإناث فقط	5	3	نعم
5	3	نطبقه على الذكور فقط			
0	0	كلاهما معا			
5	3	المجموع	95	57	لا
			100	60	المجموع

كانت العائلة الريفية قديما ولحد كبير تفضل الزواج المبكر خاصة للفتاة التي يحدد سن زواجها غالبا ما بين الثالثة عشر والرابعة عشر سنة وذلك لسترها، لأنها تمثل شرف وعرض العائلة ولذلك يجب حمايتها بالزواج بمجرد وصولها سن البلوغ.

أما فيما يخص الذكور فيفضل تزويجهم مبكرا لرغبة الوالدين برؤية الأحفاد الذين سيضمنون بقاء اسم العائلة، هذا من جانب، ومن جانب آخر، الرغبة في إنجاب أكبر عدد من الأولاد لاستغلالهم في العمل الزراعي آنذاك.

لكن ما يلاحظ حاليا هو تغير هذه القيم لدى سكان الريف المدروس والدليل على ذلك هو 95% من المبحوثين لا يحددون سنا معينة لزواج أبنائهم حيث أصبحت الفتاة لا ترغم على الزواج في سن مبكرة، إلا في بعض الحالات الاستثنائية، أين تفضل الفتاة بنفسها الزواج في سن مبكرة خاصة إذا أخفقت في دراستها.

وهو نفس الشيء بالنسبة للذكور الذين أصبحوا يهتمون أولا بتحسين أنفسهم ماديا من خلال البحث عن مناصب العمل ثم الزواج بعد ذلك، وهو ما خلق نوعا من التأخير في سن الزواج سواء بالنسبة للذكور أو للإناث.

وإذا ما عدنا إلى أسباب ابتعاد الريفيين عن تزويج أبنائهم مبكرا نجد أنه وحسب رأي المبحوثين، الزواج المبكر غالبا ما يكلل بالفشل في الحياة الزوجية وينتج عنه الطلاق، فالفتاة الصغيرة في السن لا تعي بما فيه الكفاية ما تعنيه المسؤولية الزوجية، والشباب الصغير في السن يصبح يعتمد كلية على والديه في إعالة أسرته وهو ما يخلق مشاكل وخصومات داخل العائلة الكبيرة.

وقد سجلنا أيضا نسبة 5% من المبحوثين الذين يحددون سنا معينة لا يجب تجاوزها عند الزواج خصوصا بها الذكور فقط، ويقدر متوسط هذا السن بـ25 سنة، رغبة منهم في رؤية أحفادهم ما داموا على قيد الحياة، لكن تبقى هذه النسبة غير معبرة لأنها تمثل جزءاً صغيراً جداً من العينة المدروسة.

الجدول رقم -33- يبين كيفية تعامل المبحوثين مع مسألة حرية اختيار الفتاة لزوجها

النسبة%	التكرار	منح حرية اختيار الفتاة لزوجها من عدمه
96.7	58	نعم
3.3	2	لا
100	60	المجموع

تعتبر قيمة الاختيار في الزواج عن النمط الثقافي السائد لدى السكان الريفيين، فقديما كانت مسألة الاختيار تعود غالبا إلى رب الأسرة (الأب أو الجد) الذي يقوم بتحديد العائلة المناسبة للزواج ويحدد طرفيه دون مراعاة رأي الفتاة في العريس الذي تقدم لخطبتها بمعنى أنها تجبر على الزواج منه ويعتبر رفضها له بمثابة التمرد على قوانين الأسرة وكسرا لهيبة أبيها وإلى حد ما يعتبر كالعار.

لكن ما نشهده حاليا وتؤكدته النسب المسجلة في الجدول أعلاه هو تغير نظرة الريفيين إلى قيمة الاختيار في الزواج بالنسبة للفتاة، فقد أقر 96.7% من المبحوثين على أنهم لا يغضبون بناتهم على الزواج بل يمنحون لهن مطلق الحرية في الاختيار وهذا نتيجة زيادة انتشار التعليم لديهم واتصالهم بالمجتمعات المدنية، فتشكلت لديهم قيم جديدة خاصة بالزواج، تعكس تصوراتهم الثقافية الحديثة حول هذا الموضوع كالإيمان بضرورة أن يكون للأبناء الحرية في اختيار شريك حياتهم.

كما أننا سجلنا ما نسبته 3.3% من المبحوثين الذين لا يمنحون حرية الاختيار في الزواج لبناتهم وذلك حسب رأيهم هم الأدرى بمن يصلح لهن، خاصة مع انتشار بعض الأشخاص الذين يتلاعبون في مثل هذه المسائل (الزواج) لكن مع ذلك تبقى هذه النسبة غير معبرة لأنها تمثل جزءا صغيرا جدا من العينة المدروسة.

الجدول رقم 34- يبين كيفية تعامل المبحوثين مع قضية توريث المرأة

توريث المرأة من عدمه			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب			
15	9	لتنازلهن عن حقهن خوفا من حدوث المشاكل التي تهدد الاستقرار العائلي	75	45	نعم
10	6	لكي لا تنتقل الثروة إلى الغرباء عن العائلة (الأصهار)			
25	15	المجموع	25	15	لا
			100	60	المجموع

يتبين من خلال هذا الجدول أن سكان الريف المدروس وبنسبة معتبرة تقدر بـ75% من المبحوثين يعطون حق الميراث للمرأة باعتباره حقا مذكورا ومنصوصا عليه في القرآن الكريم، وهذا يبين مدى التزامهم بتطبيق نصوص الشريعة الإسلامية وعدم التحريف فيها، كما يدل أيضا على وقوفهم في وجه بعض الأعراف والعادات المخالفة للدين الإسلامي والتي تقصي المرأة من حق الميراث.

لكن في المقابل نجد أن 25% من المبحوثين لا يورثون المرأة وأرجعوا ذلك إلى تنازلهن عن حقهن خوفا من حدوث المشاكل التي تهدد الاستقرار العائلي وكان ذلك بنسبة 15%، أما 10% من المبحوثين برروا إقصاء المرأة من الميراث لديهم حفاظا على الثروة لكي لا تنتقل إلى الأصهار خاصة فيما يتعلق بالأرض.

ومن هنا نستنتج أن ميراث المرأة أصبح من القيم التي يحرص السكان الريفيون على تطبيقها وأخذ في الانتشار بشكل واسع في المنطقة المدروسة خاصة وأنه كما أخبرنا بعض كبار السن الذين سألناهم عن هذا الأمر بأنه كان نادرا ما تراث المرأة في منطقتهم بحيث كانت تستحي حتى من طلب حقها ومن قامت بذلك تصنف ضمن السيئات في الخلق.

وبالتالي فهم غيروا من هذه القيم التقليدية السلبية في نظري مما يعكس تطور منظومتهم القيمية والثقافية بشكل عام.

الجدول رقم -35- يوضح قيم التفضيل بين الذكور والإناث لدى المبحوثين

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
33.3	20	أفضل إيجاب الذكور
11.7	07	أفضل إيجاب الإناث
55	33	لا فرق بينهما
100	60	المجموع

إن قيمة تفضيل الذكر على الأنثى تعتبر من القيم المميزة للثقافة التقليدية الريفية، فقد كان ينظر إلى المرأة على أنها أقل من الرجل بالطبيعة، فظهرت نوع من المحاباة والتفرقة في معاملة الأبناء، فالذكر يلقي الرعاية والتبجيل، بينما لا تعامل الفتاة بنفس الطريقة.

وعندما سألنا المبحوثين الذين فضلوا إيجاب الذكور عن الإناث والممثلين بنسبة 33% فقد كان ردهم على النحو التالي:

الذكور هم من س يحملون لقب العائلة ويخلدون لها ويحفظون نسبها بينما البنات تحمل همهن للممات ودعموا رأيهم هذا ببعض الأمثال الشعبية مثل « بيت الرجال خير من بيت المال » إشارة إلى أن الرجال هم مصدر الرزق وهم الأقدر على الإعالة من النساء، و المقولة الأخرى هي « المرأة خيرها لغيرها » بمعنى أن المرأة عندما تتزوج تصبح أكثر إفادة لزوجها وعائلته التي تستفيد من ممتلكاتها وخدماتها، وبالتالي لا يستفيد أهلها من أي شيء بعد ذلك، وهو ما يعكس في الحقيقة تمييزا ماديا، عندما ننظر إليه من خلال هذه الزاوية.

أما المبحوثين الذين فضلوا إيجاب الإناث والمقدرة نسبتهم بـ 11.7% فقد أرجعوا ذلك إلى أن الإناث أكثر حنانا وإعالة للوالدين خاصة عند كبرهما أما الذكور فغالبا ما ينشغلون بأمور أسرهم ولا يلتفتون إليهم.

بينما سجلنا 55% من المبحوثين وهي أكبر نسبة في هذا الجدول لا تفرق بين الجنسين ويرضون بما وهبه الله لهم، أما في المعاملة فهم لا يفرقون بين الذكر أو الأنثى لأن لكل واحد منهم الدور المنوط به والمجال الذي يفيد فيه والفتاة لديهم تحظى بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الابن الذكر وتعد لديهم إنسانا كامل الأهلية و الاعتبار، وهذا إن دل على شيء إنها يدل على تغير نظرة الريفيين إلى هذه القيمة وتعكس تطور ثقافتهم في مجال تنشئة الأبناء دون تفرقة.

الجدول رقم -36- يبين القيم الأهم التي يحرص عليها المبحوثون في تنشئة أبنائهم

الاحتمالات	التكرار	النسبة %
قيمة التبعية والطاعة	9	15
الاعتماد على النفس	8	13.3
الاعتدال بينهما	43	71.6
المجموع	60	100

تؤكد الدراسات التي تناولت العائلة العربية بما فيها العائلة الجزائرية اتسامها بالنزعة الأبوية عموما والتي تلح على تنشئة الأبناء اجتماعيا على قيمة التبعية والطاعة المطلقة للأبوين وهو ما كان يميز العائلات الريفية قديما، حيث كان الآباء يعملون على تبصير أبنائهم بضرورة التصرف في حدود القواعد والمعايير والنماذج التي تضعها لهم العائلة والقيام بكافة المهام والأعمال التي يكفون بها والخضوع المطلق لهم.

بينما تعتمد العائلات في المجتمعات المتطورة ثقافتها في تنشئة الأبناء على قيمة الاستقلال الفردي والاعتماد على النفس.

ويبدو أن مجتمعنا المدروس لا يزال مجتمعا وسطا في هذا المجال أو على الأقل هو اليوم في طور الانتقال فلقد بينت دراستنا الميدانية في ريف الشعرة أن الاعتدال بين التبعية والاعتماد على النفس هو الأسلوب الأكثر انتشارا في تنشئة المبحوثين لأبنائهم وذلك بنسبة قدرت بـ 71.6% بينما تقاسمت القيمتان الباقيتان نسب المبحوثين المتبقين.

وهنا نستنتج أن سكان الريف بدأوا يتجهون نحو تنمية الاستقلال في نفوس الأبناء وتدريبهم على الاعتماد على أنفسهم، وفي نفس الوقت إتباع الآباء في بعض الأمور والسلوكيات الأخرى.

الجدول رقم -37- يبين قيم الحوار بين الآباء والأبناء داخل العائلة الريفية

سماح الآباء لأبنائهم بمناقشتهم من عدمه			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
5	3	دائما	76.7	46	نعم
71.7	43	أحيانا			
0	0	لا تأخذ بآرائهم			
76.7	46	المجموع			
احتمالات حالة السلب			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب			
13.3	8	سوء خلق	13.3	8	لا
0	0	تمرد وعصيان			
13.3	8	المجموع	10	6	ليس لدي أبناء
			100	60	المجموع

اتضح لنا من خلال هذا الجدول أن هناك حوار مفتوح بين الآباء والأبناء داخل العائلات الريفية المدروسة بحيث أفصح **76.7%** من المبحوثين عن سماحهم لأبنائهم بمناقشتهم في بعض الأمور العائلية والأمور الأخرى ويأخذون بآرائهم أحيانا بنسبة **71.7%** وهناك من يأخذ بآراء أبنائه دائما ويمثلون نسبة **5%** من العينة المدروسة.

في حين نجد أن **13.3%** من المبحوثين لا يسمحون عادة لأبنائهم بمناقشتهم معتبرين ذلك سوء خلق منهم، فيما لم يدلي **10%** منهم (المبحوثين) بآرائهم وذلك لأنه ليس لديهم أبناء.

وهنا نخلص إلى القول بأن سكان الريف أصبحوا يؤمنون بحق الأبناء في مناقشة الآباء في مختلف المسائل وفتح أبواب الحوار مع بعضهم البعض وبالتالي الإطلاع أكثر على احتياجات أبنائهم وطموحاتهم المستقبلية وفي نفس الوقت الأخذ بآرائهم في بعض القضايا، وهو ما يعكس إقلاع الريفيين عن فكرة أن كبار السن يجب الأخذ بآرائهم دائما حتى ولو كانت غير صائبة وهو ما يعكس في نفس الوقت تطورا على مستوى ثقافتهم.

الجدول رقم 38- يوضح موقف المبحوثين من قيم الجمعية والعائلية

النسبة%	التكرار	تفضيل المبحوث لسكن أبنائه الذكور المتزوجين معه من عدمه
43.3	26	أفضل سكنهم معي وبتقاسم جماعيا مصاريف العائلة
23.4	14	أفضل تخصيص حجرات لهم داخل منزلي ويتحملون مصاريف أسرهم لوحدهم
33.3	20	أفضل سكنهم في بيوت مستقلة عن منزلي
100	60	المجموع

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن سكان الريف المدروس ما زالوا يفضلون العيش مع أبنائهم الذكور المتزوجين في الإطار الجمعي أو الانفصال الجزئي فقط.

وهو ما تدل عليه نسبة 66.7% من المبحوثين الذين يفضلون سكن أبنائهم معهم وتقاسم مصاريف العائلة الكبيرة، أو يخصصون لهم حجرات داخل المنزل ويتحملون مصاريف عائلاتهم الصغيرة لوحدهم، وهو ما يعني الاستمرار في القيم التقليدية للمحافظة على وحدة العائلة وتماسكها.

بينما نجد ما نسبته 33.3% من المبحوثين -وهي نسبة لا بأس بها- يفضلون الاستقلال العائلي لأبنائهم للمحافظة على العلاقات الطيبة مع أبنائهم ومنحهم نوعا من الحرية في تسيير أمور بيتهم، خاصة وأن العيش في الإطار الجمعي مع الأهل يسبب نوعا من المضايقة لدى زوجة الابن ونزاعات مع أهل زوجها.

إذن نخلص هنا بالقول أن قيم الجمعية والعائلية لا زال مرغوبا فيها لدى السكان الريفيين وهو ما يعكس التوجه التقليدي لهم، لكن في المقابل هناك من غير في هذه القيم وبدأ يتجه نحو الاستقلال العائلي وهو الأمر الذي وجدناه لدى بعض العائلات المدروسة، وهذا للتمتع بقدر من الحرية في العيش دون الخضوع للقواعد والتوجهات التي يسطرها رب العائلة.

الجدول رقم 39- يبين نظرة المبحوثين نحو كثرة الأبناء في العائلة (قيم الإيجاب)

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
58.3	35	بركة (هبة) من عند الله
30	18	عبء اقتصادي
0	0	ثروة عملية
11.7	7	عنصر قوة وافتخار للعائلة
100	60	المجموع

إن اعتماد الاقتصاد الريفي في الماضي على الزراعة وخدمة الأرض بالدرجة الأولى، وتخلف وسائل الإنتاج حتم ضرورة إيجاب أكبر عدد من الأولاد لاستغلالهم كأيدي عاملة، بالإضافة إلى أن مجيء مولود جديد في العائلة الريفية التقليدية لا يزعج منه الأبوين مطلقاً، لأنه يترعرع لوحده، فعندما يكون رضيعاً يتغذى من حليب أمه وعندما يصبح طفلاً يتلقى تربيته بالتواصل مع الطبيعة والعادات، وعندما يصبح مرافقاً يتعلم حرفته بتقليد أبويه.

ولذلك يعتبرون الأبناء حتى وإن كانوا كثرة هبة أو بركة من عند الله وهو التصور الذي مازال في أذهان الريفيين حالياً والدليل على ذلك هو 58.3% من المبحوثين الذين اعتبروا كثرة الأبناء في العائلة هي بركة وهبة إلهية.

بينما نجد نسبة أخرى لا بأس بها تقدر بـ 30% من المبحوثين الذين اعتبروا كثرة الأبناء في العائلة يشكل لديهم عبئاً اقتصادياً خاصة في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الراهنة، لأن في رأيهم إيجاب الأطفال لا بد أن يتبعه تحمل مسؤولية كاملة في رعايتهم وتربيتهم في ظروف مناسبة وملائمة وهو الأمر الذي يصعب تحقيقه إن كان هناك كثرة من الأبناء.

كما سجلنا أيضاً نسبة قليلة جداً ممن ينظرون إلى كثرة الأبناء على أنهم عنصر قوة وافتخار للعائلة، وهذا يعكس استمرار التوجه التقليدي لديهم فيما يخص هذه القيمة (قيمة الإيجاب) بحيث يرون أن العائلة تظهر أكثر قوة كلما كانت أكثر تعداداً، وهنا نستنتج أن قيمة الإيجاب تعتبر من القيم المحورية التي تركز عليها العائلات الريفية في الماضي وحتى في الحاضر مع تسجيل بداية دخول أفكار و تصورات جديدة حول قيمة الإيجاب تعكس مدى تطور وعيهم وقيمهم الثقافية فيما يخص هذه الوظيفة.

الجدول رقم 40- يوضح تطلعات المبحوثين لمستقبل أبنائهم (قيم الطموح)

النسبة%	التكرار	تطلعات المبحوثين
65	39	الحصول على مراكز مرموقة
35	21	الاستقرار والزواج
100	60	المجموع

نسجل من خلال البيانات البارزة في هذا الجدول طموح كبير للآباء في مستقبل أبنائهم، فلما كان محصورا في العمل الزراعي وتربية الحيوانات وبعض الحرف التقليدية فقط في الماضي، أصبح الآن يتعدى الميدان الزراعي ولواقه إلى الميادين الأخرى الخارجة عن إطاره للحصول على المراكز المرموقة لضمان العيش في جو مريح.

كما سجلنا أيضا 35% من المبحوثين كانت تطلعاتهم لمستقبل أبنائهم تدخل ضمن الاحتياجات المعنوية وهي الاستقرار والزواج سواء بالنسبة للإناث أو الذكور.

وهنا نخلص إلى القول بأن قيم الطموح لدى الريفيين تطورت عما كانت عليه في السابق وأصبح الريفيون يتطلعون في مستقبل أبنائهم إلى الأفق البعيد وبلوغ المناصب والمراتب العليا كما هو الحال بالنسبة لبعض السكان الحضريين أوحى يتعدونهم في ذلك "وهو ما أكدته الإحصاءات التي أجريت في الجزائر حيث وجدت أن أغلب أصحاب المستويات العلمية والثقافية العالية أصولهم ريفية"¹.

¹ العربي بن الشيخ. "مميزات الريف الجزائري"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، مقياس أنثروبولوجيا الأرياف، جامعة باتنة، 2008.

هـ- البيانات المتعلقة باتجاهات السلوك لدى الريفيين

الجدول -41- يبين خروج المرأة الريفية للعمل من عدمه

خروج المرأة الريفية للعمل من عدمه			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
13.3	8	للحاجة الاقتصادية	31.7	19	نعم
3.3	2	لإثبات الذات			
15	9	كتنويع للدراسة			
31.7	19	المجموع			
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب	68.3	41	لا
28.3	17	الصغر في السن وإكمال الدراسة			
15	9	ليس لدي بنات			
25	15	تفضيل الزواج عن العمل واعتبارات أخرى			
68.3	41	المجموع	100	60	المجموع

كانت المرأة الريفية قديما تقوم ببعض الأعمال التي تتفق وطبيعتها وإمكاناتها في الزراعة، كما تقوم بتربية الأبناء ورعايتهم إلى جانب رعاية شؤون بيتها وعموما كانت تلزم البيت.

لكن ما نلاحظه من خلال النسب المسجلة في هذا الجدول هو وجود 31.7% من المبحوثين بناتهم نساء عاملات منهن ما دفعتهن الحاجة الاقتصادية للخروج للعمل وذلك لتحقيق مزيد من الدخل ومواجهة تكاليف ومتطلبات الحياة، ومنهن من كان استغلال الشهادة العلمية المحصل عليها دافعا للخروج للعمل وذلك بنسبة 15%، أما الأخريات فكان خروجهن لإثبات ذواتهن ووجودهن.

أما 68.3% من المبحوثين فقد صرحوا بأن ليس لديهم بنات عاملات وذلك لأسباب موضوعية كالصغر في السن ومواصلة بعضهن لدراستهن بنسبة 28.3% أو هناك من ليس لديه بنات والممثلين بنسبة 15% وآخرون فضلت بناتهم الزواج عن العمل بالإضافة إلى عدم توفر مناصب الشغل لبعضهن وذلك بنسبة 25%.

إذن نستنتج هنا، أنه باستثناء الأسباب الموضوعية التي ذكرها لنا المبحوثون لتبرير عدم خروج بناتهم للعمل، هناك اتجاه واضح نحو خروج المرأة للعمل في الريف لغايات متعددة وهو ما سيتضح أكثر في الجدول الموالي.

الجدول رقم -42- يوضح موقف المبحوثين من خروج المرأة للعمل

موقف المبحوثين من خروج المرأة للعمل			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
38.3	23	قصد استغلال الشهادة العلمية التي تحصلت عليها	83.3	50	يؤيد
20	12	لمساعدة الآباء والأزواج في مصاريف البيت			
18.3	11	لتفيد المجتمع			
6.7	4	لإثبات وجودها			
83.3	50	المجموع			
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب	16.7	10	لا يؤيد
16.7	10	بسبب الاختلاط مع الذكور في أماكن العمل (التمسك بالعادات)			
16.7	10	المجموع			

تشير البيانات المحتواة في الجدول أعلاه إلى تغير اتجاه الريفيين نحو خروج المرأة للعمل، فبينما كانوا في السابق يصورون عمل المرأة خارج منزلها بالأمر الاجتماعي الغير مرغوب فيه، أصبحوا الآن يؤيدونه والدليل على ذلك هو 83.3% من المبحوثين الذين أيدوا خروج المرأة للعمل وخاصة المتعلمات منهن لأنه في رأيهم المرأة المتعلمة لا بد لها أن تستغل شهادتها التعليمية والتي تعبت في تحصيلها لسنوات عدة في عمل يتناسب مع مؤهلاتها العلمية وطبيعتها الأنثوية.

بينما انقسمت آراء المبحوثين الآخرين حول أسباب تأييدهم لخروج المرأة للعمل بين من يرى أن خروجها يساعد الآباء أو الأزواج في مصاريف البيت وصرح بهذا الرأي 20% من المبحوثين.

وهناك من يرى أن المرأة أيضا ستفيد المجتمع تربويا واقتصاديا بينما رأت فئة أخرى أن خروج المرأة للعمل سيساعدها على إثبات وجودها والتعريف بإمكانياتها بعدما كانت تعاني من التهميش والتقليل من شأنها.

في حين نجد أن هناك فئة أخرى من المبحوثين لا زالت تعيش في صومعة القيم والتقاليد القديمة وتُصوّر عمل المرأة خارج منزلها بالغير مرغوب أخلاقيا واجتماعيا خاصة وأنها سوف تختلط بالجنس الآخر في أماكن العمل، لكن مع ذلك تبقى هذه النسبة ضئيلة ولا تمثل سوى جزء بسيط جدا من العينة المدروسة.

الجدول رقم -43- يبين خروج أبناء المبحوثين للتعليم

التحاق كل أبناء المبحوثين بالمدارس من عدمه (باستثناء صغار السن منهم)		النسبة %	التكرار	الاحتمالات	
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب	78.3	47	نعم
6.3	4	عدم وجود المدارس وقت الثورة بالإضافة إلى الأوضاع المزرية بعد الاستقلال مباشرة	11.7	7	لا
5	3	عدم السماح بعض أفراد العائلة للإناث بالتمدرس	10	6	ليس لدي أولاد
11.7	7	المجموع	100	60	المجموع

إذا كان الريفيون قديما يعزفون عن إرسال أبنائهم للتعليم سواء للظروف القاهرة آنذاك كظروف الفترة الاستعمارية أو نظرتهن السلبية نحو التعليم على أنه مضيعة للوقت عكس العمل الزراعي الذي يقدم نتائج ملموسة ويحقق لديهم ربحا ماديا في فترة وجيزة، فإنهم حاليا قد تغيرت نظرتهن هذه نحو التعليم وانعكس ذلك في سلوكياتهم، حيث أصبحوا يرسلون أبناءهم للمدارس دون تفرقة بين الذكور والإناث والدليل على ذلك هو 88.3% من المبحوثين كل أبنائهم باستثناء الصغار في السن منهم التحقوا بالمدارس.

وهو ما يعكس زيادة وعي السكان الريفيين بضرورة التعليم وإدراكهم على أنه السبيل الوحيد للولوج إلى بعض المهن والظفر ببعض المناصب خاصة المرموقة منها.

هذا ويجدر الإشارة إلى أنه ونحن نستجوب المبحوثين حول هذه القضية وجدنا البعض منهم منخرط في سلك المتمدرسين في مراكز محو الأمية لقناعتهم الشخصية بضرورة تعليم الكبار حتى يتسنى لهم معرفة كتابة أسمائهم على الأقل ومعرفة العمليات الحسابية التي يحتاجون لها يوميا.

في حين نجد انه لدى بعض المبحوثين أبناء لم يلتحقوا بالمدارس خاصة كبار السن منهم حالياً وذلك لأسباب موضوعية، كعدم وجود المدارس وقت الثورة بالإضافة إلى الأوضاع المزرية بعد الاستقلال مباشرة وبذلك فاتهم قطار التعليم على حد تعبيرهم.

بينما نجد 5% من المبحوثين بناتهم لم يلتحقن بالمدارس وذلك بسبب عدم سماح بعض أفراد العائلة لهن بالتمدرس خوفا عليهن من الفضيحة والعار الذي قد يلحق بهن إذا ما التحقن بالمدارس، لكن تبقى النسبة ضئيلة وغير مؤثرة في نتائج هذه الدراسة .

الجدول رقم -44- يوضح اتجاه المبحوثين نحو الزواج من خارج النسق القرابي

توزيع المبحوثين لأبنائهم من خارج النسق القرابي من عدمه			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب	48.3	29	نعم
10	6	لأنه ليس لديه أولاد	51.7	31	لا
31.7	19	لأنني لم أزوج أبنائي بعد			
10	6	لأن القريب أعلم بأخلاقه وسيرته			
51.7	31	المجموع	100	60	المجموع

لقد كانت معظم الزيجات في الريف تتم في الإطار الداخلي للعائلة قصد حفظ أموال العائلة واستمرارية العلاقات القرابية، لكن مع تقريب مصادر التعليم والثقافة من السكان في الريف أدى إلى التحاق أبنائهم بالمعاهد والجامعات ومؤسسات العمل المختلفة، والتعلق بالحياة الحضرية مما أدى إلى بناء علاقات جديدة مع هؤلاء الحضريين والزواج من خارج المحيط الريفي وما يؤكد طرحنا هذا هو توزيع 48.3% من المبحوثين لأبنائهم من خارج النسق القرابي.

أما النسبة المتبقية والمقدرة بـ 51.7% فإنهم لم يزوجوا أبناءهم من أقربائهم لأسباب تبدو بديهية وموضوعية كالذين لم يزوجوا أبناءهم بعد أو أولئك الذين ليس لديهم أولاد والمقدرة نسبتهم في المجموع بـ 41.7% وبذلك فهي ليست لها دلالة اجتماعية ويمكن أن نستنتجها من التفسير.

أما 10% من المبحوثين المتبقين فيزوجون الأبناء من الدائرة القرابية مبررين ذلك بأن القريب تعلم بأخلاقه وسيرته بالإضافة إلى زيادة تدعيم العلاقات القرابية من خلال هذا الزواج وهو ما لمسناه في بعض الأمثال الشعبية التي أخبرونا بها والتي أتينا على ذكرها في الفصل الثالث ص 117 مثل « زيتنا في دقيقنا » و « خبز الدار يأكلوا مول الدار »

وبهذا نصل إلى القول بأن اتجاه الريفيين نحو الزواج من داخل النسق القرابي قد تغير وأصبحوا يتجهون أكثر نحو الزواج من خارج الدائرة القرابية، وذلك لأسباب التي أتينا على ذكرها في الأعلى.

الجدول رقم -45- يبين اتجاه المبحوثين نحو أوجه جديدة للادخار والاستثمار

أوجه الادخار والاستثمار لدى المبحوثين			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الادخار			
15	9	في البيت	36.7	22	الاتجاه إلى الادخار
21.7	13	تودع أموالك في البنوك والمكاتب البريدية			
36.7	22	المجموع			
احتمالات حالة الاستثمار			63.3	38	الاتجاه إلى الاستثمار
النسبة %	التكرار	شراء الماشية			
5	3	شراء وسيلة نقل عمومية			
11.7	7	محلات تجارية			
25	15	شراء قطعة أرض زراعية			
5	3	أوعية استثمارية أخرى			
16.6	10	المجموع			
63.7	38	المجموع	100	60	المجموع

القراءة الأولية لهذا الجدول تجعلنا نخلص إلى نتيجتين رئيسيتين هما:

- 1- تفضيل المبحوثين استثمار أموالهم عن ادخارها.
 - 2- اتجاه المبحوثين نحو أوجه وأوعية جديدة للادخار والاستثمار تختلف عن الأوعية التقليدية.
- فالنتيجة الأولى تدل على امتلاك المبحوثين لثقافة اقتصادية متطورة ستسمح لهم بتوسيع مجالاتهم الاستثمارية والتي تحقق عائداً أو دخلاً يفوق عائد الادخار.

أما النتيجة الثانية فتدل على اتساع أفق تفكير الريفيين من خلال اتجاههم في حالة الادخار إلى إيداع أموالهم في البنوك والمكاتب البريدية بنسبة 21.7% وذلك لغرض الاستفادة من فائدة الإيداع، بينما كانوا في السابق يحتفظون بأموالهم داخل بيوتهم خوفاً من ضياعها لأنه وكما يقال بأن الريفيين بطبعهم لا يتقون بالغرباء.

بالإضافة إلى اتجاههم في حالة الاستثمار إلى أوعية جديدة كفتح محلات تجارية أو شراء وسائل نقل عمومية، أو تشييد سكنات لتأجيرها أو مشاريع مصغرة كتربية الدواجن لغرض تسويقها وأوعية أخرى تختلف عن الأوعية التقليدية التي كان يركز عليها سكان الريف كشراء الأرض أو شراء الماشية.

وعليه يمكن القول بأن الإنسان الريفي لم يعد ذلك الإنسان الذي يعيش لأجل اليوم نفسه وإنما أصبح ذلك الإنسان الذي يملك النظرة المستقبلية والتخطيط لحياته والتطلع دوما نحو الأفضل.

الجدول رقم -46- يوضح موقف المبحوثين من العمل الزراعي

تفضيل عمل الأبناء في الزراعة من عدمه			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
13.3	8	للمحافظة على عمل أجدادنا	18.3	11	أفضل عملهم في الزراعة
5	3	للهوض باقتصادنا الوطني في هذا القطاع			
18.3	11	المجموع			
احتمالات حالة السلب			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب			
45	27	لأنه عمل شاق وغير مريح ماديا	81.7	49	أفضل عملهم خارج نطاق الزراعة
6.7	4	بسبب نقص الدعم الفلاحي والظروف المناخية			
30	18	لأنني أفضل استغلال شهادتهم العلمية في مجال تخصصهم			
81.7	49	المجموع	100	60	المجموع

يتضح لنا من خلال هذا الجدول أن أغلبية المبحوثين يفضلون عمل أبنائهم خارج نطاق الزراعة بنسبة تقدر بـ 81.7% وهذا لعدة أسباب أهمها وفي الدرجة الأولى اعتبار العمل الزراعي من الأعمال الشاقة وغير مربحة ثم بعد ذلك يأتي السبب الثاني وهو تفضيل المبحوثين لاستغلال أبنائهم لشهاداتهم العلمية في مجال تخصصاتهم خاصة وان الدراسة أخذت حيزا كبيرا من الوقت لديهم، أما البعض الآخر فقد برر ذلك بنقص الدعم الفلاحي إلى جانب الظروف المناخية التي تقف عائقا في وجه الفلاحين.

في حين نجد أن 18.3% من المبحوثين يفضلون عمل أبنائهم في الزراعة للمحافظة خاصة على عمل أجدادهم معتبرين العمل الزراعي إرثا اجتماعيا يجب المحافظة عليه والاستمرارية فيه، بينما بررت فئة أخرى تفضيل عمل أبنائهم في الزراعة للهوض باقتصادنا الوطني الذي يعاني ضعفا وهشاشة في هذا القطاع.

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن سكان الريف أصبحوا يواجهون أبناءهم للعمل خارج نطاق الزراعة في ميادين تعود عليهم بربح أوفر ومردود أكثر وهو ما سيدخل قطاع الفلاحة في صعوبات عدة أهمها شيخوخة الفئة النشطة في العمل وتدني الإنتاجية، لكن في نفس الوقت هو يعكس تغير اتجاه الريفيين نحو العمل الزراعي.

- جدول رقم 47- يبين تطبيق المبحوثين لنظام التباعد بين الولادات من عدمه

المجموع	9 سنوات - 10 سنوات ونصف		7 سنوات - 8 سنوات ونصف		5 سنوات - 6 سنوات ونصف		3 سنوات - 4 سنوات ونصف		سنة - سنتان ونصف		متوسط الفرق بين الأعمار عدد الأبناء	
	ت	% ن	ت	% ن	ت	% ن	ت	% ن	ت*	% ن		
16.7	10	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	المبحوثون اللذين ليس لديهم أولاد والذين لديهم ابن واحد
20	12	3.3	2	0	0	6.7	4	6.7	4	3.3	2	4 - 2
36.7	22	0	0	0	0	3.3	2	20	12	13.3	8	7 - 5
23.3	14	0	0	0	0	0	0	8.3	5	15	9	10 - 8
3.3	2	0	0	0	0	0	0	1.7	1	1.7	1	13 - 11
100	60	3.3	2	0	0	10	6	36.7	22	33.3	20	المجموع

نلاحظ من خلال هذا الجدول ما يلي:

- 1- العائلات الريفية المدروسة تتميز بكثرة مواليدها نسبيا حيث نجد 36.7% من المبحوثين لديهم من 5 إلى 7 أبناء، كما نجد أيضا 23.3% منهم لديهم من 8 إلى 10 أبناء.
- 2- هناك تطبيق نسبي من قبل العائلات الريفية لنظام التباعد بين الولادات بحيث نجد نسبة 50% من المبحوثين متوسط الفرق بين أعمار أبنائهم من 3 إلى 9 سنوات.
- 3- كلما قل عدد الأبناء كلما زاد التباعد بين الولادات والعكس صحيح.

وبناء على هذا نستنتج أن سياسة تنظيم النسل و التباعد بين الولادات قد بدأت تجد طريقها إلى الأرياف نتيجة الحملات التوعوية التي تبثها أو تنشرها مختلف وسائل الإعلام وذلك لغرض تحسين أوضاع الريف خاصة فيما يتعلق بصحة الأم وطفلها والتقليل من معدلات وفياتهما، وأصبح الريفيون الآن على دراية بوسائل تنظيم النسل واستعمالاتها المختلفة، فيما كانوا لا يعرفونها في السابق.

الجدول رقم -48- يبين الوجهة التي يقصدها المبحوثون لحل مشاكلهم في حالة النزاع

التزام المبحوثين بما صدر عن كبار السن من عدمه			النسبة %	التكرار	اتجاه المبحوث في حالة نزاع
النسبة %	التكرار	احتمالات	11.7	7	إلى القانون
83.3	50	نعم	88.3	53	إلى كبار السن
5	3	لا			
88.3	53	المجموع	100	60	المجموع

البارز في بيانات هذا الجدول هو استمرار التوجه التقليدي نحو كبار السن لفض النزاعات التي تحدث عند الريفيين، فقد أكدت نتائج الدراسة الميدانية التي قمنا بها أن 88.3% من المبحوثين يتجهون إلى كبار السن لحل مشاكلهم وذلك لحفظ خصوصية الحياة الاجتماعية في الريف، والحفاظ على أسرارها.

ويشكل كبار السن المتميزين برجاحة عقلهم وحكمتهم وسداد رأيهم ما يسمى لدى المبحوثين بـ « الجماعة » التي تحاول فض النزاع بين الأطراف المتخاصمة بطريقة سلمية وتكون إلى حد ما ترضي جميع أطراف المشكلة ويلتزم الكل بما صدر عنها لكن نجد عند المبحوثين الذين استجوبناهم، أن 5% منهم لا يلتزمون بما صدر عنها لأن بعض القرارات التي تصدر عنها تكون غير منصفة في رأيهم.

وفي المقابل نجد أن 11.7% من المبحوثين وهي قليلة جدا صرحوا لنا أنه في حالة حدوث نزاع فهم يتجهون نحو القانون لأنه يمثل الهيئة الرسمية التي وجدت أصلا لخدمة مصالح المواطنين وقراراتها أكثر صرامة من قرارات كبار السن وأكثر إنصافا.

و- البيانات المتعلقة بالمعتقدات الشعبية لدى الريفيين:

الجدول رقم -49- يبين استخدام المبحوثين للتمائم في منازلهم وممتلكاتهم

استخدام المبحوث للتمائم في منزله وممتلكاته والغرض منها			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة الإيجاب			
10	6	لغرض الزينة	30	18	نعم
20	12	للقاية من الحسد			
30	18	المجموع	70	42	لا
			100	60	المجموع

يبين الجدول أعلاه إقلاع الريفيين عن بعض الممارسات التي توحى بأن التفكير الغيبي ما زال يسيطر عليهم والدليل على ذلك هو عدم تعليق معظم المبحوثين للتمائم في منازلهم أو ممتلكاتهم وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الإنسان الريفي أصبح يفكر بطريقة عقلانية واقعية وعلمية وأصبح يبتعد عن الاعتقاد بالغيبيات.

وفي المقابل نجد 30% من المبحوثين يستخدمون هذه التمام في منازلهم لسببين رئيسيين: يأتي في الدرجة الأولى، الاعتقاد بأنها تقي من الحسد، ومن أمثلة هذه التمام لدى المبحوثين تعليق ما يسمى لديهم «الخمسة»* وهي عبارة عن كف مبسوطة على أبواب المنازل وفي ثياب الأطفال الصغار، بالإضافة إلى قرون بعض الحيوانات والعجلات وقدر الطهي فوق أسطح المنازل.

ويأتي في الدرجة الثانية، استخدام التمام لغرض الزينة وهو ما عبر عنه 10% من المبحوثين، لكن ذلك يبدو غير منطقي نوعاً ما لأنه في رأيي هذه العجلات والقدر تشوه مظهر المنزل أكثر من تحسينه.

* للتعرف أكثر عن الخمسة، انظر في الملحق رقم 3 ص. 256

الجدول رقم -50- يبين آراء المبحوثين في مقولة « إن فشل بعض تلاميذ والطلبة في مشوارهم الدراسي ورفضهم لاستكمال سببه الإصابة بالعين الحاسدة أو السحر»

تفسيرات المبحوثين لما جاء في المقولة			النسبة%	التكرار	رأي المبحوث
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة عدم التأييد	25	15	يؤيد
53.3	32	الإهمال	75	45	لا يؤيد
21.7	13	الانحراف			
75	45	المجموع	100	60	المجموع

يتضح من هذا الجدول أن أغلب المبحوثين والمقدرة نسبتهم بـ 75% لا يؤيدون محتوى هذه المقولة مبررين فشل التلاميذ والطلبة في مشوارهم الدراسي بالإهمال والكسل أو جراء الانحراف، وهي أسباب تبدو لهم أكثر عقلانية وواقعية من تلك التي ذكرت في المقولة.

بينما نجد 25% من المبحوثين يؤيدون هذه المقولة لأنهم وكما أخبرونا فإن هذا الأمر (السحر والحسد) قد مس بعضاً من أبنائهم لذلك اتجهوا إلى هذا التفسير دون غيره، خاصة وأن بعض المبحوثين أكدوا لنا أن بعض أبنائهم كانوا من النجباء لكن ولسبب مجهول ويعتقدون أنه السحر أو الحسد، رفض هؤلاء الأبناء مواصلة دراستهم، بينما فشل بعض الآخر في الامتحانات الرسمية وهو يعد من الطلبة الممتازين.

لكن عموماً يمكن أن نخلص إلى القول بأن سكان الريف المدروس أصبحوا يأخذون بالأسباب العلمية والواقعية في تفسير الحوادث والظواهر التي تطرأ عليهم وبدأوا في الابتعاد عن الأسباب الخرافية والغيبية.

الجدول رقم -51- يبين قيام المبحوثين بالإجراءات الاحترازية في أفراحهم لدرء خطر السحر والحسد

القيام بالإجراءات الاحترازية لدرء خطر السحر والحسد في الأفراح		النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار			
40	24	45	27	نعم
5	3			
45	27	55	33	لا
		100	60	المجموع

لقد كانت مناسبات الزواج ولا زالت تعد من أكثر المجالات التي يخشى فيها الريفيون الإصابة بالعين الحاسدة كما هو الحال لدى 45% من المبحوثين الذين استجوبناهم حول هذه الظاهرة، ولذلك فهم يتجهون إلى القيام ببعض الإجراءات الاحترازية في أفراحهم اعتقاداً منهم على أنها تقي من خطر السحر والحسد، ونجد من أمثلة هذه الإجراءات تعليق بعض الدبابيس وسكين صغير في لباس العروس ليحميها من العين الحاسدة، كما روت بعض المبحوثات، أما الإجراء الثاني وهو المنتشر أكثر لدى سكان الريف المدروس وهو رقية العريسين ومنزلهما لتحصينهما ضد خطر السحر والحسد.

في حين نجد أن ما نسبته 55% من المبحوثين في هذه المنطقة (الشعرة) لا يقومون بأي إجراء احترازي في أفراحهم لأنه وحسب رأيهم الله هو الوحيد القادر على حمايتهم من الشرور التي تنربص بهم فيفوضون أمرهم إليه ولا يعتقدون في مثل هذه الأشياء خاصة فيما يتعلق بالتمائم لأنها تعتبر نوعاً من الشرك.

وعليه نقول أن سكان الريف المدروس يتأرجحون ما بين سيطرة بعض المعتقدات على تفكيرهم وما بين الإقلاع عن مثل هذه المعتقدات والاتسام بالتفكير العقلاني الواقعي.

الجدول رقم -52- يبين رأي المبحوثين في المقولة « إن جفاف لبن بعض المواشي فجأة أو تعطل الآلات الحديثة كذلك فجأة سببه الإصابة بعين حاسد»

تفسيرات المبحوثين لما جاء في المقولة			النسبة %	التكرار	رأي المبحوث
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة عدم التأييد	16.7	10	يؤيد
83.3	50	بالنسبة للمواشي المرض أو قلة المؤونة. بالنسبة للآلات عطب أو خلل قد أصابها	83.3	50	لا يؤيد
83.3	50	المجموع	100	60	المجموع

يتضح من هذا الجدول أن 83.3% من المبحوثين لا يؤيدون ما جاء في المقولة أعلاه وذلك لأن في رأيهم مثل هذه الحوادث لها مسبباتها الموضوعية فجفاف لبن المواشي عندهم فجأة أو تعطل آلاتهم سببه إما المرض أو قلة المؤونة بالنسبة للمواشي والأعطاب هي التي تقف وراء تعطل آلاتهم خاصة الحديثة منها بينما نجد أن 16.7% من المبحوثين يؤيدون المقولة وذلك اعتقاداً منهم بأن الحسد هو المسبب الرئيسي لمثل هذه الحوادث.

وعموماً فإن إجابات معظم المبحوثين بعدم تأييد المقولة يؤكد حكماً على سكان هذا الريف بأنهم بدأوا بالأخذ بالأسباب العلمية والموضوعية في تفسير الحوادث التي تطرأ عليهم، وبدأوا بابتعادون شيئاً فشيئاً عن الاعتقاد بالغيبيات.

الجدول رقم 53- يبين المجالات التي يعتقد الريفيون أنها أكثر تعرضاً للحسد

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
46.7	28	الممتلكات
30	18	النجاح الدراسي والعملي
13.3	8	الجمال
10	6	الأطفال الصغار
100	60	المجموع

اتضح من خلال هذا الجدول أن كل المبحوثين الذين استجوبناهم يعتقدون في الحسد والدليل على ذلك هو تخصيص كل مبحث لمجال معين يرى أنه الأكثر تعرضاً للحسد فنجد **46.7%** يرون أن الذين لديهم ممتلكات كثيرة كالمال والسيارات والسكنات وغيرها هم الأكثر تعرضاً للحسد. بينما نجد **30%** منهم يرون بأن الأشخاص المتفوقين دراسياً وعملياً هم أكثر الفئات عرضة للحسد، في حين هناك من يرى بأن الجمال والأطفال الصغار يتعرضون للحسد أكثر من الفئات والمجالات الأخرى.

إن ما يلفت الانتباه في هذا الجدول عند مقارنته بالجدولين رقم **50** و **52** هو تسجيل مفارقة في إجابات المبحوثين، فعندما سئلوا عن موقفهم من اعتبار السحر والحسد كأحد مسببات بعض الحوادث التي تطرأ عليهم، وقف معظمهم في صف غير المؤيدين، لكن في المقابل عندما سئلوا عن المجالات التي يعتقدون أنها أكثر تعرضاً للحسد لم أجد أي مبحث يجيب ويقول: " أنا لا أعتقد أصلاً بالحسد".

ز- البيانات المتعلقة بالمجال المادي للثقافة الريفية

الجدول رقم -54- يوضح نوع الأدوات الزراعية التي يستخدمها المبحوثون في الزراعة

سبب استخدام الأدوات التقليدية			النسبة %	التكرار	نوع الأدوات الزراعية المستخدمة
النسبة %	التكرار	الاحتمالات			
23.3	14	أستخدم الأدوات التقليدية بسبب نوع المزروعات (خضروات موجهة للاستهلاك العائلي)	26.7	16	التقليدية
3.4	2	لصعوبة استخدام الآلات الحديثة لضيق الطرقات الفاصلة بين ملكيات الأسر			
			48.3	29	الحديثة
26.7	16	المجموع	25	15	لا أستعمل هذه الأدوات لأنني لا أملك أرضاً زراعية
			100	60	المجموع

يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن أغلب المبحوثين الذين يملكون أرضاً زراعية يستخدمون الأدوات الحديثة في الزراعة والتي حددناها في الجرارات والحاصدات وذلك بنسبة 48.3% من إجمالي المبحوثين، بينما كانوا يستخدمون في القديم وكما أخبرنا بعض كبار السن الحيوانات في عملية الحرث والنقل والدرس واستخدام بعض الأدوات التقليدية كالمنجل والمحراث الخشبي وهي كلها أدوات تصور مظاهر الثقافة المادية التقليدية لديهم.

أما عن اتجاه المبحوثين نحو استخدام هذه الآلات الحديثة فجاء لاختصار الوقت والجهد لديهم وتسهيل عملية الحرث والحصاد.

في حين نجد أن ما نسبته 26.7% من المبحوثين يستخدمون الآلات التقليدية كالفأس والمجراف بسبب نوع المزروعات الموجهة للاستهلاك العائلي فقط وبالتالي فهي تشغل حيزاً صغيراً من الأرض وبذلك فهي لا تحتاج للآلات الحديثة.

أما **3.4%** من المبحوثين فبرروا استخدامهم للأدوات التقليدية بضيق الطرقات الفاصلة بين ملكيات الأسر وهو ما يصعب مرور الآلات الحديثة عبرها.

وهنا نخلص إلى القول بأن هناك تطور مس جانب استخدام الأدوات الزراعية من التقليدية إلى الحديثة وهو ما يعكس تطور ثقافتهم المادية في هذا الجانب.

الجدول رقم -55- يبين نوع الأثاث الموجود بمنازل المبحوثين

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
0	0	تقليدي كله
20	12	عصري كله
80	48	التقليدي إلى جانب العصري
100	60	المجموع

لقد كان الأثاث لدى العائلات الريفية قديماً يستمد من البيئة المحلية كالأخشاب في صنع الأواني، وصوف المواشي في صنع الأغذية والوسائد والطين في صنع بعض أواني الطبخ والطهي... وغيرها، لكن مع امتداد علاقة الإنسان الريفي بغيره في أماكن مختلفة وفي المدينة بوجه خاص ازداد اعتماده على هذه الأماكن في اقتناء بعض الأثاث الحديث لمنزله الذي يختلف عن الأثاث القديم من ناحية التنوع والتعقيد.

وتمايزت بذلك العائلات الريفية من ناحية أثاث منزلها في الكم والكيف والمرتبطة هو كذلك (التمايز) بالمركز الاقتصادي للعائلة ومستوى معيشتها.

وبناء على ذلك نجد أن 80% من العائلات الريفية التي قمنا بدراستها يحوي منزلها على أثاث جزء منه تقليدي والجزء الآخر عصري، بينما سجلنا 20% من العائلات المتبقية أثاث منزلها كله عصري وجديد وهو يتناسب مع المركز الاقتصادي لها.

ونستنتج هنا أن العائلات الريفية تناسب بين الجديد والقديم في أثاثها فالقديم والتقليدي يتميز بسهولة استعماله وانخفاض تكاليفه والجديد والعصري يلبي متطلبات الحياة الحديثة.

كما أننا لاحظنا عند دراستنا الميدانية أن انخفاض مستوى الدخل لدى العائلات الريفية يقلل إلى حد كبير من نسبة المكونات الجديدة للثقافة المادية ويبرز أكثر في نوع وكم الأثاث المتواجد بمنازل المبحوثين.

الجدول رقم -56- يبين الهيكلية العمرانية لمنازل المبحوثين

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
51.7	31	غرف للإيواء فقط
5	3	غرف للإيواء ومخازن المحاصيل
0	0	غرف متصلة بحظائر الحيوانات
43.3	26	غرف منفصلة عن المخازن والحظائر
100	60	المجموع

إن الاختلافات الناشئة في تصميم وتخطيط المساكن الريفية ترجع إلى المستوى الثقافي والمستوى المعيشي لسكان الريف كما ترتبط بالظروف المحلية والطبيعية والخصائص الاجتماعية لمستعمليه فالإنسان الريفي يشيد منزله على أساس النشاط الذي يقوم به ففيها غرف ومن ثم مخازن للإنتاج الزراعي والحيواني ومباني لحفظ وصيانة الأدوات الزراعية وحظائر للحيوانات خاصة الأبقار والأغنام والماعز والأحمره وغيرها.

أما ما نلاحظه لدى العائلات الريفية المدروسة هو امتلاكها لتقافة متطورة في مجال تصميم منازلها حيث أصبح من لديه حيوانات يشيد لها حظائر بعيدة نسبيا عن غرف الإيواء وهو نفس الشيء بالنسبة للمخازن لتفادي انتشار الأمراض، حيث وجدنا 43.3% من المبحوثين الذين يملكون مواشي، غرف الإيواء لديهم منفصلة عن المخازن والحظائر. أما الباقي فمنازلهم تحتوي على غرف للإيواء فقط.

الجدول رقم 57- يبين نوع المواد المصنوعة منها منازل المبحوثين

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
58.3	35	لبن أبيض + إسمنت + بلاط
36.7	22	لبن احمر + إسمنت + بلاط
5	3	الحجارة + لبن بالطين
100	60	المجموع

يتضح من خلال هذا الجدول أن مساكن المبحوثين تشبه إلى حد كبير المساكن الحضرية سواء من حيث التصميم أو مواد البناء الحديثة المتواجدة في الأسواق حالياً واختلفت هذه المساكن فيما بينها من ناحية نوع اللبن المستخدم في البناء فـ58.3% من المبحوثين منازلهم مصنوعة من اللبن الأبيض، بينما 36.7% مصنوعة من اللبن الأحمر وهو أكثر حداثة من النوع الأول، فيما سجلنا 3 مساكن ريفية تقليدية مصنوعة من الحجارة وأخرى بلبن الطين خاصة وأن هذه العائلات فقيرة ولا تكفي دخولها المنخفضة لتجديد هذه المنازل.

وعموماً يمكن القول أن سكان الريف حدثوا في مساكنهم وأصبحت لا تختلف كثيراً عن منازل الحضرين وهذا يعكس تطور ثقافة الريفيين في هذا المجال.

الجدول رقم -58- يوضح امتلاك المبحوثين وأسرهم للحاسوب من عدمه

إيصال الحاسوب بخط الإنترنت			النسبة %	التكرار	إمتلاك الحاسوب من عدمه
النسبة %	التكرار	الاحتمالات			
3.3	2	نعم	16.7	10	نعم
13.4	8	لا			
16.7	10	المجموع	83.3	50	لا
			100	60	المجموع

القراءة الأولية لبيانات هذا الجدول تجعلنا نخلص إلى ما يلي:

1- عدم استخدام الريفيين لتقنيات الحاسوب في منازلهم.

2- خدمة الانترنت شبه غائبة لدى سكان الريف المدروس.

فالحاسوب غائب في منازل الريفيين لجهلهم بكيفية استعماله من جهة وارتفاع سعره بالنسبة لبعض المبحوثين، أما البعض الآخر فقد برر عدم اقتنائه للحاسوب لأنه وحسب رأيه سيستقطب أبناءه ويجعلهم يتهاونون في دراستهم خاصة وأن هذا الجهاز يستخدمه الأطفال كثيراً في الألعاب الالكترونية.

أما غياب الانترنت الشبه التام في الريف المدروس فيعود إلى تكاليفها الباهضة من جهة ومن جهة أخرى إلى النظرة المسبقة التي كونها الريفيون حولها على أنها مفسدة للأخلاق.

وعموماً يمكن أن نقول أن بعض التكنولوجيات الحديثة خاصة الحاسوب والانترنت لم تجد طريقها إلى الريف بعد وذلك للأسباب الآتية الذكر.

الجدول رقم -59- يبين مسابرة أبناء المبحوثين للموضات الحديثة الخاصة بالأزياء

مسابرة الأبناء للموضاة من عدمه			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة السلب			
11.7	7	لأنها لا تتماشى مع القيم والعادات السائدة في المنطقة	71.7	43	نعم
3.3	2	لأن ثمنها باهض	15	9	لا
15	9	المجموع	13.3	8	لا يوجد عندي أبناء + الصغار في السن
			100	60	المجموع

لقد كانت ملابس الريفيين قديما تتميز بالبساطة المستمدة من فكرة ستر الجسم فقط دون الاكترات بشكل أو لون هذا اللباس وكان المظهر يحتل الدرجة الأدنى من تفكيرهم المنصب أكثر على العمل دون شيء آخر، لكن ما نلاحظه مؤخرا هو الاهتمام الكبير لدى السكان الريفيين خاصة الشباب منهم بهندامهم وهو ما تؤكد نسبة 71.7% من المبحوثين الذين يساير أبناؤهم الموضات الحديثة الخاصة بالأزياء، بينما نجد 15% منهم لا يساير أبناؤهم هذه الموضات لأنها من جهة تعبر عن الزيّ الغربي ذات الميزة التحررية من كل القيود وهو ما لا يتماشى مع القيم والعادات السائدة في المنطقة.

ومن جهة أخرى ثمنها باهض لا يستطيع بعض الآباء بإمكانياتهم المالية المحدودة شراءها لأبنائهم.

ونخلص إلى القول بأن هذا العنصر من الثقافة المادية للريفيين (الزيّ) أصبح يشغل حيزا كبيرا من تفكير الريفيين واهتماماتهم وأصبحنا لا نجد هناك فوارق بين لباس أبناء الريف ولباس الحضريين.

الجدول رقم 60- يوضح تدخل المبحوثين في طريقة لباس أبنائهم

سبب تدخل المبحوثين في طريقة لباس أبنائهم			النسبة %	التكرار	الاحتمالات
النسبة %	التكرار	احتمالات حالة التدخل			
6.7	4	لصغر سن الأبناء	31.7	19	أدخل
25	15	لضرورة التقيد باللباس المحتشم			
31.7	19	المجموع			
احتمالات حالة عدم التدخل			58.3	35	لا أدخل
النسبة %	التكرار	لأن اللباس قناعة شخصية			
43.3	26	لكثرة انشغالاتي			
15	9		10	6	ليس لدي أولاد
58.3	35	المجموع			100

يتضح من خلال هذا الجدول أن 58.3% من المبحوثين لا يتدخلون في طريقة لباس أبنائهم وذلك لاعتبارهم أن اللباس قناعة شخصية، لا يجب التدخل فيها، أو بسبب كثرة انشغالات بعض المبحوثين خاصة الرجال منهم وبذلك ليس لديهم الوقت للتدخل في أسلوب اللباس عند أبنائهم، وهذا يدل على دخول أفكار وتصورات جديدة عند السكان الريفيين، مثل " اللباس قناعة " وهو ما لم يكن موجودا عندهم من قبل.

في حين نجد أن 31.7% من المبحوثين يتدخلون في طريقة اللباس عند أبنائهم وذلك لضرورة التقيد باللباس المحتشم خاصة لدى الفتيات حتى لا يصبحن عرضة لكلام الناس.

الجدول رقم -61- يبين الأساليب المتبعة في تقديم وتناول الطعام لدى المبحوثين

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
66.7	40	اجتماع كل أفراد العائلة على مائدة واحدة
21.7	13	تقديم الطعام للذكور أولاً لوحدهم ثم الإناث
10	6	الفصل بين الكبار والصغار كل على حدى
1.6	1	أساليب أخرى تذكر
100	60	المجموع

لقد كانت العائلة الريفية الجزائرية كما قال بوتنفوشت تتميز بوجود بعض التنظيمات التي تفرقها عن باقي العائلات الأخرى، جانب من هذه التنظيمات يخص أسلوب تقديم الطعام وتناوله، فالأكل يقدم أولاً للرجال ويأكلون جماعة حول نفس المائدة ثم النساء في جهة والأطفال في جهة أخرى، وما إن يبلغ الطفل سن البلوغ حتى يتقدم إلى مائدة الرجال.

والملاحظ من أرقام ونسب هذا الجدول هو تغير هذا الأسلوب وأصبح معظم أفراد العائلة يجتمعون على مائدة واحدة للطعام، وهو ما تمثله نسبة 66.7% من المبحوثين الذين صرحوا بإتباعهم لهذا الأسلوب في عائلاتهم باستثناء بعض الحالات كالتأخر في العمل أين يضطر المبحوث أو احد أفراد عائلته للأكل وحده.

في حين نجد أن 21.7% من المبحوثين يتبعون أسلوب تقديم الطعام للذكور أولاً لوحدهم ثم الإناث لأنهم تعودوا على ذلك على حد تعبيرهم.

أما 10% منهم فيفصلون بين الكبار والصغار كل على حدى لأن الصغار يسببون بعض الفوضى في الأكل على حد تعبيرهم وما إن يكبروا حتى ينظمون إلى طاولة الكبار.

وعليه نخلص إلى القول أن هذه الأساليب المتبعة في تقديم وتناول الطعام هي عنصر هام من الثقافة المادية الريفية يختلف من عائلة إلى أخرى، لكن البارز فيها هو الاعتماد على الأسلوب الحديث الذي تتبعه معظم العائلات الجزائرية وهو اجتماع كل أفراد العائلة على مائدة واحدة وبداية التخلي عن مسألة تبجيل الذكور عن الإناث في الأكل من حيث الكم والكيف وحتى في التوقيت ما يعكس تطور ثقافة سكان الريف المدروس فيما يخص هذا المجال.

ثانياً: النتائج التي انتهت إليها الدراسة

1- النتائج العامة للدراسة

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج العامة للدراسة ككل والتي عنونها بتطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري، حيث كنا نريد أن نبرز أهم مظاهر هذا التطور وتوصلنا إلى ما يلي:

عرف النسق الثقافي لسكان الريف المدروس (الشعرة) تطوراً مس جوانبه المادية والمعنوية معاً، ومن أهم مظاهر هذا التطور نجد ما يلي:

1- اتجاه سكان الريف نحو استخدام الطرق العلاجية الحديثة بدل الطرق التقليدية (العشبية والغيبية) ، وزيادة اهتمامهم بتوفير الشروط الضرورية والصحية للحياة ونظافة المحيط الذي يعيشون فيه.

2- زيادة النشاط الاتصالي لسكان الريف وانفتاحهم على العالم الخارجي ومواكبة تطلعاتهم المستقبلية لمقومات الحياة العصرية.

3- تغير بعض القيم العائلية التقليدية لديهم كقيم الزواج المبكر وقيم تنشئة الأبناء على مبدأ التبعية والطاعة، وقيم تفضيل الذكر عن الأنثى وقيم إقصاء المرأة من الميراث، وإحلال مكانها قيم أخرى جديدة تتماشى مع متطلبات هذا العصر.

4- ظهور اتجاهات جديدة لدى السكان الريفيين كتأييد خروج المرأة للعمل والاتجاه نحو الزواج من خارج النسق القرابي، وتشجيع السكان لأبنائهم على التعليم وإرسالهم للمدارس، والاتجاه نحو أوعية جديدة للادخار والاستثمار والاتجاه نحو الأعمال والوظائف الخارجة عن إطار الزراعة وملحقاتها، مع بداية التوجه نحو تكريس وتطبيق نظام التباعد بين الولادات.

5- ابتعاد سكان الريف تدريجياً عن الاعتقاد بالغيبيات خاصة فيما يتعلق بالسحر والحسد كأحد مسببات بعض الحوادث والظواهر التي تطرأ عليهم، وبداية الأخذ بالأسباب الموضوعية والواقعية والعلمية في مثل هذه التفسيرات مع أن البعض منهم (سكان الريف) مازالت هذه المعتقدات تعشش في أذهانهم إلى حد الآن.

6- ظهور نوع من التحديث على مستوى الجانب المادي لثقافة الريفيين برز أكثر في شكل منازلهم وأثاثهم وأزيائهم وأساليب الطهي وتناول الطعام لديهم والتي أصبحت لا تفرق كثيرا عن تلك الموجودة لدى الحضريين، بالإضافة إلى بداية امتلاكهم لبعض الوسائل والتكنولوجيات الحديثة منها الهاتف النقال بشكل كبير وبدرجة ضئيلة الحاسوب والانترنت.

هذا وقد اكتشفنا على هامش هذه الدراسة ما يلي:

- انخفاض مستوى الدخل لدى بعض العائلات الريفية قلل إلى حد ما من نسبة المكونات الجديدة للثقافة المادية.

- ساهم تقريب مصادر التعليم من الريفيين ووفرة وسائل النقل وانتشار وسائل الاتصال والإعلام الحديثة في زيادة التنقل والإطلاع والفهم لدى الريفيين، وتبني أنماط جديدة من التفكير وطرق المعاملات.

ونخلص بالقول بأن هذه النتائج المتوصل إليها خاصة بريف الشعرة فقط ولا يمكن تعميمها على باقي المناطق والمجتمعات الريفية الأخرى، لأن هذه المنطقة تعتبر وحدة داخل نسق اجتماعي واسع تختلف في ظروفها الاجتماعية والاقتصادية عن باقي المناطق الريفية الأخرى، كما أن ثقافتها تشكل نسقا فرعيا مرتبط بثقافة المجتمع الأكبر، وبذلك يمكن التعميم فقط على المناطق التي تماثلها في هذه الظروف.

2- النتائج الجزئية للدراسة

أ- النتائج في ضوء الدراسات المشابهة

رغم البعد الزمني والمكاني بين دراستنا الحالية ودراستي دورجاناند سنها وديوب، إلا أننا رصدنا بعض أوجه التشابه والاختلاف بينهما سنوضحهما فيما يلي:

- فيما يخص دراسة دورجاناند سنها : "القرى الهندية في مرحلة التحول"

نجد هناك اتفاق بين نتائج دراستي الحالية ونتائج هذه الدراسة فيما يخص التغير المسجل في اتجاهات وقيم الريفيين ويتجلى ذلك في الاهتمام بتعليم الأبناء والتحاقهم بالوظائف الخارجة عن نطاق الزراعة، وابتعادهم عن المهنة التقليدية للأباء وهي الزراعة.

بينما نجد هناك اختلاف فيما يخص مستوى التطلعات حيث تركزت لدى القرويين في القرى الهندية على المشكلات اليومية ولم ينظروا إلى المستقبل بكثير من التفاؤل وأبدوا تقبلهم للوضع الذي يعيشون فيه. ولم يخرج الكثير منهم من صومعة التقاليد القديمة غير مبالين بما يحدث في العالم الخارجي، فكانوا منعزلين داخل النطاق الريفي.

في المقابل وجدنا سكان ريف الشعرة من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها كانت تطلعاتهم قد تعدت الحاجات الضرورية إلى الحاجات الكمالية وخاصة تلك المرتبطة بالاحتياجات العامة للمجتمع المحلي، كما لمسنا لديهم الرغبة في تغيير أوضاعهم خاصة من خلال مطالبتهم بالمساواة بينهم وبين سكان المناطق الحضرية في المرافق الخدمية.

كما سجلنا نوعاً من التحرر لديهم من الأعراف والتقاليد القديمة خاصة تلك التي تقف حاجزاً أمام طموحاتهم وأمام تحقيق أهدافهم، فأصبحوا يورثون نساءهم ويسمحون لهن بالخروج للعمل والدراسة، بينما كانوا في السابق يحتكمون إلى بعض الأعراف التي تقصي المرأة من الميراث وتعتبر خروجها للعمل بمثابة العار.

وإذا كان سكان القرى الهندية في تلك الفترة ليست لهم دراية بما يحدث في العالم الخارجي، فإن ثورة الاتصالات الحديثة عملت على جعل سكان ريف الشعرة حالياً أكثر انفتاحاً على العالم الخارجي وأكثر إطلاعاً وتفاعلاً مع الأحداث التي تجري فيه.

ويمكن أن نرجع أسباب هذا الاختلاف إلى الفترة الزمنية والمجال المكاني اللذان أجريت فيهما الدراستان فالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى التاريخية التي أجريت

فيها دراستي تختلف عن ظروف دراسة سنها خاصة مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة وتقريب مصادر التعليم من أبناء الريف وشق الطرقات ومدّها بين الأرياف والمدن حالياً والذي عمل على انفتاح سكان الريف على الثقافات الأخرى، وهو ما لم يكن موجوداً سابقاً في الفترة الزمنية التي أجرى فيها سنها دراسته، وإن وجد فلم يكن بالحجم الحالي، دون إغفال دور الاستعمار في تلك الفترة والذي عمل على تخلف قرى الهند وهو ما جعل تطلعات القرويين إلى المستقبل ضعيفة وانتشار نظرة اللامبالاة لديهم.

فيما يخص دراسة ديوب "القرية الهندية"

فتظهر أوجه الاتفاق بين النتائج التي توصل إليها والنتائج التي انتهت إليها الدراسة الحالية فيما يلي:

- كلا الدراستين اعتبرت النتائج المتوصل إليها خاصة بالمنطقة المستهدفة بالدراسة فقط ولا يمكن التعميم عن باقي المناطق والمجتمعات الأخرى.

- الاتفاق فيما يخص إبراز مظاهر التطور في المجال المادي للثقافة الريفية فكلتا الدراستين توصلتا إلى أن سكان الريف حدثوا في بعض العناصر المكونة لثقافتهم المادية خاصة وأنه يمكن ملاحظتها بكل سهولة وتتمثل أساساً في إدخال تقنيات جديدة في الزراعة وفي بناء المنازل ودخول التكنولوجيا الحديثة إلى الأرياف مع اختلاف في نوعية هذه التكنولوجيا في الدراستين فبالنسبة لديوب حصرها في الدراجات وحافلات النقل، لكن بالنسبة لنا هذه الوسائل لم تعد في وقتنا الحالي تسمى تكنولوجيا حديثة، فنحن حصرناها في الحواسيب والهواتف النقالة بشكل خاص.

- الاتفاق على بعض العوامل المسببة للتغير الاجتماعي والثقافي لدى ديوب والعوامل المساعدة على تطور النسق الثقافي الريفي بالنسبة لدراستنا الحالية وتتمحور أساساً في الاتصال الريفي الحضري والتوسع التربوي وانتشار التعليم، ووسائل الاتصال والإعلام الحديثة، ووفرة وسائل النقل.

بينما تختلف الدراستان في مسألة التماسك والترابط العائليين فديوب توصلت إلى أن هناك ضعف في التماسك والترابط لدى العائلات القروية.

في المقابل سجلنا نحن في دراستنا نسبة ضئيلة جداً من المطلقين وهذا يوحي أن هناك قوة وتماسك واستقرار عائلي كبير.

ب- النتائج في ضوء الاتجاهات النظرية للدراسة

- النتائج في ضوء الاتجاه التطوري

تختلف النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا مع توجه بعض النظريات المدرجة ضمن هذا الاتجاه خاصة فيما يتعلق بالقول أن الثقافة تتطور وفق خط مستقيم ومراحل التطور تتشابه في جميع مجتمعات العالم، ذلك لأن القول بأن جميع ثقافات العالم لا بد أن تمر عبر المراحل المحددة في هذا الخط المتدرج من المرحلة البدائية ثم البربرية ثم التحضر في رأيي هو يخص المجتمعات التي ولد وعاش فيها هؤلاء المنظرين ونتاجت عن الظروف معينة تختلف من مجتمع لآخر وبالتالي يجب التعامل بحذر مع مسألة التعميم السوسيولوجي.

هذا من جانب، من جانب آخر توجه دراستنا ككل يتعارض مع المسلمة التي يأخذ بها بعض منظري هذا الاتجاه ومنهم الأمريكي لويس هنري مورجان والتي تقول بأن الثقافة تتطور في مراحل متتابعة تتماثل في جميع أنحاء العالم وذلك لأن العمليات العقلية تتشابه بين الناس في ظل ظروف متشابهة في المجتمعات المختلفة، وهو الأمر الذي يبدو لي بعيدا نوعا ما عن الصواب .

لأن أساليب التفكير لدى الناس تختلف حتى في ظل الظروف المتشابهة والدليل على ذلك تسجيلنا لاختلاف في اتجاهات و سلوكات الريفيين الذين قمنا باستجوابهم والتي تعكس طرق تفكيرهم رغم أنهم يعيشون في نفس المنطقة وفي نفس الظروف، والمثال على ذلك هو أن بعض المبحوثين الذين استجوبناهم حول قضية تأييد أو عدم تأييد خروج المرأة للعمل، كانت إجابات البعض ترى أن خروج المرأة لا بد منه في الوقت الحالي لغايات متعددة سبق وأن ذكرناها في تعليق الجدول الخاص بهذا السؤال والبعض الآخر ما زال يرى أن البيت هو المكان الحقيقي للمرأة، رغم أنهم جيران، لكن آرائهم وسبل التفكير لديهم تختلف، وهذا يعود ربما إلى الاختلاف في طرق التنشئة ودرجة تقبلهم للفكرة الجديدة من عدمه.

- النتائج في ضوء الاتجاه الانتشاري

يركز هذا الاتجاه على إبراز آليات الانتشار الثقافي والعوامل المسببة للتطور الثقافي، وهو ما لم ندرجه ضمن تساؤلات دراستنا، لكننا عرجنا عليه في الجانب النظري منها واستطعنا اكتشاف بعض هذه الآليات من خلال تقربنا من سكان ريف الشعرة الذي أجرينا فيه الدراسة الميدانية.

ولذلك هناك اتفاق بين دراستنا وهذا الاتجاه فيما يخص اعتبار الاحتكاك والاتصال بين المجتمعات هو أساس التغيير والتطور الثقافي، لكن ليس هو العامل الوحيد، فالإعلام أصبح حاليا له

دورا فعالا في هذا الميدان وساهم في بناء تصورات جديدة لدى السكان الريفيين، حيث لاحظنا مثلا تقليد الريفيين لبعض الغربيين في نوعية الحلاقة واللباس من خلال شاشات التلفزيون والانترنت دون الاحتكاك أو الاتصال بهم مباشرة.

من جانب آخر، يذهب هذا الاتجاه إلى التسليم الحتمي بأسبقية العناصر المادية في الانتشار عن العناصر المعنوية، وهو ما يتعارض مع الاتجاه العام لدراستنا والذي يرى أن شراء موضة معينة من اللباس وهو عنصر مادي، لم يتم إلا بعد قناعة الشخص بفكرة هذا اللباس وتقبلها وهو أمر معنوي، ما يعني سبق العناصر المعنوية للعناصر المادية في الانتشار أو يمكن القول أن الأمر يتم في معية.

- النتائج في ضوء الاتجاه الوظيفي (التكامل والتناسق)

تتفق نتائج دراستنا مع ما جاءت به نظريات هذا الاتجاه فيما يخص اعتبار الثقافة كل متكامل من الفكر والعمل، رغم أننا فصلنا بين أجزاء الثقافة المادية والمعنوية وذلك لغرض تسهيل الدراسة فقط دون أي اعتبار آخر لأن هذه الأجزاء تتكامل فيما بينها ونمو وتطور هذه العناصر يصاحبه تطور مناظر في النسق الثقافي ككل.

لكن ما لا تتفق دراستنا مع هذا الاتجاه فيه هو مبالغتها في الوحدة والثبات والإتساق مع أن الثقافة دائمة التغير والتطور باستمرار وهو ما كشفنا عنه في النتائج التي توصلنا إليها حيث سجلنا تطورا لا بأس به مس النسق الثقافي الريفي وحددنا مظاهر ذلك التطور كما أشرنا إليه سابقا في العناصر المادية والمعنوية لهذا النسق والتي لم تكن بذلك الشكل في السابق.

النتائج في ضوء الاتجاه الرمزي

يركز هذا الاتجاه على عدم فصل الثقافة عن شعور وعقول الأفراد ويرى أن جوهر الثقافة هو تفاعل الأفراد وما يترتب عليه من معاني ومشاعر مشتركة وبذلك يصورون الثقافة على أنها كل يتكون من أنماط فكر وعواطف و أنماط عمل ولتفسير هذه العناصر الثقافية المكونة لهذا الكل لا بد من الاهتمام بالجانب الشخصي أو النفسي بمعنى تفسير الأشياء والأفعال أو السلوكيات من زاوية شخصيات الأفراد الذين قاموا بها بالإضافة إلى الاهتمام بالجانب غير الشخصي بمعنى تحديد العلاقة بين تلك الأفعال والأشياء منفصلة عن شخصيات فاعليها.

وهو ما تعاملنا به في تفسير بعض سلوكيات المبحوثين الذين أجرينا معهم المقابلة ويمكن أن نعطي مثلا على ذلك فيما يلي:

لقد عرفنا من بعض المبحوثات أنهن يتنازلن عن حقهن في الميراث ولما سألناهن عن شعورهن وهل يفعلن هذا لأنهن مضطرات إلى ذلك؟ أم أنه تم بمحض إرادتهن؟ اكتشفنا أن تنازل البعض منهن عن هذا الحق كان حبا لإخوتهن الذكور والبعض الآخر منهن خوفا من حدوث المشاكل التي تهدد الاستقرار العائلي.

فيما كانت الأعراف والعادات السائدة في المنطقة المدروسة سببا آخر غير شخصي ساهم في حرمان بعض نساء هذه المنطقة من الميراث.

- النتائج في ضوء النماذج النظرية المفسرة للريف

عموما أغلب النظريات التي أشرنا إليها في الفصل الأول والخاصة بدراسة وتفسير المجتمع الريفي وسكانه سواء كانت الثنائيات أو نظرية المحك الواحد والمحكات المتعددة والمتصل الريفي الحضري، اعتمدت بشكل كبير على المنهج المقارن بين خصائص المجتمع الريفي وخصائص المجتمع الحضري، وهو ما لم نعتمد عليه في دراستنا خاصة وأن تصوراتهم السابقة حول نمط الحياة في كلى المجتمعين أصبحت بالنسبة لنا حاليا متخلفة فالنظريات التي تقول بأن المجتمع الريفي يشغل معظم سكانه في الزراعة، لا تتوافق توجهاتها مع نتائجنا والتي وجدنا أن أغلب سكان المنطقة الريفية التي درسناها سكانها يملكون أراضي زراعية، لكن مهنتهم الحقيقية والتي تعتبر المصدر الفعلي لدخولهم تنتمي للقطاعات الخارجة عن إطار الزراعة.

وهذا نتيجة - كما توصلنا إليه - تداخل الحياة بين المجتمعين وحدوث التشابك على مستوى كل العلاقات القائمة بين المجتمعين (الريف والحضر) نتيجة وسائل الاتصال الحديثة وما تلعبه في ربط ثقافة كل من المجتمعين الريفي والحضري بثقافة المجتمع الأكبر الذي ينتميان إليه وجعل أبنائهما شركاء في ثقافة كبرى وإن تعددت انتماءاتهم الإقليمية وثقافتهم الفرعية.

ج- النتائج في ضوء تساؤلات الدراسة

بما أن التساؤل الرئيسي في الدراسة أجبنا عليه من خلال النتائج العامة، فسنحاول هنا التعرف على باقي النتائج من خلال الإجابة على باقي التساؤلات الفرعية كما يلي:

- النتائج الخاصة بالتساؤل الأول والمتمثل في: ما نوع أساليب العلاج التي يتبعها السكان الريفيون؟ هل هي تقليدية أم هي حديثة؟ وهل يهتمون بتوفير الشروط الصحية في محيطهم المعيشي؟

فقد أثبتت النتائج الميدانية أن معظم سكان ريف الشعرة يستخدمون الطرق العلاجية الحديثة بدل الطرق التقليدية (العشبية والطقسية) ويتجسد ذلك في عدة نقاط أهمها:

1- اتجاه السكان الريفيين في حالة مرضهم إلى استشارة الأطباء، بينما كانوا في السابق يستخدمون الأعشاب والكي والحجامة في معالجة الأمراض التي تحل بهم.

2- إقلاع الريفيين عن استخدام بعض الأساليب الغيبية في العلاج كزيارة أضرحة الأولياء للاستشفاء والذهاب إلى الرقاة والمشعوذين خاصة بعد اكتشافهم أن أغلب الرقاة غير شرعيين ويهدفون إلى الربح المادي على حساب صحة المرضى.

3- بداية اهتمام السكان الريفيين بنظافة المحيط الذي يعيشون فيه من خلال بناء حظائر للحيوانات ومواشيهم بعيدا عن المنازل التي يسكنون فيها، وزيادة اهتمامهم بتوفير الشروط الصحية والضرورية للحياة في منازلهم، كاعتمادهم على قنوات صرف المياه الصحي، وتهوية منازلهم، وهو ما يعني أن الريفيين يشعرون بالقلق تجاه صحتهم، بعدما شاع عليهم أنهم لا يكثرثون كثيرا لهذا الأمر.

4- لكن موازاة مع ذلك هناك نسبة لا بأس بها من المبحوثين الذين صرحوا بأنهم يستخدمون الطرق الشعبية في التداوي بالموازاة مع الطرق العلاجية الحديثة، خاصة لغرض التهدئة الأولية للمرض حتى التصرف النهائي فيه.

- **النتائج الخاصة بالتساؤل الثاني والمتمثل في: هل ازدادت وتيرة النشاط الإتصالي لسكان الريف؟ وهل يسعون إلى مواكبة الحياة العصرية والانفتاح على العالم الخارجي ؟**
فقد وصلنا إلى رصد الحقائق التالية:

1- زيادة النشاط الاتصالي لدى سكان الريف وتجسد في النقاط التالية:

- تردد سكان الريف على أصدقائهم وأقاربهم الساكنين في المدن والأرياف بشكل دائم ومستمر، وتبادلهم للزيارات، وهو ما يعني خروج الريفيين من العزلة التي كانوا يعيشون فيها سابقا من جهة، ومن جهة أخرى اكتشافهم لأساليب وأنماط جديدة في طرق التفكير والسلوك تسهم بشكل أو بآخر في رسم ثقافة جديدة لديهم كنتيجة لهذا التواصل والتفاعل.

2- استخدامهم لوسائل اتصال حديثة أهمها الهاتف النقال الذي غير في طرق الاتصال وعادات الكلام لديهم، فلما كان في السابق يتم وجها لوجه أصبح الآن يتم عن بعد وهو ما ساهم في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية لدى السكان الريفيين خاصة من ناحية تقليبه لظاهرة اللقاءات والحوار بين السكان.

3- أما الانفتاح على العالم الخارجي فقد تجسد فيما يلي:

- تعرض سكان الريف لمختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية وهو ما يعني إطلاعهم على ما يجري في العالم الخارج عن إطار الريف على المستوى المحلي والوطني وعلى المستوى العالمي، وإمامهم بالأحداث والأخبار المتناقلة عبر هذه الوسائل، وهذا يعطي لهم فكرة عن أنماط المعيشة والحياة عند السكان الآخرين (سكان المدن في الجزائر وسكان البلدان الأخرى).

4- أما مواكبة السكان الريفيين للحياة العصرية فقد برزت أكثر في تطلعاتهم المستقبلية التي تعدت الحاجات الضرورية كالمأكل والملبس والمأوى وأصبحوا يطالبون بالمساواة بينهم وبين سكان المدن في المرافق العمومية والخدمية ونقل التكنولوجيا إلى الأرياف.

- **النتائج الخاصة بالتساؤل الثالث والمتمثل في:** هل يظهر الريفيون تغيرا في قيمهم العائلية التقليدية؟

فقد تبين لنا أن بعض القيم العائلية التقليدية لدى سكان الريف قد تعرضت للتغير وأجلّ مكان البعض منها قيمة جديدة تتماشى مع متطلبات العصر الحالي ويمكن أن نوضح هذه التغيرات فيما يلي:

1- لم تعد قيم الزواج المبكر تلق الاهتمام والتشجيع من قبل السكان الريفيين وذلك لإدراكهم للمشاكل التي قد تنجم عن مثل هذا الزواج، كالطلاق خاصة وخلق الإتكالية لدى الأزواج الصغار في السن على آبائهم، وغيرها من المشاكل الأخرى.

2- إحلال قيم الاختيار في الزواج خاصة لدى الفتاة مكان قيم الغصب التي كانت مكرسة سابقا في العائلات الريفية وهذا نتيجة زيادة وعي الريفيين وإيمانهم بضرورة أن يكون للأبناء الحرية في اختيار شريك حياتهم.

3- إحلال قيم الاعتدال بين التبعية والاعتماد على النفس في تنشئة الأبناء لدى سكان الريفيين مكان قيم التبعية والخضوع والطاعة، بعد اكتشافهم أن هذه القيم الأخيرة تعمل على قتل روح الإبداع والثقة في النفس لدى الأبناء وتخلق لدى البعض منهم مشاكل نفسية كثيرة خاصة الانطواء والانزواء.

4- إحلال قيم عدم التفرقة والمساواة في المعاملة بين الأبناء الذكور والإناث مكان قيم التمييز بينهما وتفضيل الذكر عن الأنثى، لإدراكهم أن كل جنس خلق لدور منوط به، وأن هذه التفرقة لا تولد سوى الكراهية والشقاق بين الإخوة.

5- أصبح ميراث المرأة من القيم التي يحرص السكان الريفيون على تطبيقها خاصة وأنهم كانوا في السابق يقصون المرأة من هذا الحق، وهذا يدل على وقوفهم في وجه بعض الأعراف المغايرة للشريعة الإسلامية التي تحرم المرأة من الميراث.

- في المقابل ما زال سكان الريف يحافظون على بعض القيم العائلية التقليدية كقيم الجمعية والعائلية، لأن في رأيهم العيش في الإطار الجماعي مع أبنائهم الذكور المتزوجين من شأنه المحافظة على وحدة العائلة وتماسكها ويقوي الروابط العائلية .

بالإضافة إلى قيم الإنجاب لأعداد كبيرة من الأبناء لأنهم ما زالوا يعتبرونهم كبركة وهبة من عند الله، دون الاكتراث كيف سيعيشون في المستقبل خاصة في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة.

- **النتائج الخاصة بالتساؤل الرابع والمتمثل في:** هل يظهر سكان الريف تغيرا في اتجاهاتهم التقليدية ؟

فقد توصلنا إلى أن الريفيين المبحوثين غيروا في بعض من اتجاهاتهم التقليدية وتجسد ذلك في النقاط التالية:

1- تأييد سكان الريف لخروج المرأة للعمل، بينما كانوا في السابق يرون فيه أمرا اجتماعيا غير مرغوب فيه، والدليل على ذلك هو خروج فئة لا بأس بها من نساء الريف المدروس للعمل لغايات متعددة منها الحاجة الاقتصادية، واستغلال الشهادة العلمية للمتعلقات منهن ومحاولة إثبات الوجود لدى البعض الأخر منهن، ما يعني تغير النظرة السلبية تجاه عمل المرأة خارج منزلها.

2- تشجيع السكان لأبنائهم على التعليم وإرسالهم للمدارس، فيما كانوا في السابق ينظرون إليه على أنه مضيعة للوقت، وهو ما يعكس زيادة وعي هؤلاء الريفيين بضرورة التعليم، خاصة أنه السبيل الوحيد للالتحاق ببعض المهن والمناصب العليا والمرموقة .

3- اتجاه سكان الريف نحو الزواج من خارج النسق القرابي، فيما كانت معظم الزيجات في الريف سابقا تتم في الإطار الداخلي للعائلة (الدائرة القرابية)، لعدة أسباب أهمها التحاق أبناء الريف بالمعاهد والجامعات ومؤسسات العمل مما أدى إلى بناء علاقات جديدة خارج المحيط الريفي نتج عنها الزواج من خارج النسق القرابي، والدليل على ذلك هو تسجيل نسبة معتبرة من المبحوثين الذين زوجوا أبناءهم من خارج الدائرة القرابية.

4- اتجاه الريفيين نحو ادخار واستثمار أموالهم في أوعية جديدة كالمشاريع التجارية فيما كانت سابقا تنحصر في شراء الماشية والأرض الزراعية، وهو ما يعكس اتساع أفق تفكير الريفيين وأصبحوا يمتلكون النظرة المستقبلية والتخطيط لحياتهم بشكل أفضل.

5- لقد كان سكان الريف ينظرون إلى الزراعة في الماضي على أنها العمود الفقري لحياتهم، وتشكل في نظرهم موروثا ثقافيا يجب المحافظة عليه، لكن أصبحوا الآن يفضلون عمل أبنائهم في قطاعات النشاط المختلفة عن عملهم في الزراعة وذلك نتيجة للظروف الاقتصادية وصعوبة العمل الزراعي.

6- بداية الاتجاه نحو تطبيق النسبي لنظام التباعد بين الولادات، لكن ما تزال النسبة التي سجلناها في الدراسة الميدانية ضئيلة، حيث تمثل نصف المبحوثين الذين يطبقون هذا النظام فقط والنصف الآخر ما زالت سياسة تنظيم النسل لم تجد الطريق إليهم بعد.

7- في المقابل هناك استمرار التوجه التقليدي لدى السكان الريفيين نحو كبار السن لفض نزاعاتهم التي تحدث عندهم بدل الاتجاه إلى القانون وذلك لحفظ خصوصية الحياة الاجتماعية وأسرارها في الريف.

- **النتائج الخاصة بالتساؤل الخامس والمتمثل في: هل مازال سكان الريف يتمسكون بالمعتقدات الشعبية خاصة تلك المرتبطة بالسحر والحسد ؟**

فقد أثبتت الدراسة الميدانية ابتعاد نسبة لا بأس بها من سكان الريف المدروس عن الاعتقاد بالغيبيات خاصة فيما يتعلق بالسحر والحسد كأحد مسببات بعض الحوادث والظواهر التي تطرأ عليهم، ويتجسد ذلك في النقاط التالية:

1- عدم استخدام الريفيين للتمائم في بيوتهم وممتلكاتهم وهذا يعكس أنهم أصبحوا يفكرون بطريقة عقلانية وواقعية وعلمية، وأصبحوا لا يؤمنون بمقدرتها (التمام) على وقايتهم من الحسد.

2- إقلاع الريفيين عن بعض الممارسات التي كانوا يقومون بها في أفراحهم اعتقادا منهم على أنها تقي من خطر السحر والحسد اللذان قد يصيبان العريس والعروس، كتعليق بعض الأحذية في لباس العروس ورقية بيت العريس وغيرها.

3- تفسيرهم لبعض الحوادث كفشل التلاميذ في الدراسة وتعطل الآلات الحديثة فجأة وجفاف لبن بعض المواشي فجأة كذلك بأسباب موضوعية وواقعية، تبتعد عن تلك التفسيرات التقليدية التي غالبا ما ترجع سبب هذه الحوادث إلى الحسد.

- النتائج الخاصة بالتساؤل السادس والمتمثل في: هل حدّث سكان الريف في الجانب المادي من ثقافتهم أم مازال طابع التقليدية يخيم عليه ؟

فقد اتضح من خلال الدراسة الميدانية ما يلي:

ظهور نوع من التحديث على مستوى الجانب المادي لثقافة الريفيين تجسد فيما يلي:

1- استخدامهم للأدوات الحديثة في الزراعة بدل التقليدية، وتصميم وبناء منازلهم من المواد الحديثة وعلى طريقة تشبه إلى حد كبير منازل الحضرين.

2- امتلاكهم لبعض التقنيات الحديثة الخاصة بالاتصال كالهاتف النقال وارتداء أبناء الريف للأزياء والملابس ذات الموضات الحديثة.

وهو ما يعني أن الريفيين أصبحوا يهتمون بهندامهم ومظهرهم الخارجي فيما كانوا سابقا لا يولون أهمية لهذا الأمر.

3- زيادة تنوع أثاثهم وهداياهم والبعض منه واتصافه بالتعقيد فيما كان في السابق يتصف بالبساطة، ويستمد من البيئة المحلية.

4- اعتمادهم على أساليب حديثة في تقديم وتناول الطعام وهو الاجتماع على مائدة واحدة، بينما كان في السابق يقدم الطعام للرجال أولا لوحدهم ثم النساء لوحدهم وآخرون يفصلون بين الكبار والصغار.

– خلاصة عامة للدراسة

بناءً على المعلومات والأفكار التي تناولناها والقضايا التي عالجناها في هذه الدراسة نخلص إلى ما يلي:

– سكان الريف لا يعانون من التخلف الثقافي والفراغ الفكري، المشاع عليهم سابقاً خاصة وأنهم أصبحوا الآن يأخذون بالأسباب الموضوعية والعلمية في تفسير الحوادث التي تطرأ عليهم، وأصبحوا يقفون في وجه بعض العادات والأعراف التي تحد من طموحاتهم ونشاطهم الفكري والعملية.

– لعبت وسائل الاتصال الحديثة وانتشار التعليم بين أوساط الريفيين دوراً فعالاً في انفتاحهم على الثقافات الأخرى الحديثة، وزاد بذلك وعيهم واتسع أفقهم الفكري، وأصبحوا يخططون لمستقبلهم، فيما كانوا في السابق يعيشون فقط لأجل اليوم نفسه واتسمت نظرتهم المستقبلية بالمحدودية.

– أصبح سكان الريف يتطلعون إلى مواكبة الحياة العصرية، وأصبحوا يطالبون بالمساواة بينهم وبين السكان الحضريين في العديد من المرافق العمومية.

– تغيير السكان الريفيين لبعض من قيمهم التي لا تتماشى مع متطلبات العصر، وأبقوا على تلك التي تضمن لهم الترابط والتماسك العائليين.

– التغيير والتعديل في بعض من اتجاهات الريفيين لضرورات اقتصادية واجتماعية، فرضتها ظروف الحياة الحالية، أو كنتيجة لقناعتهم الشخصية بضرورة التغيير.

– تبدو مظاهر التطور جلية أكثر في العناصر المادية للثقافة الريفية، كاللباس ونمط المساكن والأثاث، وهذا لا ينفي وجود تطور مصاحب في الجوانب المعنوية لهذه الثقافة، والتي عبرنا عن مظاهرها وفق مؤشرات سبق ذكرها في الدراسة.

– هناك اتجاه واضح لسكان الريف المدروس نحو الطب الحديث والذي جاء نتيجة للتفسير الموضوعي والواقعي للأمراض التي تحل بهم، لكن هذا لا ينفي انتشار العلاج التقليدي، موازاة مع أساليب العلاج الحديثة وخاصة منه العلاج بالأعشاب والحجامة والكي بالنار، كما

لاحظنا أن معظم المبحوثين يتحدثون عن ظاهرة الرقبة التي انتشرت وبشكل كبير وليس فقط في الأرياف وإنما في المجتمع الجزائري ككل، والتي أصبحت تعالج كل الأمراض التي يتعرض لها السكان كما يلجؤون إليها في أوقات الامتحانات ومناسبات الزواج وحالات العقم وغيرها.

- تلعب العوامل الاقتصادية دورا هاما في تغيير بعض السكان الريفيين لاتجاهاتهم وقيمهم، فمثلا نجد أن هناك من سمح لبناته بالعمل لأجل مساعدته ماليا في مصاريف البيت، وهناك من أصبح يتخلى عن مهنة أبائه وأجداده، أي الزراعة، لغرض الربح الوفير، الذي لا يمكن جنيته من خلال العمل الزراعي، كما ساهمت الصعوبات الاقتصادية في تقليل معدلات الإنجاب لدى العائلات الريفية، لما يتطلبه ذلك من أكل ولباس وتربية وعناية.

الخاتمة

نصل في ختام هذا الدراسة إلى تقديم بعض الاقتراحات والتوصيات التي تساهم في نظري، وبشكل فعال في تنمية المجتمع الريفي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وهي كما يلي:

- يجب إعطاء أهمية كبرى لثقافة المجتمعات المحلية (الأرياف والمدن) لأنها القاعدة الأساسية للتحويلات التي يشهدها المجتمع ككل في جميع الميادين خاصة الدور الذي تلعبه في دفع عجلة التنمية والتطور إلى الأمام والنقدم والرقى.

- ضرورة الاهتمام بتحديث الريف وتحسين أحواله خاصة في مجال فتح فرص الشغل لأبنائه، وكذلك الخدمات والمرافق العمومية المختلفة حتى يكون هناك نوع من التوازن بين الريف والمدينة في الجزائر، خاصة وأن سكان الريف أبانوا من خلال هذه الدراسة الميدانية عن زيادة وعيهم، واتساع أفق تفكيرهم وزيادة طموحاتهم وتطلعاتهم للحياة العصرية، ومحو صورة التخلف الثقافي التي كانت تلازمهم لسنوات عدة.

- لتصرفات أفراد المجتمع دوافع ثقافية يجب حصرها والتعرف عليها وتصنيفها، وبهذا يصبح بالإمكان تعزيز بعض القيم السليمة في الريف كالإحترام والضيافة والتعاون والتكافل الإجتماعي، وفي المقابل يجب الوقوف في وجه بعض القيم الأخرى السلبية والعمل على تعديلها لتتلاءم مع ما يحدث من تغيرات وتطورات في المجتمع ككل، ولكي لا تقف عائقا أمام عمليات التنمية المختلفة التي تمس الأرياف.

- ضرورة الاهتمام بشريحة الشباب الريفي الذي يحتل نسبة كبيرة من سكان الريف الجزائري وفهم تطلعاته وطموحاته، خاصة أن هذه الفئة تتميز بالاندفاع إلى كل جديد ورفض كل ما هو قديم.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

أ- الكتب

- 1- أبو طاحون، عدلي علي. في التغيير الاجتماعي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997.
- 2- أبو طاحون، عدلي علي. علم الاجتماع الريفي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997.
- 3- ابن خلدون، عبد الرحمان. المقدمة الطبعة الخامسة، لبنان: دار القلم، 1984.
- 4- إبراهيم، محمد عباس. الثقافات الفرعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2001.
- 5- أحمد، علي فؤاد. علم الاجتماع الريفي، بيروت: دار النهضة العربية، 1981.
- 6- أحمد، علي فؤاد. مشكلات المجتمع الريفي في العالم العربي، بيروت: دار النهضة العربية، بدون سنة نشر.
- 7- أحمد، غريب محمد سيد. علم الاجتماع الريفي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1982.
- 8- أحمد، غريب محمد سيد؛ عبد المعطي، عبد الباسط. علم الاجتماع الريفي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2002.
- 9- أطلس الجزائر والعالم، تحرير محمد الهادي لعروق وسمير بوريمة، الطبعة الثانية، الجزائر: دار الهدى، بدون سنة نشر.
- 10- الأثرم، محمود. محاضرات في المجتمع الريفي، سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1976.
- 11- الجوهرى، محمد. الفولكلور العربي بحوث ودراسات الطبعة الأولى، القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2000.

- 12- الجوهري، محمد؛ شكري، علياء. علم الاجتماع الريفي والحضري الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، 1983 .
- 13- الجوهري، محمد؛ وآخرون. ميادين علم الاجتماع الطبعة الخامسة، القاهرة: دار المعارف، 1980 .
- 14- الجولاني، فادية عمر. علم الاجتماع الحضري، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997 .
- 15- الجولاني، فادية عمر. علم الاجتماع التربوي، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997 .
- 16- الهيلالي، عبد الرزاق. المجتمع الريفي العربي والإصلاح الزراعي، القاهرة: دار الكتاب العربي، بدون سنة نشر.
- 17- الحصري، أبو خلدون ساطع. دراسات عن مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار الكتاب العربي، 1967.
- 18- السويدي، محمد. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 .
- 19- السويدي، محمد. مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991 .
- 20- السويدي، محمد. بدو الطوارق بين الإثبات والتغير، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .
- 21- السيد، عبد العاطي. علم الاجتماع الحضري الجزء الأول، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003 .
- 22- العيسوي، عبد الرحمان محمد. تفاعل الجماعات البشرية، الإسكندرية: دار الجامعة، 2006 .
- 23- العمر، معن خليل. ثنائيات علم الاجتماع، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2001 .

- 24- الفوال، صلاح مصطفى. علم الاجتماع البدوي الطبعة الأولى، القاهرة: دار نافع للطباعة والنشر، 1974 .
- 25- الصديقي، سلوى عثمان. قضايا الأسرة والسكان من منظور الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001 .
- 26- الصديقي، سلوى عثمان؛ بدوي، هناء حافظ. أبعاد العملية الاتصالية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999 .
- 27- الصديقي، سلوى عثمان؛ علي، أميرة منصور يوسف، المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005 .
- 28- القصير، عبد القادر. الهجرة من الريف إلى المدن، بيروت: دار النهضة العربية، 1996.
- 29- القصير، عبد القادر. الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1999.
- 30- التابعي، كمال. مقدمة في علم الاجتماع الريفي الطبعة الأولى، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2007 .
- 31- الثبيني، عبد الله بن عايض سالم. علم اجتماع التربية الطبعة الأولى، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2002 .
- 32- الخولي، سناء. التغير الاجتماعي والتحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003.
- 33- الخشاب، مصطفى. دراسة المجتمع، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977 .
- 34- إسماعيل، قباري محمد. علم الاجتماع الحضري ومشكلات التهجير والتغير والتنمية، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1985.
- 35- إسماعيل، قباري محمد. علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، الإسكندرية: منشأة المعارف، بدون سنة نشر.
- 36- بدوي، محمد. مبادئ علم الاجتماع الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف، 1976.

- 37- بوحوش، عمار. دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2002 .
- 38- بوفلجة، عنيات. تحولات ثقافية، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع 2005 .
- 39- بوقصاص، عبد الحميد. النماذج الريفية - الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، الجزائر: مخبر التنمية والتحويلات الكبرى، بدون سنة نشر.
- 40- بوتومور. تمهيد في علم الاجتماع ترجمة محمد الجوهري وآخرون، الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1973 .
- 41- بوتقنوش، مصطفى. العائلة الجزائرية ترجمة دمري أحمد، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 .
- 42- بن أشنهو، عبد اللطيف. الهجرة الريفية في الجزائر ترجمة عبد الحميد أتاسي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون سنة نشر.
- 43- بن عبد الكريم، محمد. الثقافة ومآسي رجالها، الجزائر: شركة الشهاب، 1978.
- 44- بركات، حلیم. المجتمع العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984.
- 45- جابر، سامية محمد؛ وآخرون. علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2001.
- 46- جلبي، علي عبد الرزاق؛ وآخرون. علم الاجتماع الثقافي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998.
- 47- جلبي، علي عبد الرزاق. دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، بدون سنة نشر.
- 48- جغلول، عبد القادر. تاريخ الجزائر الحديث الطبعة الثالثة، الجزائر: دار الحدائث بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، 1983 .
- 49- دكلة، محمد عبد الهادي. المجتمع الريفي، بغداد: دار الكتب، 1979 .

- 50- دليو، فضيل؛ غربي، علي. أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، قسنطينة: دار البعث، 1999 .
- 51- دعبس، يسرى. الثقافة والشخصية، الإسكندرية: بدون دار النشر، 1997 .
- 52- وهب، علي. المجتمعات البشرية والأنماط المعيشية والسلوكية، لبنان: دار الفكر العربي، 1996 .
- 53- وصفي، عاطف. الأنثروبولوجيا الثقافية، بيروت: دار النهضة العربية، 1971 .
- 54- حامد، خالد. منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2008 .
- 55- حسن، محمود. الأسرة ومشكلاتها، بيروت: دار النهضة العربية، 1981.
- 56- حسن، سمير إبراهيم. الثقافة والمجتمع تقديم خضر زكريا، دمشق: دار الفكر، 2007.
- 57- طوالي، نور الدين. الدين والطقوس والتغيرات، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بالتعاون مع منشورات عويدات بيروت، 1988.
- 58- ليلة، علي. الثقافة العربية والشباب، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003.
- 59- مجموعة من المؤلفين. التعايش بين الثقافة على كوكبنا الأرض ترجمة فؤاد إسكندر، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1972.
- 60- مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة. مونوغرافية ولاية باتنة لسنة 2008، باتنة: مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، 2009.
- 61- مزاهرة، أيمن؛ وآخرون. علم الاجتماع في الصحة، الأردن: دار اليازوري، 2002.
- 62- محمد، محمد علي؛ وآخرون. دراسات في علم الاجتماع الطبي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989.
- 63- مندراس، هنري، مبادئ علم الاجتماع ترجمة ملحم حسن، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، بدون سنة نشر.
- 64- مرسى، محمد عبد المعبود. التفسير الاجتماعي للثقافة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990.

- 65- مختار، وفيق صفوت. الأسرة وأساليب تربية الطفل، القاهرة: دار العلم والثقافة، 2004.
- 66- مغربي، عبد الغني. الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- 67- نخبة من أساتذة الجامعات. دراسة في علم الاجتماع الريفي الطبعة الثانية، الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2002.
- 68- عبد الباقي، زيدان. أسس علم السكان، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1978.
- 69- عبد الوهاب، جلال. العلاقات الإنسانية والإعلام، الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1984.
- 70- عودة، محمود. أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، بيروت: دار النهضة العربية، 1988.
- 71- عودة، محمود. دراسات في علم الاجتماع الريفي، بدون مكان ودار وسنة النشر.
- 72- عمر، محمد التوجي الشيباني. مناهج البحث الاجتماعي، بيروت: دار الثقافة، 1971.
- 73- عثمان، إبراهيم. مقدمة في علم الاجتماع، الأردن: دار الشروق، 2004.
- 74- فرح، إلياس. مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية الطبعة الرابعة بيروت: دار الطليعة، بدون سنة النشر.
- 75- قطب، محمد. معركة التقاليد، بيروت: دار الشروق، 1982.
- 76- رمزي، نبيل؛ أبو طاحون، عدلي علي. التنمية كيف؟ لماذا؟ الإسكندرية: دار الفكر الاجتماعي، 1992.
- 77- رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. السكان من منظور علم الاجتماع، الإسكندرية: المكتبة الجامعية، بدون سنة النشر.
- 78- رشوان، حيسن عبد الحميد أحمد. دور التغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999.

- 79- رشوان، حيسن عبد الحميد أحمد. علم الاجتماع وميادينه الطبعة الثالثة، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1997.
- 80- شاكرا، محمود. سكان العالم الإسلامي، الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1989.
- 81- شوقي، عبد المنعم. مجتمع المدينة، بيروت: دار النهضة العربية، 1981.
- 82- شيشكلي، محسن. دراسات في المجتمع العربي الطبعة الثانية، سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1965.
- 83- شريف، فاتن محمد. الثقافة والفلكلور، الإسكندرية: دار الوفاء، 2008.
- 84- شريف، فاتن؛ غنيم، محمد أحمد. السر والحسد في المجتمعات الريفية جزئين الإسكندرية: منشأة المعرفة، 1998.
- 85- شرف الدين، فهيمة. الثقافة والإيديولوجيا في العالم العربي، بيروت: دار الآداب، 1993.
- 86- شتا، علي. البناء الثقافي للمجتمع خمسة أجزاء، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1995.
- 87- خليل، نجلا عاطف. علم الاجتماع الطبي وثقافة الصحة والمرض، مصر: المكتبة الأنجلو مصرية، 2006.
- 88- خليل، خليل أحمد. المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، بيروت: دار الحداثة، 1984.
- 89- خليل، خليل أحمد. نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية، لبنان: دار الحداثة، 1979.
- 90- خضير، إدريس. التفكير الاجتماعي وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
- 91- غامري، محمد حسن. دليل البحث الأنثريولوجي في المجتمع البدوي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1989.
- 92- غيث، محمد عاطف. علم الاجتماع الحضري، الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1972.
- 93- غيث، محمد عاطف. علم الاجتماع القروي، بيروت: دار النهضة العربية، 1967.

94- غريب، غريب عبد السميع. الاتصال والعلاقات العامة في المجتمع المعاصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2003.

ب- المجلات

95- الزبيري، محمد العربي " الغزو الثقافي في الجزائر"، في مجلة الرؤيا، العدد 2، الجزائر: بدون دار النشر، 1982.

96- بوحجار، محمد ناصر. " مميزات التربية الإسلامية"، في مجلة الأصالة، العدد 89، قسنطينة: مطبعة البعث، 1981.

97- بوعنقة، علي. " وجهة نظر سوسولوجية لرعاية الشباب"، في مجلة الثقافة، العدد 82، الجزائر: مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984.

98- بوتفوشت، مصطفى. " من صور وأنماط الألفة الاجتماعية في المجتمع الجزائري" ترجمة حسن بن مهدي، في مجلة الثقافة، العدد 88، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985.

99- بركات، أنيسة. "التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال"، في مجلة الثقافة، العدد 82، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984.

100- لوثن، حسين. " مؤسسات التعليم والتكوين في الجزائر- رؤية لواقع التعليمي متغير وإستراتيجية تحقيق توازنه"، في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، الجزائر: جامعة باتنة، 2004.

101- مهساس، أحمد. " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية"، في مجلة الثقافة، العدد 85، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985.

102- تركي، رابح. " التربية والشخصية الجزائرية"، في مجلة الأصالة، العدد 6، الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1972.

ج- المحاضرات

103- بوذراع، أحمد. " خصائص المجتمع الريفي"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

104- بوزراع، أحمد. " مفهوم الريف"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

105- بن السعدي، الشريف. " سكان الريف وأشكال التجمعات الريفية"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008

106- بن الشيخ، العربي. " البناء الاجتماعي للريف"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008

107- بن الشيخ، العربي. " البنية الدينية للريف"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008

108- بن الشيخ، العربي. " مميزات الريف الجزائري"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008.

109- لوثن، حسين. " الزراعة في الجزائر"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008

110- لوثن، حسين. " مدخل مفاهيمي للاقتصاد الريفي"، محاضرة أقيمت على طلبة السنة الأولى ماجستير، فرع علم الاجتماع الريفي، جامعة باتنة، 2008

د- المعاجم والموسوعات.

111- بيار، بونت، إيزار، ميشال. معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا ترجمة مصباح الصمد، الجزائر: المعهد العالي العربي للترجمة بالتعاون مع مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت، 2006.

112- مارشال، جودون. موسوعة علم الاجتماع ثلاثة أجزاء، تقديم محمد الجوهري، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، إدارة المطبوعات والنشر، 2000.

113- معجم العلوم الاجتماعية ترجمة وتصدير إبراهيم مذكور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975.

هـ- الرسائل الجامعية

114- لبرش، راضية. " نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثبات والمتغير"، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع العائلي، جامعة باتنة، 2002، 196 صفحة.

115- قلمامي، سناء. " صراع الأجيال حول القيم الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية" رسالة ماجستير غير منشورة في تخصص علم الاجتماع العائلي، جامعة باتنة، 2003، 223 صفحة.

ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية:

116- Lambotte, Robert. Algérie Naissance d'une société Nouvelle, Paris : Pas d'éditeur, 1976.

117- Launay, Michel. Paysans Algériens, Paris : Edition du seuil, 1963.

118- Marc, Cote. Mutations rurales en Algérie, le Cas des Hautes plaines de l'est, 2^{eme} édition, Alger : office des publications universitaires, 1981.

119- M.E.S.R.S et O.N.R.S. village socialistes et Habitat Rural, Alger ; Office des publications universitaires, 1976.

120- Placide, Rambaud. Société Rurale et Urbanisation, 2^{eme} édition, Paris : Edition du seuil, 1969.

121- Secrétariat Social d'Alger. De L'Algérie Originelle à L'Algérie moderne- éléments de sociologie culturelle ou service de l'éducation de base, Alger : Edition de secrétariat social d'Alger, 1961.

122- Yvonne, Turin. Affrontements culturels dans l'Algérie Coloniale. 2^{eme} Edition, Alger : entreprise Nationale du livre ,1983.

ثالثا: المواقع الالكترونية:

123- [http : //Sitere sources. World Bank. Org/ intmena inarabic/ sources/ Poverty- Brief- ARB- 2008 Am. PDF](http://Sitere sources. World Bank. Org/ intmena inarabic/ sources/ Poverty- Brief- ARB- 2008 Am. PDF).

124- www. Abhatoo.net.ma/ Omar Bessaoud. Stratégie de développement rural en Algérie. PDF.

125- www.Ons.dz/statistiques/ emploi et chomage ou quatrième trimestre. 2007.

126- [www.Ons.dz/statique Sociale/ éducation/ élèves et étudiants inscrits](http://www.Ons.dz/statique%20Sociale/%C3%A9ducation/%C3%A9l%C3%A8ves%20et%20%C3%A9tudiants%20inscrits)
entre 2000-2005.

127-www.arabgeographers.net/vb/showthread.php?t=10360

العلاج في

مُلْحَق رَقْم 1

إِسْتِمَارَة مَقَابِلَة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

استمارة دراسة

الموضوع

تطور النسق الثقافي لسكان الريف الجزائري

دراسة ميدانية بريف الشعرة - بلدية بومقر - ولاية باتنة
مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير - فرع علم الاجتماع الريفي

إشراف الدكتور
حسين لوشن

إعداد الطالبة
نبيلة خبرارة

ملاحظة

المعلومات التي احتوت عليها الاستمارة تخدم مباشرة أغراض الدراسة السوسولوجية فقط

أولاً : البيانات المتعلقة بالحالة الشخصية لعينة الدراسة

- 1- الجنس : ذكر أنثى
- 2- السن :
- 3- الحالة العائلية : متزوج مطلق أرمل
- 4- الوضع التعليمي : أمي يقرأ و يكتب ابتدائي متوسط ثانوي جامعي
- 5- عدد أفراد العائلة :
- 6- النشاط المهني :
- 7- مستوى الدخل : منخفض متوسط مرتفع
- 8- اللهجة المستخدمة في الوسط العائلي :
- 9- ملكية الأرض الزراعية: تملك لا تملك
- 10- نوع الإقامة بالريف : دائمة مؤقتة

ثانياً : البيانات المتعلقة بالجانب الصحي لسكان الريف

- 11- أين تلد المرأة لديكم عادة ؟ في المنزل في المستشفى
- في حالة الولادة في المنزل ، يرجى التبرير
- 12- هل تقومون بزيارة أضرحة الأولياء للاستشفاء ؟ نعم لا
- 13- عند مرض أحد منكم (من العائلة) هل يقوم أولاً بـ :
- أ- زيارة الطبيب
- ب- الذهاب إلى الراقي
- ج- إستخدام الطب الشعبي
- 14- هل تستخدمون الطرق الشعبية في التداوي ؟ نعم لا
- في حالة الإجابة بنعم لماذا ؟ و ماهي الأمراض الني تعالج بهذه الطرق ؟
- 15- كيف تتعاملون عادة مع حالة الأمراض العصبية ؟
- أ- استشارة طبيب مختص
- ب- عرضه على الراقي
- ج- إجراءات أخرى تذكر
- 16- أي من الشروط الصحية التالية لا تتوفر في منزلك ؟
- أ- المياه الصالحة للشرب و-كلها متوفرة
- ب- قنوات صرف المياه
- ج- منافذ للتهوية
- د- بعد السكن عن حضائر الحيوان
- هـ- كلها غير متوفرة

ثالثا: البيانات المتعلقة بالنشاط الاتصالي لسكان الريف

17- هل لديك أقارب أو أصدقاء يسكنون في المدينة؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، هل تقوم بزيارتهم؟ نعم لا

- وهل يبادلونكم الزيارات؟ نعم لا

18- كيف تتصل عادة بأصدقائك؟

- تلقتي بهم وجها لوجه تتصل بهم عبر الهاتف

19- هل تقوم بمغادرة الريف الذي تسكن فيه؟

أ - دائما

ب- أحيانا

ج - لا تغادره مطلقا

20- ماهي أسباب خروجك من الريف الذي تسكن فيه؟

21- هل تملك هاتفًا نقالًا؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، ماهي الأسباب التي دفعتك لشرائه؟

22- هل يملك أبنائك هواتف نقالة؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، كلهم بعضهم

- في حالة الإجابة بلا ، لماذا؟

23- هل تقوم عادة بـ :

أ- مطالعة الجرائد

ب- مشاهدة التلفزيون

ج- سماع الراديو

د - القيام بها كلها

هـ- لا تقوم بأية واحدة منها

24- هل أنت على إطلاع على ما يجري بالعالم الخارجي؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، هل بإمكانك أن تذكر لنا أهم الأخبار المتداولة حاليا سواء

على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي؟

25- في نظرك ماهي الأشياء التي تنقصك و تتطلع للحصول عليها مستقبلا أو تطالب فيها

بالمساواة بينك و بين الإنسان الحضري؟

رابعا : البيانات المتعلقة بالقيم العائلية لدى سكان الريف

26- هل تقومون بتحديد سن معين لزواج الأبناء؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، هل تطبقونه على: الإناث فقط الذكور فقط كلاهما معا

- و ماهو متوسط هذا السن (سواء للذكور أو للإناث)؟

27- هل تمنحون حرية اختيار الفتاة لزوجها؟ نعم لا

28- هل تورثون بناتكم؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بلا ، لماذا؟.....

29 - هل تفضل إنجاب الذكور أم الإناث؟

- يرجى التبرير لأي اختيار.....

30- ماهي القيمة الأهم التي تحرص عليها في تربية أولادك؟

أ- قيمة التبعية و الطاعة

ب- الاعتماد على النفس

ج- الاعتدال بينهما

31- هل تسمح لأبنائك بمناقشتك في بعض الأمور العائلية و الأمور الأخرى؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، هل تأخذ بأرائهم؟

أ- دائما

ب- أحيانا

ج- لا تأخذ بأرائهم

- في حالة الإجابة بلا ، هل تعتبر مناقشة أبنائك لك :

أ- سوء خلق

ب- تمرد و عصيان

ج- اعتبارات أخرى تذكر.....

32- في حالة زواج أبنائك الذكور هل تفضل :

- سكنهم معك و تتقاسمون جماعيا مصاريف العائلة

- تخصيص حجرات لهم داخل المنزل و يتحملون مصاريف أسرهم لوحدهم

- سكنهم في بيوت مستقلة عن منزلك

33- كيف تنظر إلى كثرة الأبناء في العائلة؟

أ- بركة (هبة) من عند الله

ب- عبء اقتصادي

ج- ثروة عملية

د- عنصر قوة و افتخار للعائلة

34- ماذا تتطلع أن يصبح أبنائك في المستقبل؟.....

خامسا : البيانات المتعلقة باتجاهات السلوك لدى الريفيين

35- هل لديكم نساء وقتيات من العائلة يعملن خارج البيت و الحقل ؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، ما سبب خروجهن للعمل ؟

أ- للحاجة الاقتصادية

ب- لإثبات الذات

ج- كتتويج للدراسة

- في حالة الإجابة بـ لا، لماذا؟.....

36- هل تؤيد خروج المرأة للعمل ؟ نعم لا

- في كلى الحالتين يرجى التبرير

37- هل التحقق كل أبنائك باستثناء صغار السن منهم بالمدارس ؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بلا لماذا؟.....

38- هل قمت بتزويج أبنائك (ذكورا كانوا أو إناث) من خارج النسق القرابي ؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بـ لا، لماذا؟.....

39- في حالة وجود فائض من المال لديك هل تتجه نحو: ادخاره أم استثماره

- في حالة الادخار، هل تحتفظ به :

أ- في البيت

ب- تودع أموالك في البنوك و المكاتب البريدية

- في حالة الاستثمار ، ماهي أوجه هذا الاستثمار؟

أ-شراء قطعة أرض زراعية

ب-شراء الماشية

ج-شراء وسيلة نقل عمومية

د- محلات تجارية

هـ- أوعية استثمارية أخرى تذكر

40- هل تفضل عمل أبنائك في: الزراعة أم عملهم خارج نطاق الزراعة

41- كم هو عدد أبنائك و ماهي أعمارهم من الأكبر إلى الأصغر؟

أ- عدد الأبناء ب- الأعمار.....

42- إذا نشأ نزاع بينكم و بين جيرانكم أو أفراد آخرين ، إلى أين تتجهون لحل مشاكلكم ؟

أ-إلى القانون ب- إلى كبار السن

- في حالة الالتجاء إلى كبار السن ، هل يلتزم الكل بما صدر عنهم ؟ نعم لا

سادسا: البيانات المتعلقة بالمعتقدات الشعبية لدى الريفيين

43- هل تقوم بتعليق بعض التمايم في منزلك أو ممتلكاتك؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم، لماذا؟.....

44- ما رأيك في هذه المقولة؟ "إن فشل بعض التلاميذ والطلبة في مشوارهم الدراسي ،
و رفضهم لاستكمال سببه الإصابة بالعين الحاسدة أو السحر"

أ-تؤيد ب-لا تؤيد

- في حالة عدم التأييد ، ما السبب في رأيك إذن؟.....

45- هل تقومون ببعض الإجراءات الاحترازية لدرء خطر الحسد و السحر في أفراحكم ؟

نعم لا

- في حالة الإجابة بنعم ، ماهي هذه الإجراءات؟.....

46- ما رأيك في هذه المقولة "إن جفاف لبن بعض المواشي فجأة أو تعطل الآلات الحديثة كذلك
فجأة سببه الإصابة بعين حاسد". تؤيد لا تؤيد

- في حالة عدم التأييد ، ما السبب في رأيك إذن؟.....

47- في رأيك ماهي المجالات التي تعتقد أنها أكثر تعرضا للحسد؟.....

سابعا : البيانات المتعلقة بالمجال المادي للثقافة الريفية

48- ما نوع الأدوات التي تستخدمونها في الزراعة؟ حديثة تقليدية

- في حالة اختيار تقليدية ، لماذا؟.....

49 – ما نوع الأثاث الذي في منزلكم ؟

أ- تقليدي كله

ب- عصري كله

ج- التقليدي إلى جانب العصري

50- هل يحتوي منزلكم على :

أ- غرف للإيواء فقط

ب- غرف للإيواء و مخازن للمحاصيل

ج- غرف متصلة بحظائر الحيوانات

د- غرف منفصلة عن المخازن و الحظائر

51- ماهي المواد المصنوعة منها منزلك؟.....

52- هل يوجد لديكم حاسوب في المنزل ؟ نعم لا

في حالة الإجابة بنعم ، هل هو موصول بخط الإنترنت ؟ نعم لا

53- هل يساير أبنائك الموضات الحديثة الخاصة بالأزياء ؟ نعم لا

- في حالة الإجابة بلا ، هل :

أ- لأنها لا تتماشى مع العادات و التقاليد السائدة في المنطقة

ب- لأن ثمنها باهض

ج- أسباب أخرى تذكر

54- هل تتدخل في طريقة لباس أبنائك ؟ أتدخل لا أتدخل

- في كلى الحالتين يرجى التبرير

55- ما هو الأسلوب المتبع لديكم عادة في تقديم و تناول الطعام ؟

أ- اجتماع كل أفراد العائلة على مائدة واحدة

ب- تقديم الطعام للذكور أولاً لوحدهم ثم الإناث

ج- الفصل بين الكبار و الصغار كل على حدى

د- أساليب أخرى تذكر

ملحق رقم 2

إحصائيات عن العمل و البطالة لدى سكان
الريف و المدن فى الجزائر

EMPLOI ET CHÔMAGE (au quatrième trimestre 2007)

LÉGÈRE BAISSÉ DU TAUX D'OCCUPATION DURANT LA DERNIÈRE SEMAINE D'OCTOBRE 2007

La Population Active du moment, au sens BIT est estimée à près de 9 969 000 personnes en octobre 2007, d'après les données de l'enquête emploi auprès des ménages, réalisée durant le dernier trimestre 2007. Estimé à 40,9% en octobre 2007, le taux d'activité accuse une légère diminution par rapport à 2006 où il était de 42,5 %.

La population active occupée du moment est estimée à 8 594 000 personnes, soit un taux d'occupation de 25,5% d'après les données de la même enquête. Les femmes représentent 15,7% de l'ensemble des occupées : 19,7% en milieu urbain et 9,2% en zone rurale. Le taux d'emploi où proportion des occupés sur l'ensemble de la population en âge d'activité se situe à 35,3 %.

Selon la situation dans la profession, la plus forte proportion est enregistrée par les salariés qui représentent un peu plus du tiers (33,8%) du total des occupés. L'emploi non permanent et donc instable, représenté par les salariés non permanents, les apprentis et les aides familiaux est estimé à 36,9% du total des occupés. Les employeurs et indépendants représentent 29,3% du total de la population occupée.

La structure de l'emploi selon le secteur d'activité met en relief, la prépondérance du secteur "commerce, administration publique et autres services" où plus de la moitié (56,7%) de l'ensemble de la population occupée, exercent leur activité marchande. Le BTP arrive en seconde position avec 17,7% du total des occupés. L'agriculture, et l'industrie arrivent en troisième et quatrième position avec les proportions respectives de 13,6 et 12,0% du total des occupés.

La population active en Chômage ou population active à la recherche d'un emploi, est estimée à 1.374.000 personnes en octobre 2007, soit un taux de chômage de 13,8%. On observe une légère remontée du taux de chômage par rapport à 2006 où il était de l'ordre de 12,3%. 61,0% des chômeurs résident en milieu urbain et 39,0 en zone rurale. Il s'agit principalement d'un chômage d'insertion dans la mesure où 72,0% de l'ensemble des chômeurs ont moins de 30 ans et 85,6% ont moins de 35 ans. Les femmes représentent 22,0% de l'ensemble de la population active en chômage.

NOTA : L'attention du lecteur est attirée sur le fait que dans les tableaux qui suivent les totaux en ligne et en colonne peuvent différer à une unité près, ceci est du aux arrondis. En outre, il est à signaler que l'ensemble des résultats de cette enquête seront détaillés prochainement et publiés dans une 'COLLECTIONS STATISTIQUES' intitulée 'ENQUETE EMPLOI AUPRES DES MENAGES 2007'

Tableau n° 01 : Quelques Indicateurs Synthétiques

INDICATEURS AU SENS BIT	IC à 95 % (1)	
Taux d'Activité	40,90%	[40,5 - 41,3]
Taux d'Occupation	25,50%	[25,2 - 25,8]
Taux d'Emploi	35,30%	[34,9 - 35,6]
Taux de Chômage	13,80%	[13,4 - 14,2]

(1) Intervalle de confiance par la méthode du bootstrap sur 200 réplifications

DEFINITIONS :

- La Population Active est composée des actifs occupés et des Chômeurs
- Taux d'Activité : Rapport de la Population Active à la Population en âge de travailler
- Taux d'Occupation : Rapport de la Population Occupée à la Population Totale
- Taux d'Emploi : Rapport de la Population Active Occupée à la Population en âge de travailler
- Taux de Chômage : Rapport de la Population en Chômage à la Population Active

Tableau n° 02 :Tableau synoptique de la population active en Octobre 2007

	URBAIN	RURAL	TOTAL
Population occupée du moment	5 288 588	3 305 654	8 594 243
- Employeurs- Indépendants	1 537 166	978 811	2 515 977
- Salariés Permanents	2 059 562	849 299	2 908 861
- Salariés N.P+Apprentis	1 490 579	1 189 398	2 679 977
- Aides Familiaux	201 281	288 147	489 428
Population en Chômage	878 309	496 354	1 374 663
Population Active du moment	6 166 897	3 802 008	9 968 906
Taux de chômage	14,2	13,1	13,8

Tableau n° 03 : Répartition de la population occupée selon la situation dans la profession et le sexe

	MASCULIN	FEMININ	ENSEMBLE
- Employeurs-Indépendants	2 185 704	330 274	2 515 977
- Salariés Permanents	2 305 607	603 254	2 908 861
- Salariés N.P+Apprentis	2 342 736	337 240	2 679 977
- Aides Familiaux	413 320	76 108	489 428
TOTAL	7 247 367	1 346 876	8 594 243

Tableau n° 04 : Répartition de la population occupée selon le secteur d'activité et la strate

	URBAIN	RURAL	ENSEMBLE	Structure %
- Agriculture	265 531	905 367	1 170 897	13,6
- Industrie	724 376	303 441	1 027 817	12,0
- Bâtiments et Travaux Publics	814 966	708 644	1 523 610	17,7
- Commerces Services Administration	3 483 716	1388 202	4 871 918	56,7
TOTAL	5 288 588	3 305 654	8 594 243	100

Tableau N° 05 : Répartition de la Population Occupée par Sexe et Strate

	URBAIN	RURAL	ENSEMBLE
MASCULIN	4 244 247	3 003 120	7 247 367
% en ligne	58,6	41,4	100
% en colonne	80,3	90,8	84,3
FÉMININ	1 044 342	302 534	1 346 876
% en ligne	77,5	22,5	100
% en colonne	19,7	9,2	15,7
TOTAL	5 288 588	3 305 654	8 594 243
% en ligne	61,5	38,5	100
% en colonne	100	100	100

Tableau N° 06 : Répartition de la Population Active et Occupée par groupe d'âges et strate

	Population Active			Population Occupée		
	Urbain	Rural	Total	Urbain	Rural	Total
- de 20 ans	291 633	268 964	560 597	189 343	196 009	385 352

20 – 24 ans	905 049	710 870	1 615 919	633 236	561 279	1 194 515
25 – 29 ans	1 145 098	725 396	1 870 494	890 916	586 554	1 477 470
30 – 34 ans	944 224	536 038	1 480 263	814 812	477 962	1 292 775
35 – 39 ans	757 659	421 809	1 179 468	701 336	384 981	1 086 317
40 – 44 ans	758 857	370 012	1 128 869	727 865	352 640	1 080 505
45 – 49 ans	561 149	265 164	826 313	547 678	256 443	804 121
50 – 54 ans	424 255	230 813	655 070	410 246	220 641	630 888
55 – 59 ans	249 678	149 406	399 083	243 860	145 611	389 470
60 ans & +	129 296	123 534	252 831	129 296	123 534	252 831
TOTAL	6 166 897	3 802 008	9 968 906	5 288 588	3 305 654	8 594 243

POPULATION EN CHÔMAGE

Tableau : 7 - Répartition de la Population en chômage par groupes d'âges et par strate

Groupes d'âge	Urbain	Rural	Total
- de 20	102 290	72 955	175 245
20 – 24	271 813	149 591	421 404
25 – 29	254 182	138 842	393 024
30 – 34	129 412	58 076	187 488
35 – 39	56 323	36 828	93 151
40 – 44	30 992	17 372	48 364
45 – 49	13 471	8 721	22 192
50 – 54	14 009	10 172	24 182
55 – 59	5 818	3 795	9 613
TOTAL	878 309	496 354	1374 663

Tableau : 8 - Répartition des taux de chômage par groupe d'âges et strate (en %)

Urbain	Rural	Total
35,1	27,1	31,3

30,0	21,0	26,1
22,2	19,1	21,0
13,7	10,8	12,7
7,4	8,7	7,9
4,1	4,7	4,3
2,4	3,3	2,7
3,3	4,4	3,7
2,3	2,5	2,4
14,2	13,1	13,8

Tableau : 9 - Structure du Chômage par Groupe d'Âges et Strate (en %)

Urbain	Rural	Total	% Cum
11,6	14,7	12,7	12,7
30,9	30,1	30,7	43,4
28,9	28,0	28,6	72,0
14,7	11,7	13,6	85,6
6,4	7,4	6,8	92,4
3,5	3,5	3,5	95,9
1,5	1,8	1,6	97,5
1,6	2,0	1,8	99,3
0,7	0,8	0,7	100
100	100	100	

Tableau : 10 - Répartition des chômeurs par Sexe et Strate

	URBAIN	RURAL	ENSEMBLE
MASCULIN	653 238	418 737	1 071 975
% en ligne	60,9	39,1	100

% en colonne	74,4	84,4	78
FÉMININ	225 071	77 588	302 659
% en ligne	74,4	25,6	100
% en colonne	25,6	15,6	22
TOTAL	878 309	496 324	1 374 633
% en ligne	63,9	36,1	100
% en colonne	100	100	100

ملحق رقم 3

بعض المظاهر المادية للثقافة الريفية

بعض المظاهر المادية للثقافة الريفية



منجل

المصدر: www.beileedclub.org



محراث خشبي تقليدي

المصدر: www.beileedclub.org



أسلوب الطهي و الإنارة التقليديين

المصدر: صور مأخوذة من احتفال شعبي بمناسبة عيد يناير بمدينة نقوس



فلاح بزري تقليدي (القشايبة و الشاش)

المصدر: www.ibndz.com



بعض الأواني التقليدية

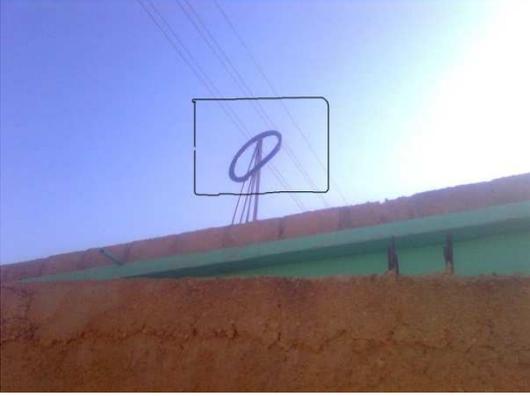
المصدر: www.beileedclub.org



منزل ريفي تقليدي

صورة ملتقطة من طرف الطالبة من الريف الذي تسكن فيه

صور لبعض التمايم المستخدمة في منازل الريفيين



عجلة السيارة فوق المنزل



الكف المبسوطة (الخمسة)

المصدر: الصور منقطة من طرف الطالبة من الريف الذي تسكن فيه

ملحق رقم 4

إحصائيات مستقاة من بدلية بومقر حول
منطقة الشعرة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية باتنة

دائرة نقاوس

بلدية بومقر

إحصائيات مستقاة من بلدية بومقر حول منطقة الشعرة

منطقة الشعرة جزء من مقاطعة الشهداء التي تتضمن المعطيات التالية :

— عدد البنايات :145

— عدد المساكن المشغولة :150

— عدد المساكن الشاغرة:27

— مجموع المساكن:177

— عدد الأسر:150

— مجموع السكان: 1009

هذه الإحصائيات طبقا للإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 2008

قصد استغلال هذه المعلومات في مجالها سلمت للطالبة خيرة نبيلة لتضمينها
بحثها العلمي في مجال علم الاجتماع.

بومقر في 20.04.2010

المصدر: الأمين العام للبلدية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية باتنة

دائرة نقاوس

بلدية بومقر

بطاقة فنية

أ- نبذة تاريخية عن المنطقة: بلدية بومقر انبثقت عن البلدية الأم نقاوس، إثر التنظيم الإقليمي للبلاد في سنة 1984 تقع بدائرة نقاوس بولاية باتنة، معالم حدودها هي: أولاد عوف وأولاد سي سليمان شرقا وبلدية الجزائر وبريكة غربا، وبلدية نقاوس والقصبات شمالا، وجنوبا بلدية سفيان، وهي بلدية ريفية تتميز بتضاريس الانحدار، شأنها شأن المناطق التي تصب في حوض الحضنة مثل بلدية نقاوس والجزائر وسفيان والقصبات، ومناخها يتميز بالحرارة والجفاف في الصيف، والبرودة والمطر في الشتاء، وتضاريسها متباينة بين الأراضي الجبلية والوديان، والسهول التي تشكل ثلثي المساحة الإجمالية للبلدية تقريبا.

أصل السكان: لا وجود لأي سند يمكن الاستناد إليه للجزم بأصول سكان بومقر، إلا أن المتداول أن سكان بومقر ينحدرون من قبيلة أولاد سلطان، وهي قبيلة ذات جذور بربرية أصيلة، ويسمون أولاد طالب.

التاريخ القديم للمنطقة: لانعدام الاهتمام بالمنطقة والبحث من قبل الدارسين والباحثين والمؤرخين، فإن مآثر بلدية بومقر تبقى جديرة.

بالبحث والرصد، لأن البلدية بموقعها لا شك أن لها محطات تاريخية ذات شأن، يدل على ذلك الآثار البادية للعيان عبر إقليمها، ومنها ما يعود إلى حقبة تاريخية قديمة خاصة الرومانية والبربرية وهي منطقة محاربة عبر الحقب التاريخية المتعاقبة، خاصة ضد المستعمر الفرنسي، إذ كانت منطقة انطلاق ثورة أولاد سلطان التي دامت حوالي سنتين وشملت الحضنة إلى تخوم مروانة وجبال الأوراس، وفي رأس العين بومقر تم اللقاء في سنة 1911 والذي تقرر فيه ضرورة الكفاح ضد المستعمر، وكذلك مشاركة سكان بومقر في الهجوم على مقر الحاكم بعين التوتة، ماك ماهون في سنة 1916، مما عرض المنطقة لمصادرة أملاك المواطنين ومحاكمة الكثير منهم في المحاكم العسكرية وحكم على الكثير منهم بالسجن والأعمال الشاقة والنفي حتى إلى الخارج، والتضحيات التي قدمها سكان بومقر إبان الثورة التحريرية، إذ تعرضت بومقر لسياسة الأرض المحروقة وبدلاً من أن ينزل مواطنوها إلى السهول كبعض المناطق، حدث العكس وصعد الجميع للجبل، سكان ومقاومون ودفع ثمن ذلك أزيد من 400 شهيد وهو ما يمثل ربع السكان آنذاك، يضاف لذلك وقوفها منذ الاستقلال إلى جانب القضايا الوطنية المتعاقبة، وتحسب البلدية دائماً مع التيار الوطني.

الآثار التاريخية: تزخر البلدية بالآثار القديمة إلا أنها تحتاج إلى بحث لتحديد حقبتها، إلا أن الأثار البربرية والرومانية بارزة رغم تعرضها للتخريب

الشخصيات المنحدرة من المنطقة: لانعدام مرجع تاريخي للبلدية تبقى الشخصيات المنحدرة من المنطقة مجهولة، إلا أنه يمكن ذكر بعض الشخصيات التي يتداولها السكان والذين كان لهم تأثير على السكان منهم: الشيخ سي أحمد ميهوبي، الشيخ سي التواتي، وإبان الثورة برزت شخصية إبراهيم فلاحي المسمى إبراهيم بن الحاج، والشيخ سي الصديق ميهوبي، وكذلك اسماعيل بوراضي و نعمان سعادي و بولخراص فلاحي كما أن بومقر كانت عبارة عن مركز كبير احتضن الثورة من بدايتها حتى الإستقلال حيث لا تخلو قرية من مركز إيواء المجاهدين .

ب – الخصائص الاجتماعية: يعتمد السكان في معيشتهم على الفلاحة وتربية المواشي.

الحالة الإجتماعية من حيث:

السكن : 1422 سكن تقليدي متواضع بدأ تحسنه بفضل برامج الدولة وخاصة البناء الريفي، ويذكر أن العائق في انجاز السكن يرجع لانعدام الوعاء العقاري .

– العمل والبطالة : إذا نظرنا إلى العمل الدائم فإن النسبة لا تتعدى 24 بالمائة، أما العمل بصفة عامة فإن المواطنين يقومون بأعمال فلاحية ونشاطات موسمية، وخاصة تربية الماشية، وذلك قبل استفحال ظاهرة الإرهاب التي تسببت في نزوح المواطنين من المناطق الجبلية إلى محيط مقر البلدية، وإذا استثنينا الإطار الجامعي و حملة الشهادات الجامعية الذين يعانون من البطالة.

فان باقي فئات الشعب تبادر بالعمال محليا أو يهاجرون للبحث عن مصدر رزقهم ويبقى الوضع مقبول إلى حد ما .

— الكهرباء والغاز: قبل برنامج البناء الريفي كانت النسبة المئوية 70 بالمائة إلا برنامج البناء الريفي ومبادرات المواطنين في بناء المساكن وهو ما خفض هذه النسبة إلى حوالي 55 بالمائة.

— شبكة التزويد بالمياه: تتوزع على 48 كم/ط وهي شبكة مقبولة إلى حد بعيد، إلا أنه توجد بعض الأجزاء المهترئة التي تتطلب التجديد لقدمها وعدم صلاحيتها.

— شبكة الصرف الصحي: القنوات المنجزة يبلغ طولها 35كلم/ط والجهد متواصل لتوسيع التغطية، إلا أن مصباتها تحتاج إلى تجميع وإيجاد محطة للتصفية لاسترجاع المياه المستعملة قصد استغلالها، وحماية البيئة مما هو موجود حاليا .

— المؤسسات التربوية والمهنية وعددها: توجد بالبلدية 05 مدارس ابتدائية، ومتوسطتان، وملحق للتكوين المهني .

— النسبة المئوية للمتمدرسين: يوجد في المستوى الابتدائي 840 تلميذ وفي مستوى المتوسط 984 تلميذ، وفي المستوى الثانوي 373 تلميذ {النسبة تبعا لذلك هي: 25.90 بالمائة مقارنة بعدد السكان، ويشار إلى أن كل الأطفال في سن التمدرس يباشرون الدراسة.

— المستشفيات ومراكز الصحة وعددها: 03 قاعات علاج والعيادة المتعددة الخدمات.

الخصائص الإقتصادية

أ- **الفلاحة** : الزراعة بأنواعها والثروة الحيوانية، الغابات: أنواعها، مساحتها، الخ. الفلاحة التقليدية هي السائدة في إقليم البلدية وتتمثل في زراعة الحبوب بالدرجة الأولى وتربية المواشي، ومن منتوجات البلدية فواكه: المشمش، التين، العنب، الخوخ، الرمان، وثمار الزيتون... الخ، كما توجد الأشجار الغابية وهي غير كثيفة ومن بين أشجارها العرعار والبلوط والزيتون البري والطاقة، ومعظمها في قمة "بويذبيرن" التاريخية إلى "صرا مولاي يحيى" إلى مشارف سفيان وهي تمثل ثلث مساحة البلدية تقريبا.

ب - **الصناعة**: المؤسسات الإقتصادية {المصانع، الصناعة التقليدية}: أهم مؤسسة في إقليم بومقر هي محطة الضخ رقم 04 الواقعة بمفترق الطرق باتجاه سفيان بريقة، وتجدر الإشارة إلى عبور 06 أنابيب بترول وغاز بإقليم البلدية، أما المصانع الأخرى فلا وجود لها باستثناء محطة تصنيع مادة الزفت الجاري إنجازها من أحد الخواص في نفس الموقع.

ج - **السياحة بمختلف مرافقها** : رغم وجود منطقة جبلية زاخرة بالكهوف الطبيعية، يمكن أن تستغل في المجال إلا أن الإهتمام منعدم، أما الآثار فهي الأخرى موجودة إلا أنها مهملة - الحمامات المعدنية : منعدمة و لا وجود لأي مرفق سياحي يمكن ذكره

3 - المساحة و السكان

المساحة الإجمالية للبلدية 111.9 كم

تعداد السكان : 8482 نسمة

كثافة السكان في الكيلومتر مربع : 75.94 و يتمركز السكان في الشريط المحاذي للطريق الوطني رقم 78 مما جعل كثافة الأسرة تبلغ 8 أفراد

طول الشريط البري: تتربع بلدية بومقر على إقليم يصل محيطه حوالي 60 كم/ط

4 - شبكة الطرقات و المواصلات

مختلف الطرق البرية (الوطنية و الولائية و البلدية ،طرق غابية ،طرق فرعية) طولها وتسميتها و كل مايتعلق بجانب الطرق و المواصلات

يقطع الطريق الوطني رقم 78 بلدية بومقر من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي على مسافة 17 كم /ط كما يتفرع عن الطريق الوطني طريق ولائي باتجاه بلدية سفيان على مسافة حوالي كم/ط

كما توجد تفرعات لطرقات بلدية مجموعها 12 طريق يبلغ طولها 22 كم/ط معبدة تربط أحياء : بورقبة ،لحصابي ،قرية المرازقة ،قرية ذراع لكل ،حي الحنانشة ،طريق الحمام ،حي الحنانشة بجوار مقبرة الشهداء حي أولاد صحراوي ،حي الولجة ،حي سي حسين ،القواسم ،لقهالزة ،بالإضافة إلى وجود طرق ثانوية يبلغ طولها أكثر من 40 كم/ط

5 - الكوارث الطبيعية

تعرف بلدية بومقر من حين لآخر كوارث تتعلق بالخصوص بالفيضانات التي تتسبب في الأضرار للمواطنين في إتلاف المحاصيل الفلاحية وأضرار في السكنات و تسببت حتى في ضحايا بشرية و ذلك جراء وجود مطل صخري ككتلة جبلية منحدره لا تمتص مياه الأمطار ،بل تتجرف بسرعة و قوة هائلة تتحول إلى سيول كبيرة تتسبب في الأضرار المذكورة و توجد دراسة في هذا الصدد لتجنيب المنطقة من كوارث الفيضانات كما تعرف البلدية بعض الهزات الأرضية و هبوب رياح عاصفة تسببت في بعض الأحيان حتى في قلع الأشجار و سقوط المساكن و الجدران الهشة.

إضافة إلى ظواهر أخرى كالهجرة الغير شرعية أو التهريب أو ظواهر أخرى متفشية بإقليم البلدية

البلدية لا توجد بها هجرة غير شرعية ولكن لوجود طريق وطني بها،يمكن أن يكون إقليم البلدية معبرا للتهريب ولو كان غير بارز أما الظواهر الأخرى فيمكن أن يشار لظهور وباء المخدرات التي ضبطت في حالات لدى الشباب،كما كانت المنطقة تعد معبرا للمجرمين بين جبل أولاد سلطان وجبل أولاد علي على محورين الأول:بين حدود بومقر وسفيان قرب محطة الضخ رقم 04 باتجاه جبل بوطالب والثاني بين نقاوس وبومقر باتجاه سهول سعيدة وجبل أولاد علي.

07 الصعوبات والإقتراحات(الإجراءات)

البلدية تواجه صعوبات من بينها:

- المنطقة فلاحية وتحتاج لمزيد من مياه الري
- عدم وجود ملعب بلدي يمتص الأعداد الهائلة من الشباب
- عدم وجود ثانوية بالبلدية
- الشباب الجامعي والمتخرجون عموماً إذا بقي حالهم هكذا بدون عمل سيكونون مصدر قلق دائم.
- عدم وجود مؤسسة كالمركز الثقافي مثلاً يمكن أن يجمع المجتمع المدني (34 جمعية) يبقى مطلباً ملحاً.
- ضرورة توسيع شبكة الكهرباء والغاز لتمس بقية المواطنين لتعميم الفائدة وإشاعة العدالة الاجتماعية.

بومقر في: 2008.12.03

المصدر: الأمين العام للبلدية

ع.فلاحي